الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا
غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما
يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما
روي انه عليه السلام قال انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي
هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن
به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثواب والنجاة ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف
فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همز تشبيها بما الياء فيه
زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم
طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتداء خلقكم ثم تصويركم
بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا
ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد ولا صلة
مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل
الممنوع من الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر
للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا لمثله

بعلم

كانه قيل المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك
بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بالسجود لما بين لهم انه اعلم منهم وان
له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان
الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما
يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة
وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله
لتكبره قال عليه السلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني
الى يوم القيمة ولا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه
محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلم الله انتهاء اجله
فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني
لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما
غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء
للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على
الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر و
البطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل
قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه
يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم

من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم
يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى
الاخيرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن
يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما
راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤوما
مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه
ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان
جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام على انه خبر لاملان على
معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعليه لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومنكم منك ومنهم
فغلب المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما و
لا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا
من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة و
الخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها
بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في
الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات

الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له
بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما
الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية و
الادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين
في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما و
اختلف ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا و
طفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق
التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة
عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال
اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى
تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان
ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق وريشا

العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ولعله
ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش
الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل
الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او ذلك
خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
ولباس عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي
في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في
الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة
وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على
الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته
جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم
وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن
اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط

من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين
الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي
مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه اي اعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على
اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون
اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى
بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم و
للفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد
اي طواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر
العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون
الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدي او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما
اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن حسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية
فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم
القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك
نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي

الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما
يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم
اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء كقولهم
الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم
انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا
يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما ياتينكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير
واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون و
جوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا
بآياتنا منكم وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه
حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي
التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي الآلهة التي
كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا
غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال
ادخلوا اي قال الله تعالى لهم ادخلوا يوم القيامة او واحد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي
كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى
اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع

لأولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هولاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا
بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة
بكفرهم وتضليلهم واما الاتباع بكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق
وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة او قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح
لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح ابواب المومنين لارواحهم
لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف
وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل و
نصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك
وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمُل
كالقفل والجمَل كالنصب والجمْل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم
والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء
الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه
للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا
بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم نفسا
الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف الا وسعها اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها
اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف

نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون
بينهم الا التواد وعن علي كرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري
من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتاكيد النفي وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل
ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا
صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى
حال م له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى
الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة و
التاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة لاصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم
يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدا بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن موذن قيل هو صاحب
الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن كثير وابن عامر والكسائي ان لعنة
بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما
هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح
وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور له باب او بين
الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى
فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المومنين وعلمائهم او ملائكة

يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه
وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم
تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله
لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم
ادخلوها وهو اوفق للوجه الاخير او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا
يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم
على المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
الى ما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما
كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا
معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل
على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه
حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يومنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما

يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر و
ضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار و
اعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان
الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها
عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان
الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ
يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب و
ابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له
لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او
المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على
السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه
الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية
وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه
الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما
اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا
للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله

خلق الأرض في يومين أي في جهته السفلى في يومين ثم أشار إلى أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة
فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام ثم صرح بما هو فذلكة
التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية أي ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين
المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء و
الصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول
وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وشرع الأحكام
وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في إجابته تفضلا وإحسانا
لفرط رحمته إن رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة وتذكير قريب لأن
الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول أو الذي هو مصدر
كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح
النون حيث وقع على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان
وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى
إذا أقلت أي حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لأن السحاب جمع
بمعنى السحائب سقناه أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لأجله أو لإحيائه أو لسقيه وقرئ
ميت فأنزلنا به الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك فأخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير

إلى الماء وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات
من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه
بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى
مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر
على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة
النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة والذي خبث أي كالحرة والسبخة لا يخرج إلا نكدا
قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف و
أقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا مفعولا ونكدا على
المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر
بها لقد أرسلنا نوحا إلى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع
فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين
سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ
حيث ما وقع نعتا أو بدلا على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه أي
الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي
ضلالة أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من
رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية
لأني رسول من الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات
لرسول الله أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف
شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فإن

أعلم من قدرته أو شدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو
للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على
رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء
الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب
الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من
الله تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين معه
أي هم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن
آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجينا أو حال من الموصول أو الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين
والأول أبلغ في الدلالة على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحا إلى قومه هودا عطف بيان لأخاهم
والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن
إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم
لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره استئناف ولم يعطف
كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا
أقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه إذ كان من أشرافهم من آمن به
كمرثد بن سعد إنا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وإنا
لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره
وفي إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين
وقرأ أبو عمرو أبلغكم في الموضعين في هذه وفي الأحقاف مخففا واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل

عالج إلى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا
آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح قالوا
أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والإعراض
عما أشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به
عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول
عليه بقوله أفلا تتقون إن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم أو نزل
عليكم على المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام
أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها
آلهة وليس فيها معنى الإلهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لو استحقت كان
استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو نصب حجة بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى
آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهارا لغاية جهالتهم و
فرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغة توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه
الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه في الدين
برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
لمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان روي أنهم كانوا يعبدون
الأصنام فبعث الله إليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى
جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله
الفرج فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان إذ ذاك بمكة العمالقة
أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان
له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم

تعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا
يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك وقال مرثد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان
اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاويه احبسه عنا لا يقدم معنا مكه ولكن ان اطعتم
فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشا الله سحابا ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا
مكه وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود
بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة ماءهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا
بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا
صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله
لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية و
يجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها
ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل
في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها
او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون من الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او
تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا
من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم

بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من
ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به وكفر فلذلك قال قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن
امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلم بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا
بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي
انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من
الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فندعو آلهتك وندعو
آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من
البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان

ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم
فقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم
بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلعم اهل قليب بدر وقال
انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر ولوطا اي ارسلنا لوطا
اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء
للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه
وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء
بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف
وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل
ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن
الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاءوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم
قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المومنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون
من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا
وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن
هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل
خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم
اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته

قومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي دفعها الدرع
خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن
هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة
الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال
في سورة هود اوفوا المكيال والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها
على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا
مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها و
اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال و
لا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط
الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا
احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد
شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان
بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال
الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه
في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم
فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم

ولعقيدوابهم وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا
فاصبروا فتربصوا واحق الحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على
المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا
معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبيا لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى
ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها
او تعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى
المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال
اى قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان الله ند
وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره
والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود
بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شىء علما اى احاط بكل شىء ما كان وما يكون منا
ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا و
بين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اى اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير
الفاتحين على المعنيين وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطاة باللام فاخذتهم الرجفة

الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا فى دارهم جاثمين
اى ميتين الذين كذبوا شعيبا مبتداء خبره كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا كان
لم يقيموا والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا
الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه
كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم قاله تاسفا لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال
فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او
قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت
وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف اسى عليكم وقرى فكيف ايسى
بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبوس
والضر لعلهم يضرعون كى يتضرعوا وينيبوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم
بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء
اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا
بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا
فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعنى القرى المدلول عليه بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة ومن حولها
امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى
افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما
اعتراض والمعنى بعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبيتا او وقت

بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجى بمعنى المبيت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا او امن اهل القرى
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة
النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط
الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى
ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى
باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم
بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرا بالنون جعله مفعولا ونطبع
على قلوبهم عطف على ما دل اولم يهد اى يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن
نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لو لافضائه
الى نفى الطبع عنهم وهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى تلك قرى الامم المار
ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها
وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليومنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوا من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب او فما كانوا ليومنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم توثر
فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتاكيد النفى والدلالة على
انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا
لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد

فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او
ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
وان وجدنا اكثرهم اى علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا فى المبتداء والخبر والافعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير
للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعنى المعجزات الى فرعون و
ملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها و
لهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين اليك
وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى
الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول
كما قرا نافع فقلب لامن الالباس كقوله ولتنفى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك
فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق
ان اكون انا قايله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على
مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت بالقوس وجئت على حال حسنة ويويده
قرائة بالباء وقرى حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى
اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن ابائهم وكان قد
استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من
ارسلك فات بها فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك ان كنت من
الصادقين فى الدعوى فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه

بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى سور القصر ثم
توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا
اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصى ونزع يده من جيبه او
من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها اذ روي انه
كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا
لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكى عنه في سورة
الشعراء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان
يفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخره
واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو
على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير وارجهي من ارجيت
كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف
الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلا
يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة
لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده
اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذا
جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر
كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين

فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر

عطف

عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن
كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا
او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر
عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها
فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي انه لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين
او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث
لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم
كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به
فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ
حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا

الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا
منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو
تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم
اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته
قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى
ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك
الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب
علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على
الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب
للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله
فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك
اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل
ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم

قاهرون

قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم وتقريرا للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل
العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل
الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله
اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي
ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلم فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون
من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام
القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص
من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم
ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها
وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم و
يقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهو اعراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان
الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات
وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اذا
لتحقق كثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف
الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم

عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها
ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ اطيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية
ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة
من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب
بفعل يفسره تاتنا به اى ايما شئ تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية
على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى
لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ
وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم
وحروثهم من مطر وسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد
والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع
والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من
بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل
مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل قطرة وركد على اراضيهم ومنعهم من الحرث والتصرف
فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم
يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت باكل الابواب
والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل
ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث
لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم

/3/

بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر
وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله
عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع
القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من
فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحد اسبوعا وقيل
ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب المفصل او الطاعون
ارسل الله عليهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا بما عهد عندك بعهده عندك وهو — ربك
النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعو به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة ادع او
حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف
دل عليه التماسهم اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله — معك
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل
هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق
او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجاؤا
النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين
عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين يستضعفون — كانوا

بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض
الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها التى باركنا فيها بالخصب
وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل ومضت عليهم واتصلت
بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون
وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا
وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر
يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر
وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم
الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله ﷺ مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين
حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم
عاشوراء وبعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم
يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل وذلك اول شان
العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى
يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونه وما
كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم
بعد ما راوا الآية الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم
فيه يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم فيه ويحطم اصنامهم ويجعلها
رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله
وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا
بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار
لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا

قال اغير

قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم
بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من
امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ من مخلوقاته واذ
انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم
يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل
فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفى ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين
ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذى الحجة فتم
ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر
ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك
سال ربه فامره بصوم ثلثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا
نشم رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان
يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية فى العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه
هرون اخلفنى فى قومى كن خليفتى فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه — ولما جاء موسى
لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب ارنى انظر اليك ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر
اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا — جائزة
ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن ترانى دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الى
تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى لم يوجد فيه بعد وجعل السوال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت ممتنعة لوجب ان يجهلهم

ونبه سفهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع
سبيل المفسدين واستدل بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن
عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته
ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين ان لا يطيقه وفي
تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له
حياة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك و
الشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام
لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى
فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السؤال بغير
اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك و
هرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية
كان يوم عرفة واعطاه التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون
اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من
المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من
زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها
باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من
قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة

بجد

بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل لقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ
في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم
دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود
واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى
سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن
اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم
فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي
يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة
لا يؤمنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو
يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة
عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم
والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات و
يجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله في الاخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ
قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الميقات من حليهم التي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر للاتباع كدلي

ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل
القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل
الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او
لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر
على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحير يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض
فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا باتخاذ العجل لنكونن من الخاسرين و
قراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون
والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه
اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او و
عجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما
غيرت الامم بعد الانبياء والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية
للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت

اعجلتم عبادة العجل قبل ان
ياتيكم امر ربكم
السنعتم بعاده
العجل

فرفع

فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام و
اخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه
بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر
الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى
ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء ولا تفعل
بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه
نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام
علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي
خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من
بعدها بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر جرائم
بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او
توبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل
كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان
المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ

فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان
للحق ورحمة ارشادا الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول
لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله
لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا
لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي ان الله تعالى امره بان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام
فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة
او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم
وهلاكه قبل ان يرى ما راى او بسبب اخر وعنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما وترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد عن عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر
على طلب الرؤية وكان ذلك قال بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون
اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت
تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها عنهم ان هي
الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا
فزاغوا تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من
هاد يهود اذا رجع وقري بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل

وللمفعول

وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول
منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي
وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة
او فساكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون
الزكوة خصها بالذكر لانافتها او لانها كانت اشق والذين هم باياتنا يؤمنون فلا
يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا محذوف
تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض والكل والمراد من امن منهم بمحمد صلى
وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا
يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير
او كالربى والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما
كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقري بالتخفيف واصله
المنع ومنه التعزير ونصروه لي واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني
القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره ومظهر غيره او لانه كاشف الحقائق
مظهر لها ويجوز ان يكون متعلقا باتبعوا اي اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي مبعوثا
الى كافة الخلق فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعائه موسى قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الخلق وساير
الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله و

وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمقدم عليه او مدح منصوب او
مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير الرسل
من كتبه ووحيه وقري وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود
وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه
الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل
رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في
خطة الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد به الثابتون على
الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم اضداد‌هم على ما هو عادة القران
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل لم يستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم و
صيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى
صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له
على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا وكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقري بكسر الشين
واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فا
فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال
وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم

يظلمون

يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر
والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله وكلوا منها بالفاء افاد تسبيب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر
لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج
الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به و
قرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع و
الرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيرها واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو
من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها
وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين و
الطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون
حد الله بالصيد يوم السبت اذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل و
قري يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات
الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قري يوم
اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقري لا يسبتون من اسبت ولا
يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان و

معناه ظاهرة على وجه الماء من شرع عليها اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل
بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او
معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ
لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم
ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء
عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على
المصدر والعلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم به معذرة ولعلهم يتقون
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر
الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر
بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما
قرئ مخفف عينه بنقل حركتها الى الباء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس
على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا
بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان
الناهين

الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب
مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليه احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم و
تشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم
واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان
العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله تع وشهد الله
ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى اذ اوجب ربك
على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث
الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلهم وسبى نساءهم و
ذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا
ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع
العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض
وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون شوكة لهم قط
امما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه هم الذين امنوا
بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك منحطون
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد
المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وهو
شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد عصر رسول الله صلعم
ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض
هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما
كانوا ياخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو و

ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف
والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله
ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى
مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على
البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك
ولا يستبدلوا الادنى الدني المودي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر و
حفص ويعقوب بالتاء على الالتفات والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع
اجر المصلحين على تقدير منهم او على وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير
انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل
النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه
لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور
فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا
او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال
من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج
من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم
بدل

بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم
منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله بلى شهدنا ان تقولوا
اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا
عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل
والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباءهم المبطلين بتاسيس
الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل
والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر وقد حققنا الكلام في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم من التقليد وحملهم
على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد
واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني
اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في
ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلعم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا
من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض
عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه

بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية
وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به
كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه
مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي
هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات
لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال
والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص القصة المذكورة على اليهود فانها نحو
قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يوديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ
ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا
بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار
اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في
الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم و
نفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرانا
خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه لهم قلوب لا يفقهون

دلع زبان از دهان برون آوردن است

بها اي لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون
بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون الايات والمواعظ سماع تامل
تذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في
ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها
وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد
بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى
فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم
ما نعرف الا رحمان اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق
اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقهم عليه او اعرضوا عنهم فان
الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد
اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك
بعد ما بين انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا
للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه
ان في كل قرن طايفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طايفة على الحق الى ان
ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول وغيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم والذين
كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما يراد بهم و
ذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي
حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين

اي اخذ شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا
ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه عليه السلام علا الصفا فدعاهم
فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى
الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها
وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير
الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث
بعده اي بعد القران يومنون اذا لم يومنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله
عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقران
وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يومنوا به فباي حديث احق منه يريدون
ان يومنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل ويذرهم في
طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن
يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده
احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسئلونك عن الساعة اي عن القيامة وهي
من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها
على طولها عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته
واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي
وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به و

دلع زبان از دهان برون آوردن است

ولم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة
لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين هولها
وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه و
الرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن
الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في السوال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك
عدي بعن وقيل هي صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان
بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل
قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي من حفي بالشيء اذا فرح بالسوال عنها تحبه اي تكره
لانه من المغيب الذي استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما
نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يوته
احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار
للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني
له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت
حالي فيما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير
وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز
ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وهو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل
لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء
الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت
حملا خفيفا خفت عليها ولم تلق ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو

النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاسترت و
فمارت من المور وهو المجيء والذهاب او المرية اي فظنت الحمل وارتابت منه فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له
شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا
يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة
رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت
الله يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا
في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج
من جنسه عربية قرشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد جنسها
مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه او ذوي شرك وهم
الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم
نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي
المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين
وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما
يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة
في عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوي بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها

لحوايجهم وكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان
الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث
انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما
نحتوها بصورة الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين تدعون بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما
الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي
انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه
ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى
ان يتولى الصالحين من عباده فضلا من انبيائه والذين تدعون من دونه لا
يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما
عفي لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال وأعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف
ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنخس والنسغ الغرز شبه وسوسته
للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع

يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك
عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها
طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا
وقرأ به ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب على انه مصدر او تخفيف طيف كلين
وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه
وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون
الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية
من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما
تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات
ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر
الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها
فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث
يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى
القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة
والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب

الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما
فوق السر دون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات
الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابقا للغدو
ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة
والتذلل ولا يشركون به غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع
السجود لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر
هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلعم من قرأ سورة
الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال سبعون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب
نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار
وقيل شرط رسول الله صلعم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون الينا فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على
السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول للشافعي وعن سعد بن ابي وقاص
قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به
رسول الله صلعم واستوهبته فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا
يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلعم

سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسلونك الانفال اي يسالك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي
بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله و
رسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان
كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال
له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي
خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المومن به او لاطمئنان النفس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم
ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك
هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا
صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة
لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما
اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في
كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله
والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من
بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من
المومنين

المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش
اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شئ
منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى
تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع اليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل ذفران بدر
بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم
هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم فقال ان العير
مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قال سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد
بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث حببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار
لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى
يصل الى ديارهم فتخوف الا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان
ما جئت به الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله

لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما
تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله كاني انظر الى مصارع القوم
وقيل انه عليه السلم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره
بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه
وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا
فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة
مستعار من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته
الموحى بها في هذه الحال وباوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين
ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء
الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل
وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان
الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ
تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدونا اغثنا

يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم
اني ممدكم بالف باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة
القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول من الملائكة مردفين متبعين
المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال
اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها و
اصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق
بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او على الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله
الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة و
كثرة العدد والاهب ونحوهما وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه
لفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق
بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من
اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه

او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله
لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ
امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث و
الجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته و
تخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر يسوخ فيه الاقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
ثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم
ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم
وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا
الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل
على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب
او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون به كانه قال قولوا لهم
قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل
بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الى الامر
به والخطاب للرسول عم او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله
بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف
شق الآخر كالمعاداة من العدو والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله و

ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة
بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات و
محله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او
نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر
للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ ان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم
يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع
على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا
مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية و
يجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون
اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم
يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم
من لم يعتبر القرب لما روي ان ابن عمر كان في سرية بعثهم رسول الله صم ففروا الى المدينة
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا
ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين الا رجلا متحيزا ووزن متحيز
متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله و
مأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله
عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم و
لكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت
قريش من العقنقل قال عليه السلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك

اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما
التقى الجمعان تناول كفا من حصى فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا
اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها
الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها
الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على
المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء و
لكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رمى بها يوم حنين نحو الحصن
فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اي البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي
المقصود او الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص
موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة
على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة
الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته
نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم شيئا جماعتكم شيئا من الاغناء او
المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر

وحفص وان بالفتح على ولان مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين و
المعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما
يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن
تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة و
التنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان
شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم
الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا
لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع
تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق
والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي عم احي لنا قصيا فانه كان
شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة
الله تسمع من الرسول روي انه عم مر على ابي سعيد وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته
ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي فقال الم تخبر فيما اوحي الله الي استجيبوا
لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا
اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر
الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته

تعالى لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او ما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم لو تركوه لغلبهم العدو و قتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة اخلاص القلوب و تصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصويره وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة و ظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا يصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط المتردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة الفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذيب قط واما جواب محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة و يعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون

ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين لهم فاويكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنايم روي انه عم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا و قالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة ما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون الرسول هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة و ان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضاء الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم

ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا | الذين كفروا
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات و ليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم | متابعتهم
ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عم واخبره بالخبر وامره بالهجرة وبيت عليا عم على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذه انما يحسن بالمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا

هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك لما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف ولم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود وروي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي عم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه و المراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم و المؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله و لكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به

الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما
يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب
على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانه لا يليق
بمن هذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ع ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم
يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من الحباش
من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار
عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض
الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله ص
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم
بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال

الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا
سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على البناء للفاعل وهو الله وان
يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى
على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون
الدين كله لله ويضمحل الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون
بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما
تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج عن ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم
ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم
للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى الذي
اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا
خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان لله بالكسر والجمهور على ان ذكر الله
فيه للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول يصرف الى ما كان
يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية
وعن مالك الامر فيه مفوض الى راى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى
ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلم كان
ياخذ قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم

شروع الجزو العا

الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه ع قسم سهم ذوي القربى عليهما
فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك
الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال ع
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم
وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس
كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت
ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم امنتم
بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم
العملي اذا امر به لم يرد به العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا
على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ على عُبُدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين
يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار
والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور
الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من
المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم في
مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من
الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ
فيه الارجل لا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم

لاختلفتم في الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد
هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا
للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله
امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان
وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك
والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر
ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه و
ايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان يخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات
والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم
ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا
يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم
سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ع ويقللكم في اعينهم حتى قال
ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا
يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
ايات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا
الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في

الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد لا ينبغي ان يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المومنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم ان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم

سشر الترقس كر

العارف اللاهي والعارف عرفا ... وعرف ...

حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفرقتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت المعلوم اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هولاء دينهم يعنون المومنين حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وعلا وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على

الضربين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر ذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال فرعون اي داب هولاء مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى غيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط و

قتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يومنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يومنون والفاء للعطف والسببية على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصرة المومنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحفص وحمزة بالياء على ان الفاعل ضمير احدهم او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا

حال بمعنى سابقين اى مفلتين ولا ظفر انه تعليل للنهى اى لا تحسبهم سبقوا فافلتوا لانهم
لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل
على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو
وقيل نزلت فيمن افلت من المشركين واعدوا ايها المومنون لهم لناقضى العهد او
للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته
يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعله صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لانه اقواه
ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمى به
يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل
على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير
لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من
غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها فعاهد معهم
وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم
خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيفه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم
بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال
جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو
الذى ايدك بنصره وبالمومنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية

والضغينة فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا
كنفس واحدة وهذا من معجزاته ص وبيانه لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم
يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف
ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك فالف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا
انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المومنين اما فى محل
النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجا واشتجر
القنا او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله و
والمومنون والاية نزلت فى البيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى ص ثلثة وثلثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت فى اسلامه يا ايها النبى
حرض المومنين على القتال بالغ فى حثهم واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على
الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة و
الوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن
بالتاء فى الايتين ووافقهم البصريان فى وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم
جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المومنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون الا الهوان والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل عليهم خفف
الله عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف الله

عليهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد
والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصرة
والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى و
قرا البصريان بالتاء حتى يثخن فى الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد
الاخرة يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر
الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر
بالاثخان ومنع من الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما
تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روى انه عليه السلم اتى يوم بدر بسبعين اسيرا
فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم
فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا و
حمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله ص وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك
فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على

الاثخان اى اكثار القتل والمبالغة فيه يقال اثخنته الجراحة اذا اوهنته حتى يثقل عليه الحركة شرح

ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن يقرون لولا كتاب من الله سبق
لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او لا يعذب
اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما
اخذتم من الفداء عذاب عظيم روى انه صلى الله عليه وسلم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير
عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف وتقديره ابحت
لكم الغنائم فكلوا ونحوه وتمسك به من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من
المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك
المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله فى مخالفته ان الله
غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى قراه
ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يوتكم خيرا مما اخذ منكم من
الفداء روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل
بن ابى طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذى
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث
بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد
انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى
سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى
عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود
بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعنى الاسرى خيانتك نقض عهد ما عاهدوك
فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اى فامكنك منهم
كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا
اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها

في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا
ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم
اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر
تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم
اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم
وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل وتولي بعضكم لبعض حتى
في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي
ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما
قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة
ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها
المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان
الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا
واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلعم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة و
شاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش

وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة

مدنية وآيها مائة وثلاثون
وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء أخر التوبة والمقشقشة
والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة و
المدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري
منه والبحث عن المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم
وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية لانها نزلت لرفع الامان و
بسم الله امان وقيل كان النبي اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها
وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها
فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطول او سورتان
تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة من ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله
ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله و
اتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني
ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا
فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت في
شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان
يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلعم عليا راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم و
كان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني
فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير او مأمور
قال مأمور فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة

العضباء ناقة النبي صلعم والعضب القطع ناقة عضباء مشقوقة الاذن ... رسول الله صلعم ... اذنها ... مشقوقة الاذن

العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه صلعم بعث لان يؤدي عنه كثير ولم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب
ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس
اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر
يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه صلعم وقف يوم
النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلعم الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكثر من
باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب
او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان
تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام و
الوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او
استدراك كأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم
لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى

الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا
انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي
ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ينسخها فاقتلوا
المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم
بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور
رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب
بالتوبة وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك
جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقته ثم ابلغه
مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون بالايمان وما حقيقته وما تدعوهم اليه فلا بد من
امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام
بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله و
رسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على
الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن
خبرا تبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام المستثنون قيل محله النصب على الاستثناء والجر
على البدل والرفع على الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين

سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل
للعلم به كما في قوله: وخبرتماني أنما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وقليب ... أي فكيف مات
وإن يظهروا عليكم وحالهم أنهم إن يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم إلا حلفا وقيل قرابة
قال حسان: لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رأل النعام ... وقيل ربوبية ولعله اشتق
للحلف من الإل وهو الجؤار لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة
لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من أل الشيء إذا حدده
أو من أل البرق إذا لمع وقيل إنه عبري بمعنى الإله لأنه قرئ إيلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا
أو حقا يعاب على إغفاله يرضونكم بأفواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد
المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فإنهم بعد ظهورهم لا
يرضون ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال و
استبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تفوه
به أفواههم وأكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الأكثر
لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر أحدوثة السوء اشتروا بآيات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا عن سبيله دينه
الموصل إليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أداهم إلى الصد
إنهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا أو ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة
فهو تفسير لا تكرير وقيل الأول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والأعراب
الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وأولئك هم المعتدون في الشرارة فإن تابوا عن الكفر وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين وإن
نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وإن نكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان أو الوفاء بالعهود و
طعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام فقاتلوا أئمة الكفر أي فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر

موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد
بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص إما لأن قتلهم أهم وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الأصل والتصريح
بالياء لحن إنهم لا أيمان لهم أي لا أيمان لهم على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على
أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله وإن نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا إيمان
بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا
يؤمنون على الإخبار عن قوم معينين أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية كما هو طريق المؤذين ألا تقاتلون قوما
نكثوا تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل نكثوا أيمانهم
التي حلفوها مع الرسول وهو إخراجه من المدينة وهم بدءوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه
عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة
والمقاتلة فما يمنعكم عن أن تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن
ينالكم مكروه منهم فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره إن كنتم مؤمنين فإن
قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه قاتلوهم أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه و
التوعد عليه يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم إن قاتلوهم بالنصر
عليهم والتمكن من قتلهم وأولادهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل
بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى الرسول عم
فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم
والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره و
قد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر
فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون

حكيم لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة أم حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان أن تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفي المعلوم
للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم
ويفشون إليهم أسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع والله
خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان
للمشركين ما صح لهم أن يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل
هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي
عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسل
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة
غيره روي أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم
خالدون لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
إنما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي عم قال الله إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله قرينه
وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب
الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين ذكر بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا

لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأعمالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة
مصدر سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج
كمن آمن أو جعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة
ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون
الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و
بين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم
درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية
والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة و
يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود
بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقرون دونه ما استوجبوه
لأجله أو نعم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت
في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا
وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم
الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم و
عشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشر فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد

العشيرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ عشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله و
رسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة
او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان تقدر وايام مواطن او يفسر المواطن بالوقت
كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه
لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع
المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر
الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا
اربعة الاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا
بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا وادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ
فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم في مركزه ليس معه الا العباس اخذا بلجامه وابن عمه سفيان بن
الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة والتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من
تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من
الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها
مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم
الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعاده

اليهم للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله ولم يفروا وانزل جنودا
لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء
كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله
غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان اناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلعم و
اسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا
اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم وقال
ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من
لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب من الانجاس او لانهم لا يتطهرون
ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون
وهو ككبد والاكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن
الاقتراب للمبالغة والمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول
واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة
حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من
قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا

لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها
مصدر كالعافية او حال ان شاء قيد بالمشية لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل
في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم
حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما
على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم
يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ
سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى
يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد
حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير
باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ
من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم على
الجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء
وعن ابن عباس يؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص
الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم يكن يأخذ الجزية عن المجوس حتى شهد عبد الرحمن
بن عوف انه عم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان
لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا و
عند ابي حنيفة يؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عم صالح عبدة الاوثان الا
من كان من العرب وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء
فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها
وعلى الفقير المكتسب ربعها ولا شيء على الفقير غير المكتسب وقالت اليهود عزير
ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه

لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل
على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقراءة
عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به
وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها
للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا و
هو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح
ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد
لنسبة هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول
الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيهم وقد
قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعلاء للتي شابهت الرجال لانها لا تحيض قاتلهم
الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح
ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل
على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول و
سائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر
للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا

نور الله حججه الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد صلعم بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام و
قيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث
في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر
ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر
بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على
ساير الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار و
الرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال
اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون
مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال و
يقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ و
يدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا
ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان
الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او
بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يود حقها لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويا
عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة
صفحت له صفايح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو
الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله
يحمى النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على

المقصود وما نقل من صيغة التانيث الى التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد
بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي عم اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا
قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى
بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل
واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على
الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي
هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه
وقرئ تكنزونه بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة
لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر
وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان
جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها
اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك
الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم و
العرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا
كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان تغزوا في الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا وبدوا اولا وما روي انه صلعم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال و
ذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف
عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان

لهم بالنصر بسبب تقويهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام
وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي
بحذفها والنسي والنساء وثلثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله
الله وتحليل ما حرمه وهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زايدا وقرأ
حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى
يحلونه عاما يحلون النسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما
ويتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في
الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة
المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة
وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية
الله موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن
معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف غيظه
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك
بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل
اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فان الغني
عن كل شيء في كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده

حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال
الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل
عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن
يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له
بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه
على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في
اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف
لثاني اثنين لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم
الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي يسكن
عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود
لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني
الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى
وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبداء له او بتاييده اياه
بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصرة له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان
فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في
امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم و
كثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قا

ابن مكتوم لرسول الله صلعم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم
وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون
الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه وسفرا قاصدا
متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة
وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله
يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه
في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو والمعاتبة عليه والمعنى
لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى
يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين
ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفون على الاذن
فيه فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله
عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار
بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم
في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ
عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين

باضافة

باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا
الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن كراهة الخروج تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله
في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول
لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا
فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا الا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون
لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم للعام الذي هو وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب
في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم
ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم
وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد
فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل
من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا
الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم
كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله
لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم وتداركا
لما فوت الرسول بالمبادرة بالاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في
القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار

اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا
اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان
جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الان لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك
في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحرجوا بانفسهم
واستحمدوا آراءهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم او عن الرسول صلعم
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته و
ايجابه من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم و
قرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره
قل هل تربصون تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوءيين ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر
في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين
في عدم القبول وكانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا ياخذه منهم وان لا يثابوا عليه لقوله
انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول
نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي و
قرئ نقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا

كرها

وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر
في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون
بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون
منكم اي يفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا
يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يجرون فيه مفتعل من الدخول وقرا
يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا و
مندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا
يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك و
قرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة
راس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما
اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلعم فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم

جمع غار كغيران جمع غار

وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسمة الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه
من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه ص
كان يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم جمع اسلموا ونيتهم ضعيفة
فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله ص عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك
وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه ص كان يعطيهم من خمس الخمس والاصح انه كان
يعطيهم خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي
الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي
الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل
بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام
الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين
المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء
لقوله ص لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل
له جار مسكين فيتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وابن
السبيل وفي الصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء
القناطر والمصانع وابن السبيل المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي
اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية
ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه
ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى

صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي جدي والدي
على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف
وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل
اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه
يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم والايمان بمعنى الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر
الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل
رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل
عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان
خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب
للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله
احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه اي الشان
وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم
خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على
انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين

فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا
في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه
فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما
تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله ص في غزوة
تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات
فاخبر الله نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ
باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا ولا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد
كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان
نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء
للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن
المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن
الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان
المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي

حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته و
اهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ
الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم
المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين
خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا
والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين و
اهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ا
ائتفكت بهم اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله
ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان
الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد و

والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عم عدن دار الله التي لم ترها عين ولا
خطر على قلب بشر لا يسكنها الا ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجمع على سبيل التوزيع
او الى تغاير وصفه او لا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها ليميل اليه طباعهم اول
ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يخلوا
عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات
في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان
من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان
الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما
فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ
عليهم في ذلك ولا تحابهم وماويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا
روي انه عم قام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس
بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلعم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك
الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا
عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث

نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك
من المعيشة فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته
اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من
ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي عم فقال ادع الله
ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل يؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال
والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت جزية فارجعا حتى اري فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها و
هلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله وتولوا عن طاعة الله
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي جعل الله عاقبة
فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو
يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ

بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروا في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف
ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم و
قرئ يلمزون بالضم المطوعين اي المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف
فاقرضت ربي اربعة آلاف وامسكت لعيالي اربعة آلاف فقال رسول الله صلعم بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه على نصف الثمن على
ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع
تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله
ان ينثره بالصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان
الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في
الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله
الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلعم في مرض
ابيه ان يستغفر الله له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عم فهم من السبعين العدد لانه الاصل فجوز ان المخصوص صح
يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على اقسام العدد فكانه العدد
باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم

الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر و
الارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع
هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول
الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او
انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء
بما كانوا يكسبون اخبار بما يؤل اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة
على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من
القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود
اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة
هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد الخروج ع
كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلعم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب

ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه
لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين
اسر ببدر والمراد بالصلوة الدعا للميت والاستغفار وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي
ولا تقم على قبره اي لا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد و
الامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان
تكون في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله
ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذو الفضل
والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد
وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني اسدا و
غطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا
ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه
موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرين

من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر
وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على
المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني
عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما
يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على
المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور
رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء
او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء و
عبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعتبة بن زيد اتوا
رسول الله ع وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك
فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى وقومه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا
جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور
في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا
فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا
يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف
لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة

الخوالف وايثار الدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم
لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذا السفر قل لا
تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من
اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى
الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة
على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهولاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض
وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار
لا ينفعهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم
لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله تع ورضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم
ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا
عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم
لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق
بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله
عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا

وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه ويتصدق به مغرما غرامة
وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر
دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل
مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف
اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين
والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله و
اليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند
الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه ع كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان
يصلي عليه كما قال ع اللهم صل على ال ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها
قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف
التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرا ورش بضم الراء سيدخلهم الله
في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور
رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين
وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا الى القبلتين او
الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى كانوا
سبعة واهل البيعة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون
بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله
عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع

مستلزم الدعاء على العذاب

خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ومن حول بلدتكم يعني المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حول المدينة
ومن اهل المدينة عطف على من حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره
في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتداء لبيان تمرنهم وتمهرهم
في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع
التهم الى حد اخفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على
اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى
عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم
بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين تقدم رسول الله ص ودخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيئا هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل
واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله
اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انه لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها و
طهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال
المودي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم و

وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد
بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت
وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز وياخذ الصدقات ويقبلها قبول من ياخذ
شيئا ليودي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين
والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا عملكم
ورسوله والمومنون فان الله تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى
عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون
من المتخلفين مرجون موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع
وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم
ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان
كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن ربيع امر رسول الله ص
اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا
امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او
مبتداء خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمومنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله ص ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن
عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابن عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموا
اتوه رسول الله ص فقالوا انا قد بنينا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابن عامر الراهب الذي
للحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم
فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا

الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي
يضمرونه وتفريقا بين المومنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا و
ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله ص يوم احد لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزم مع هوازن وهرب الى
الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش
يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله ص ان ياتيه
فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر و
التوسعة على المصلين والله انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد يشهد
اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله ص وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين
الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله ص لقول ابي سعيد سالت رسول الله ص عنه
فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان فيه اي ثمة
يصلي فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله و
قيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله ص ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد
قباء فاذا الانصار جلوس فقال اموءمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مومنون وانا معهم
فقال ص اترضون بالقضاء فقالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء
قالوا نعم قال ع مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي
تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الماء فتلا
رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير

على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به خوره وقلة استمساكه
الى السقوط في النار وانما وضع شفا جرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة
الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته
التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان
مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه و
اس بنيانه على الاضافة واسس واساس بالفتح والكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على
ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي
القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناهم الذي بنوه مصدر
اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة
في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على
ذلك ثم لما هدمه الرسول ص رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا
ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة وقيل المراد بالقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل تقطع بالتوبة ندما
واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ
يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة
والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض يسند
الى الكل ويقتلون وعدا عليه حقا مصدر موكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية

وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مذكوراً فيهما كما اثبت في القرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ التائبين بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين الْعَابِدُونَ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الْحَامِدُونَ لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السَّائِحُونَ الصائمون لقوله سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ في الصلوة الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ بالايمان والطاعة وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ روي انه عم قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ بان ماتوا على الكفر وفيه دليل

على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم ع لابيه الكافر فقال وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ وعدها ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تَبَرَّأَ مِنْهُ قطع استغفاره إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حَلِيمٌ صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ للاسلام حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر للرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيعلم امرهم في الحالين إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود والمتولي لامره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام ينقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عن الثبات

يقسمان د — والكرش

على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ اي وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الَّذِينَ خُلِّفُوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤن حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وَظَنُّوا وعلموا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ من سخطه إِلَّا إِلَيْهِ الا الى استغفاره ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق للتوبة لِيَتُوبُوا ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او انزل قبول توبتهم إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرَّحِيمُ المتفضل عليهم بالنعم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فيما لا يرضاه وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذَلِكَ اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بِأَنَّهُمْ بسبب انهم لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ شيء من العطش وَلَا نَصَبٌ تعب

وَلَا مَخْمَصَةٌ مجاعة فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ ولا يدوسون مَوْطِئًا مكانا يَغِيظُ الْكُفَّارَ يغضبهم وطؤه وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا كالقتل والاسر والنهب إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ولو علاقة وَلَا كَبِيرَةً مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ اثبت لهم ذلك لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ بذلك أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ

فرقة

يلونكم من الكفار امر بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع الرسول صلعم فيعاينون ما يظهر عليهم من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا هم يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم على ايمانكم في صلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب

رحمتي

العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله عنه ان اخرها نزولا هاتان الايتان وعن النبي صلعم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرا ورش بين اللفظين واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناد رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه غير المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين قرا الكوفيون وابن كثير لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم

صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او ما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرا ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الانبياء

بلطفه

/ح/

والقصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذات نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة بذاتها والقمر نيرا بالعرض بمقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم فيها لاهيا لهم فيما يضادها والعطف لما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك طريق يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال صلعم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له

تجري من تحتهم الانهار استينافا وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم
فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي بعضهم بعضا
او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اي يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه
بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم
بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر
استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي
عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف
على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا
او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعا لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعا لا يرجع اليه
كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال وكان ثدييه حقان
كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على
ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد
او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم

/د/

وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم
نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال
جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها
بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا
او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه
ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها
ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من
البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا قل ما يكون لي
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى
بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى
الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك
قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل
عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء
الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولا
ادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى
انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم و لا
ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه بمعنى الدرء بمعنى
اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى
اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة

او تبديله بان تفعل مكانه ان لا آية التفله عن ذلك اخرى
ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه

من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة
فان من عاش بين ظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم
ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور
ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا تفاديا مما اضافوا اليه كناية او تظلم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو
شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع او دفع ضر والمعبود
ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر و
يقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي
الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد
الضار النافع الى عبادة ما علم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده
قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بهؤلاء
شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض
حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما
سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك
به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما
كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد
ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه

/و/

يوم الفصل والجزاء من ربك لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل
وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها
فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة من مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله
بكم لجحودكم ما نزل عليه من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها
والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله
بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكذبون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد
دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه
لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله
هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم في السفن وجرين بهم فيه عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم
ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح
جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم
احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا
الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة
الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا الله من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجئوا الفساد فيها وسارعوا

الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة و
احراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على
انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة
الدنيا لا يبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف
تقديره ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد
اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من
صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول
فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم فى القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها
بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها و
الوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين وتزينت بها وازينت اصله
تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذا زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من
حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا
زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف
محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل فى الوقت
القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد
ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء
وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم
يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من النقص والافة

او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على
من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك
ذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية
دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا كقوله ويزيدهم من فضله وقيل
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من
الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما
يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا
زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار
زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض
فجزاء سيئة مبتدا وخبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم
ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمومنين كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل
فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرا ابن كثير والكسائى ويعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية فى الكفار لاشتمال السيئات

على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم
قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد الضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من
عبادتهم وانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به
وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين وقيل ينطق الله الاصنام فيشافههم
بذلك مكان الشفاعة التى توقعوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة هنالك
فى ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره
وقرا حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله
فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها
اى نفعل بها فعل المختبر بحال المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبا بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم
ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
الموكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او
ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان
الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من
لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها
من ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او

من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم
وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك
لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شئ من ذلك
فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لان الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الحق وقع فى
الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله وان الحق بعده الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم
خرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يومنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها
لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول ان ينوب عنهم فى الجواب فقال
قل الله يبدا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل و
التوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان
المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله
قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى
ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا
ان يهديه وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن
نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد و
الاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين لان المدغم فى
حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم
كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا

ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على
المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى
بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب
والاكتفاء بالظن والتقليد غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم
عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى افتراء من الخلق من دون الله ولكن
تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا
يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان
مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير
ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب
فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من
الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بها ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما
يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار
قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية
والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن
امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل
ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء
وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم
معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب

والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا
معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم
في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا
ولم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن
به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما
يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك
وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران
وعلمت الشرائع لكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر
على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة
استماع الكلام فهم معنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف و
التقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة ولم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما
ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك
ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الا
حق والاية كالتعليل للامر بالتقوى والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب

حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان
يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكن
ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال اي نحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا و
هذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله
كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون
على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادتهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض
الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا
مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك
ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية
رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم
بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون
وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليهم فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب

العذاب

العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب
لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا
يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا
يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق
بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا
اليه من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او
تعرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة
بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير
الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع
الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم
قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق
ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم
مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ
الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم
والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما
ادعاه لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواو القسم في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها و
اموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة

لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوا من فظاعة الامر وهوله ولم يقدروا ان
ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه
من حيث انه يخفى ويضن به وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة
المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم
عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم
لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في
الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة
بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور
من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم
فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران
بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال
القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير
تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان
بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك
اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما
ليفرحوا والثانية للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء

على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من
حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم
فانه بمعنى اخبروني ولكم دال على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه
حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله
تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما
ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة اي اي شيء ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا
عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد
تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون
في امر واصله الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه له
لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله
ومفعول تتلوا من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم
ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم
شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب
عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء هنا وفي سبا من
مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال

اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ
حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل
الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من
لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول ثم بين ذلك وفسره بقوله الذين امنوا وكانوا
يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان
نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما سنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي
الاخرة تلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين
امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا
تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه و
ليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل
ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا
منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا
ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين
هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا
ولا شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء
على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول
يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم
انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ

يدعون بالياء والمعنى اي شيء يتبع الذين يدعون شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون
الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم و
منشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها
شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على
كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بها ليدل على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم
يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن
التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم
من سلطان بهذا نفي للمعارض بما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان
قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان
الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشرك اليه لا يفلحون لا ينجون
من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في
الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي
لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله
فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم

ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف
على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركائكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجماع على
قصدي والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره ثم لا يكن حالكم ستر
عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى
اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما
سألتكم من اجر توجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني بتوليكم ان
اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت
ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على
تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة
العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من
الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات
الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في
الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل
بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك
ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا

برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة
المزيلة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح
فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما
قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه
اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون
للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول
ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل
اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على
الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان
ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره
ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا
يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك
فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل
دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة

من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على
خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما
هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم
ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة
على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه
لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى
لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا واعتمدوا
عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط
ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين
ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم اعتقادهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك
اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة
في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم
وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من
المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون

غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان
ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال
كانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا مكررا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرهم تمهيدا لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد
على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما
عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث
فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في
الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان و
لا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى
اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا
حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا
اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف
بدلا او تفسيرا لآمنت فنكث عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن
الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل و
قرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اي ببدنك عاريا من الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع

من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم
بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا
مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان
عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مقهور مملوك بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن
خلقك اي لخالقك آية كسائر آياته فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يتدبرون بها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا
صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى
جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او
في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في
شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤن
من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام
لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع
اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجه
شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك
واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما

انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في
العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان
السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ
لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة
العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان
يكون الجملة في معنى الاستثناء متصلا لان المراد بالقرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية
من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل و
متعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه
واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل
والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة
والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر أفانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى
يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار و
تقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه الاكراه عليه فضلا عن الحث

والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره
بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في
هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ
ابو بكر نجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا
يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية
علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه
وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك علينا ننج المؤمنين كذلك حقا
الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله
المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي
يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه
العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة
ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لدلالته عليه
وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه

فقد تركتك ذا مال وذا نشب

باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان
دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء الشرط وجواب
السؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه
الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراده بك ولعله ذكر
الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان
الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما
يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير
من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه
بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر
ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول
الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم و
تحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او الامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه
لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية
وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت آياته نظمت
نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان
المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول
من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل
فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت

على ان البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على
اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد والامر
بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه
من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم
عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق
الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون
ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعقاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال و
لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل
من دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا
وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم
وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير
لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء
للمبالغة وتثنون وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد
به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة وتثوى
بوزن ترعوي ليستخفوا منه من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه وقيل
انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث

بالمد

بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم
ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى
ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذوات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه عليه و
يعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها
في الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل
كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد
بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها
تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او في جهتي العلو والسفل وجمع
السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان
عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على
امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن
الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك الخلق من خلق ليعاملكم
معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج
اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل
البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا
ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا

بحر مبين اي البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان
وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى
ذكرت او يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره
لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعد الى امة
معدودة اي جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم معموله وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي
موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا
به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا
تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني
اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام
بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما
يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول
الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه
سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل
الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هنا و

وضائق

ضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لو
لا انزل عليه كنز ينفعه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير
في به مبهم تفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا
او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم
بحالهم وفاعل بهم جزاء اعمالهم واقوالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى
قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم بعشر سور ثم لما عجزوا عنها
سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على
مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا
من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر
الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا
يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه
الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم
القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم وللتنصيص على هذا الكلام الثابت
صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من امر الله الهتهم فهل انتم
مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا
لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه
الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون
في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من

انعامهم

معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول و
نوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله فان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الريا وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما
عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة و
حبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله و
العمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا و
باطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها
وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في
زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق
والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم و
افكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن
كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عم
وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه
شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبرئيل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في
يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين و

ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان
على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران
وقرئ مرية بالضم وهو الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم
واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى
عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم
ح لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم
بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما
كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر و
يعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما
كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر
لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
او بعد خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم
في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم
والبصير والسميع يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه
عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره
بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى و
الصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم
فالايب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا
او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين
لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين و
يجوز ان يكون مفسرة متعلقة بارسلنا او نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو
في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك
صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع رذل بادي الراي ظاهر
الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ
ابو عمرو بالهمزة وانتصاب الظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي
والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من
الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين انت في دعوى
النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء
او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة

او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها للاختصار
او لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله
انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها
وحيث اجتمع الضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان
اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سألوا طردهم
انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف
اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون
عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه ان طردتهم وهم
بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس
بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه واموال حتى جحدتم فضلي ولا
اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على
اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري
اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموه لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله
لهم في الاخرة خير مما اتيكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء
في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الروية من غير
روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل معانيهم وكمالاتهم قالوا
يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او فاتيت بانواعه فاتنا بما
تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب

او المرتبة ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان
انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلاما بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح
تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم
بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة
الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق
التمثيل ووحينا كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان
يعملها برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه
عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما
بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه و
ارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في
الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض

او اشرف موضع منها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين
من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه
واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا
تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة
ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش
وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا
لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو
اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى و
المرسى للوقت او للمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي
اجراؤها باسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق
لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها وكلاهما
يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا
مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي
فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من
الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما
بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال

خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها و
ابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما
وهو خطأ اذ الانبياء عصمت عن ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه
وعن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور
كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها
في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثاني في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا
على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة عنه في سائر المواضع وقد ادغم
الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او
الانعزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد
بذلك ان يكون اليوم معتصم من الجبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من
رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او الجبل وكان من المغرقين فصار
من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم
وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر
المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة لعظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف و
الاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمد روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم و
صارت سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد بعدا بحيث
لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن

نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم
بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل
عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل
وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله لم ينج ويجوز ان يكون
هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من
ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك
لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل
لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء
تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير
الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة من اهله عنه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو
ام ليس وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده و
استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه
عن السؤال لكن اشغله حب الولد حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون
الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية
لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش
في الاصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي
بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي
اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من
المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات

فى تسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة بالتوحيد وهى الخير النامى وعلى أمم
ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة
ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وأمم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم
فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب
ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب
اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو
الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
خبر اخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او
الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر
نوح ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى والى عاد
اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المحل ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ
الاوثان شركاء او جعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى
فطرنى خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطاء
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة
وايضا التبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء
عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر
وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم المطر واعقم
ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف
القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا

يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركى آلهتنا بتاركى عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير فى تاركى وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من اعتراه يعروه اذا
اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى و
تتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انى اشهد الله
واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم
تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى
اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التى هى جماد لا يضر ولا ينفع لا يتمكن من اضراره وانتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا للثقة بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه
بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لم تضرونى
فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون على ما
لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى وهو مالك لها قادر عليها
يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم اى انه على الحق
والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما
ارسلت به اليكم فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله
يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة
بالجزم على الموضع كانه قيل ان تولوا يعذرنى ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر

ومن ضمه جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم
من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة والمهلكين كما
عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم
الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا
بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا
بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند
عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من
دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اى جعلت اللعنة
تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه فحذف
الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما
نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم
قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان
استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد
النطف التى خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم
على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او
جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان
ربى قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى
فيك من مخائل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور او ان توافقنا

فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا منك أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرى عن
الاوثان مريب موقع فى الريبة من اراب او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب
فى الامر قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار
المخاطبين وآتانى منه رحمة نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذابه ان عصيته
فى تبليغ رسالته والمنع من الاشراك به فما تزيدوننى اذا باستتباعكم اياى غير تخسير
غير ان تخسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدون بما تقولون لى غير ان
انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكرها فذروها تأكل فى ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا ثلاثة
ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع
فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز كان
الواعد قال له انى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود
والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ
اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وقرأ نافع
والكسائى هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من
المضاف اليه ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص ان ثمود هنا وفى الفرقان
والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونها ابو بكر هنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى والاب الاكبر و

ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل و
اسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما قال سلام اي امركم سلام
او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم و
كذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجي به او فما تاخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ
المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلول لقوله بعجل سمين
فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا تمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة
انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك
وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة
مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني
اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى
ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان يحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على
موضع باسحق او لفظ اسحق وفتحه للجر لانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته
الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه
نظر والاسماء يحتمل وقوعها في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعها في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به
وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة

حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء
على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم
بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا
لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم و
الكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في
ملاحظة الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان
فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا
او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله
والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على
ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك
قدره بمقتضى قضائه الازلي وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا
في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرا
نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت والملك والباقون

باخلاص حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة
الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد
من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل اي ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
السيئات الفواحش فمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال
يا قوم هؤلاء بناتي فدا بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا
يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار
او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك
كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية
وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا
او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن
خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فان هن لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله
بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من
الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على
دفعكم او اوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن
النبي عم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان
كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق
بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك
باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب بجناحه وجوههم

فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك
بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السرى بقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه
والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك و
يدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات
بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على
البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا
يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في
قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها
ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه
علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما
جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها
سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند
الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عم ادخل جناحه تحت مدائنهم
ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلب وصياح الديك ثم قلبها عليهم وامطرنا
عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله
سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل
او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم وقيل اصله من سجين
اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع
بعضه على بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب

وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها عند ربك في
خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم و
عنه عم انه سأل جبريل فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمى مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام و
تذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم
او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا
تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها
ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه و
هو بالجملة علة للنهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل
عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال و
الميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن
تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون
محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار
او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشر من المعاملات والعثو السرقة وقطع
الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا
تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان
خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين

تطفيفكم بعون لكيل كم

لى في قولى وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء
وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم
اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ
عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك
ما يعبد اباؤنا عن الاصنام اجابوا به امره بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس
ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائى
وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان نترك فعلنا ما
نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن
التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فاراد وا به
ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا
انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى مثل
ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اشارة الى ما اتاه الله من العلم و
النبوة ورزقنى منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف
والنهى عن دين الاباء والضمير في منه لله اى من عنده واعانته بلا كد منى في تحصيله وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى وما اريد ان اتى ما انهاكم عنه لاستبد به فلو
كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما
استطعت اى ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر ما دمت استطيع

الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه ما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا
النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة
اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان امركم
بما امرتكم به وانهيكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف وقيل خبرية بدل من
الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقى الا
بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر
المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز في ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
فيما ياتى ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقى معاداتى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم
فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى
الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبنى كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم
في الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم
بشئ بعيد ولا يبعد ان يستوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل
والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفقه كثيرا مما تقول

كوجوب التوحيد وتحريم البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم و
عدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم
وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا وقيل اعمى بلغة
حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على
ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك
برمى الحجارة او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن
السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفى
تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال
يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ
وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على لله وتبقون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ
والرد والتكذيب وظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغيير النسب ان ربى بما تعملون
محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح
بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا
يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له
كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من
المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى
اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما
اقول لكم انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم
يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد

مكاناتكم

وذلك قوله وعد غير مكذوب ذهب انه ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا كان لم يقيموا فيها أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا بالتورية او المعجزات وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ هو المعجزات الظاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلنا بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الى النار كما يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانهم موردا ثم قال وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اي يلعنون في الدنيا والاخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة

في الدارين ذَلِكَ اي ذلك النبأ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مقصوص عليك مِنْهَا قَائِمٌ من تلك القرى باق كالزرع القائم وَحَصِيدٌ ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا اياهم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حين جاء عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ هلاك او تخسير وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الاخذ أَخْذُ رَبِّكَ وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر إِذَا أَخَذَ الْقُرَى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وَهِيَ ظَالِمَةٌ حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم نفسه او غيره من وخامة العاقبة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير إِنَّ فِي ذَلِكَ اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لَآيَةً لعبرة لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذَلِكَ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الاخرة دل عليه يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات ذلك الجمع وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقولك في محل من قومه الناس اي كثر شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وَمَا نُؤَخِّرُهُ اي اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يَوْمَ

الى ان والاهم اهل النار

يَأْتِ اي الجزاء او اليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ لا تتكلم بما ينفع وينجي من عقاب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف إِلَّا بِإِذْنِهِ الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجبت له النار بمقتضى الوعيد وَسَعِيدٌ وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم من الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم وان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من

بمنعون كذا

قال ابن عباس ان ربك فعال لما يريد بمعنى اخراج اهل التوحيد من النار

شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من غير اعتراض وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ في شك مما انزل عليك من مال الناس مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال يؤدي الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه لا يضر ولا ينفع مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر

العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به
قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار
الى القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة
بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت
ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون
خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد و
النبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة
للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين
والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط
مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال شيبتني سورة هود ومن تاب
معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم
عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير
تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم
ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم
واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي
الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور

في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم
على نفسه وقرئ تِركنوا فتِمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتُركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من
دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عليكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم
الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم ثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب
عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد لانه لما بين ان الله
معذبهم وان غير الله لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي
النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب
الصلوة من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان بعد الزوال عشي وصلوة الزلف
المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى كقربى وقربة ان
الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما
اجتنب الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي ع وقال اني اصبت من امرأة غير اني لم اتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر
على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا
كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل اولو الفضل وانما
سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه ما يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا
قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل
استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات

واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما
كان سبب الاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته
ومسامحته في حقوقه ومن ذلك تقدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول الدين و
العمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا
من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك
بيان لكلا او بدل منه وفايدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص زيادة يقينه وطمانينة قلبه وهو
وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر
بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك
في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اشارة الى سائر فوايده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون مكانتكم وس
على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب
السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع

لا عاقبة لامرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك
وفي تقديم العبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون
انت وهم فيجازي ما يستحقه وقرا نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي اخر النمل عن
رسول الله صلعم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن
كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء
ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب
المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة
الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود
ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام
الى مصر ومن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه
في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما
موطية للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه
او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه
مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموا وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه
كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن
الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب واحسن ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم
والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما
اوحينا بايحائنا اليك هذا القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على
ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل كونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب

باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به
لا انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم وعنه عم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يا أبت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في
الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في
كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا
ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوضين والعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من
غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف
الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي
احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلعم فقال
اخبرني يا محمد عن نجوم رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان
اخبرتك فهل تسلم فقال نعم فقال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والفروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن
من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف
بيان لحالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال
يا بني تصغير ابن صغره لشفقته او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشر سنة وقرأ حفص
هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا
لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرف
التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من
تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه

مسئلة في علة الرؤيا ومبحث في الرؤيا

بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد
بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا
فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه
قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن
الانبيا وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء
الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل ذلك
الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم
يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل
قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد
باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر و
دينه من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت
له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي
وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه
بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من
لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب

في الحب جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا
كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم
ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة يروى انه كان احب
اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم
يصبر عنه فبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله
اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به
الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها و
لذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او
نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في
امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم
فيهم رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في
قعره سمي به لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه
لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة
الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين مشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له
لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه
منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام و
من الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء
يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال
وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب و

يعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب
لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره
وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون واليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر
وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون
لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن
عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وفي نحن الحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بارض الاردن او
بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني لا تقتلوه فاتوا به الى
البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به
الى ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا الي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر
يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت
فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن عشرة سنة وقيل كان مراهقا
اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلم وفي القصص ان ابرهيم عم حين القي في النار جرد
ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما
فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون

بشره بما يؤول اليه امره ايناسا وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم
لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عُشيا وعُشاء بالضم والقصر جمع
اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني و
اين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن
لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم
كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض
الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب
على الظرف اي على فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر
يوسف صاح وسأل قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت
لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السوء وهو الاستزلال فصبر
جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى
الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء و
يستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها
يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى
فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي
بالاضافة وقرئ يا بشريّ بالادغام وهو لغة وبشرايْ بالسكون على قصد الوقف واسروه
اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه

له بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتيه
يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة فقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه و
سكت مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من
البضع من مال التجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم وشروه بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وقيل كان عشرين درهما
وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين الراغبين عنه والضمير وكانوا ان كان
للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن
الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء وروي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلثين سنة وآتاه الحكمة
والعلم وهو ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف في ما اشتراه به من جعل شراه
غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده
عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا او نستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه و
كان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي
قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا

وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير وجهان او اشتروه من اخوتهم

عزيزه

محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه
من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد
في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها
او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كما فعل
لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به
اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم آتيناه حكما
حكمة والعلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي
المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود
اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد
للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر واذهب تهيات والكلمة على
الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء
تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء من غير همز كعيط وهي لغة فيه وقرأ
هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من
هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا
انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف
على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزاني
ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه

ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل
الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفته الهم
كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنى وسوء مغبته
لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات
الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل
له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا
دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى
الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنع الخروج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره ليوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا
السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته
له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن
عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي ع تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة ابنت فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ع وانما القاه الله الشهادة على لسان اهلها
ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل
على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت

[illegible]

توبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول وعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة
لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمتن علي باحسانك امتن عليك باحسان السابق و
قرئ من قبلُ ومن دبرُ بالضم لانهما قطعا من الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك
ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
اشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشياطين يوسوسون به مسارقة يوسف
حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره و
استغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم جمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار غير
حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعر الحكاية في
مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها و
العزيز بلسان العرب الملك واصل الفتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها
حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف
الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها
في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن
وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة
فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشتغلن عن

نفوسهن فيقع ايديهن فيقطعنها فيبكتهن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا
خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه قال جميل وظللنا معه واتكأنا
وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ الطعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين
وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما
يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكاء من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي ع رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من
اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على
حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع وان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق
مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد
معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك
وقرئ حاشا الله بغير اللام بمعنى براءة الله وقيل حاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة
المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في
ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز
في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبيد
مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال العائق والعصمة
البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه الا الملك قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه اي هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به
قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه كما عاينتن لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني فيه

موضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته
ولئن لم يفعل ما آمره اي ما امر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير
ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا و
صغارا والصغر من صغر بالضم صغرا وقرئ وليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون
كتبت فيه بالالف كنفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن
وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها
زنا نظرا الى العاقبة وان كان مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما
ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله على من
كان يسأل الصبر والا تصرف عني كيدهن وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك
الي وتحسينه عندي بالتثبت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي
ومقتضى شهوتي والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها
وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب
له ربه فاجاب له دعاءه الذي تضمنه والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة
حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز من بعد
ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت
زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن
سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى لغة

هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني
الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما
يؤول اليه وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين
وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل
السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا
نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته
فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل
ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء او النازلين منازلهم من العلماء في الهداية
والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة قبل
ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن
والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله
اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب
او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوثوق عليه ولذلك جوز كاملا ان يصف نفسه حتى يعرف ويقتبس منه وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا وما يصح لنا معشر الانبياء
ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث
اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كمن يكفر بالنعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على

الاتباع كقوله يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام
خير أم الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من
غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما
لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد
للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة العبادة على طريقة الخطابة ثم برهن
على ان ما تسمونها آلهة وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق الالهية اما بالذات واما
بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي
العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيتخبطون في جهالاتهم
يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك
وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي
الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه
الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسة له
او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله
يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد

في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات وسبع اخر يابسات
قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها
بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانها لبيان الجنس وقياسه عجف لانه
جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة
اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف
فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة
في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن
بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها
تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما
انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول
القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى الشخص يوسف ايها
السجن

والحزمة حزمة الحطب وغيره
يقال ضغثت الشي اذا جمعته

الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ
في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن
لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن
جازما من الرجوع وربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على
عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون
الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة
خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع
شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث
وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة و
الكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون
المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي
بنزع الخافض او بتضمنه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع
في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او
بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما
جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر

براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على
انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي عم لو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن
تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب
وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم
كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال
ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا
عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من
حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة
ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم
قال يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او
وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا
يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل
على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه
بقوله وما ابرئ نفسي اي ولا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب
بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء
من حيث انها مائلة بالطبع الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها
كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك و

وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل
والمستثنى نفس يوسف واضرابه وقرأ نافع والبزي بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام
ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على
نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف من الوسخ ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره و الدعاء اذا دخل على الكافر / اللهم
اعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان
ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها واجابه بجميعها فتعجب منه وقال احب ان
اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه
على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج
منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرايم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض
ولني امرها اليه والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها
ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امر لا محالة اثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وكذلك مكنا
ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى و
قرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر
المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى خلت السنون المجدبة
وعم القحط مصر والشام ونواحيها وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير

حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حالته التي رأوه عليها
من حالته حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم
بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة
كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا
معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا
كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر
قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب شمعون
وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا للاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط
عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف
والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي معطوف على الجزاء قالوا سنراود
عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه
لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق
قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبئ بضاعتهم التي
شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا
من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم

يعرفونها لعلهم يرجعون حين ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا
اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء
على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء
نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما
حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير
اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك
ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا
اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة
على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه و
قيل انه كان من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله
معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله

اي عهدا موكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني
به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق و
اتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقرب والكرامة عند
الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في
الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس
التامة خ آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام اعوذ بكلمات الله التامات من
كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به
اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا
ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد
ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه وهي شفقته عليهم
وخوفه من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي و
نصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس
لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه
ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين

وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل
اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا
اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال
بها وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد
ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء
عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة
وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي
وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك
وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به
حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز
الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة
باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم
على براءة انفسهم لما عرفوا منه في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد
البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب كيلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما
جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في
ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ
من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزامه
وخبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة

الكعام شد على فم البعير

الظاهر

الظاهر مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة
فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه تذكر وتؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب والتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز
ان يكون منقطعا اي ولكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ
لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم
ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل
العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب
انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة
عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل
كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم
اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة
التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر
مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو
يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر
ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه يتسلى به عن
اخيه الهالك انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك ومن المتعودين

منه فسرقه

في الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ
بغيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله
اذن في ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي
استايس بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه
انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم
تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه
لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في
شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء و
الخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها
او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب
غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين
لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا
من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق و
دس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك

تصاب به كما اصيب بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها
لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها و
اصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي
فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم اي زينت وسهلت لكم
انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين
واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه
والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه
كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم
يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء
عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ
على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا

على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا
يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من
الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر
الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته
وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما
لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي
وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اي من رحمته يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما
دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا
الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها
من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا
وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على
ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا ان الله يجزي
المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عم في القصر هذه صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده
عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون
قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة
وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب

فتعرفوا منهما وتحسسوا
من حالهما والتحسس
طلب الاحساس صح

في تخليص بنيامين وذكر اباه ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك و
انما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك
لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير وقالون
على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال
انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي وذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي من يتق الله ويصبر
على البليات او على الطاعات او على المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين
موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك
الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان
شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا بك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم اي لا توبيخ تفعيل
من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي
يمزق العرض ويذهب بماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبره
او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم الذي مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير
والكباير ويتفضل على التايب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك
تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر
كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ وقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين
بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم

لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل
عليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع في لقائه
فلما ان جاء البشير يهوذا انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا
اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد
بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة
يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتداء والمقول لا تيأسوا من روح الله
او اني اجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف
بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان
استحل لهم من يوسف او علم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي
انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى
نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة
وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر
وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسماية وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلهما منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله
واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول

اعلم اقل

المكيف بالامن والدخول الاول في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجريها وقيل معناه خروا
لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع موخر عن الخرور وان
تقدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام
الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا من اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض
الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من
صعب الا وينفذ فيه مشيته وتتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم
الذي يفعل كل شيء في وقت وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلم في
خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسئله قال انت ابسط مني اليه قال جبريل الله
امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك
بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا
للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والاخرة او
الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة
المسلمين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي
واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين
سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق مرمر ويدفنوه في النيل بحيث
يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن ابائه وكان عمره

مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افراثيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة
امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا
من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم
يمكرون كالدليل عليها والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف
حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله
معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما
حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه من الانباء او القران من اجر جعل كما يفعله حملة
الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى
وكاي عدد تبت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات
والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا وخبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها
وبالنصب على ويطوفون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب
ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم
غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير
سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى
التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء
على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه
او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين و

انزل عليه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل
ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويتميزوا بذلك عن غيرهم وقرا
حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها
اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال الاخرة او الساعة او الحيوة الاخرة
خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها
خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم
تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر متوقفين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم
اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني
للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما
روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا فيما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد
بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي ظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة
على انهم الذين يتاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم
ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا
نزل بهم وفيه بيان المشيين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون

المراد به المبالغة في التراخي والامهال على [illegible]
[illegible]

الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر
ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة
ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول
الذين الاية وايها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو
القران ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى
او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على
اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما
نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله
الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير
عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة
لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان
ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك
لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى
هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث
الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة
ينقطع دونها سيره وهو اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر يملكوته

من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة
او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا
كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة
والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث
على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود الصانع الحكيم دبر
امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها
رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر
موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع
وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد
الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل
وغير صنوان بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان جمع قنو يسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك
ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص
قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل

بالنبات لطائف قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة
على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا
ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه
ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك
الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة و
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة والمثلة بفتح
الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا قصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء
العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك
خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد
العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد
العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية
من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما
انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس
المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب

عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي
الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته و
شمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم
للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر
وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف بالياء
في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون
بغير ياء الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة
والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند
ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى
عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان
جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما
فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه
تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب
الغائب عن الحس والشهادة الحاضرة له الكبير العظيم الشان المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي
كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو
مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا
اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا
ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب له معقبات ملائكة

اولدی بعوزدن
نیل کنان عاصمدی لا یعرفی

يتعاقبون في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا
او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء
للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على
تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او
من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار
له او يحفظونه من المضار ويراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا
مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن
يلي امره فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم امرهم
البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة
خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من
ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به
السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون
سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا
بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل
بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم
والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة
من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد

بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد
من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على
اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل فلان
اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط و
قيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة
والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي
يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده
ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على
تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت
الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله
او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله
بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون
اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه
جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل
شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه
وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع
وخسار وباطل ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون
على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء

والكفرة يسجدون لله كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم
لاحداث ما اراده فيهم شاءوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص
وانتصابهما طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف يسجد والمراد بهما
الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر و
يؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما
ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن
المراء فيه او لقنهم الجواب قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن
مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا
او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على
ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك والجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل
المعبود الغافل عنكم والمطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار و
قوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله
وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا
هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا
خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن
سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل
من السماء ماء من السحاب او جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء

التقلص ارتفاع الظل

الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله
انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر
الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع
كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي
ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة و
الكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله
الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فيسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض
بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والابار
وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب
جفاء يجفا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا و
المعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به
اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا المؤمنين
استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام
متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين
استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما
في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان حال غير
المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء وماواهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار

ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبراة
عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله والعباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج
في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس و
يخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة وغيرهما واقاموا الصلوة
المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن يعرف بالمال
وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون
الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة
الدنيا وما ينبغي ان يكون مال اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء
وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات
عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى
انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو
دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض
لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح
دليل على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما
صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية

او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم
او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا
في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى
انهم اشروا بما نالوا من الدنيا فلم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما في
جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه
من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه
قال لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة
على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى
وفيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن ماب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
اليها لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم
يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت

كل شيء ورحمته فلم تشكروا نعمه وخصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي
هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة
سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم لشان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان
كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند
قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او تسمع وتجيب عند قراءته
لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا الريح لنركبها ونتجر الى الشام
او ابعث لنا قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض و
تذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء
وهو اضراب عما تضمنته لو معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا
ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين
آمنوا من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا و
ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما
استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك
علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق
المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما
منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من
الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها

ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه عليه السلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تغير ٢
تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله
اي الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين به والمقترحين
عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب بما كسبت من خير او شر لا يخفى
عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن هو
ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم
يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل ام تنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول
بغير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه
بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا
بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله
فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما
يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه
او رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة و
هو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري

من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف
من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في
الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى
الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين و
الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية
باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم
ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او
ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب
للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين
ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه
ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق
عليه بين الانبياء واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا
معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها
انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل
لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم
بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو
حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين ولقد ارسلنا رسلا من قبلك

بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن
الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما
يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه
حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق
به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت
بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك كيفما دارت الحال اريناك بعض
ما اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن
تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في
الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين
معهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره
يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم
العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على
ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

فانه الاظهر من الادلة على رسالتي بما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن
وما ألف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو
الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد
على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى
النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى
النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده
او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما
في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف
الذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق و
ويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات
الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ
ويُصدّون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده
مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا

فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على
الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف
به لملابسة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث
فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل
على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعليم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في
اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن قومه وهو
لغة فيه كريش ورياش ولسُن بضمتين وضمه وسكون على الجمع كعُمُد وعُمْد وقيل الضمير في
قومه لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل ع او كل
او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل
ونحوها لم تنزل لتبيين العرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من
يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا
لحكمة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغة
الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله
بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان
في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما انزل على
من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد
لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز

ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بالعطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب
غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم والمعطوف عليه
التذبيح ههنا وهو اما من جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة
وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء
منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا
من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي انما اعذبكم على الكفران
عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة
مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في
ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على
ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها

على ان لا جواب لهم سواه او ردوها الى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون
تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم
من الحكم والشرايع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك
فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الى ذلك بقوله تعالى فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع
بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اذ يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين
في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر
اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو
شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما
كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه
المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا
عليها آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات
على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان

بآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله ثم يخص كل
نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً ألا ترى قوله وما
لنا ألا نتوكل على الله أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم
أن الأمور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا
جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا أن يكون أحد الأمرين
إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز
أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم
أي إلى الرسل لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه و
لنسكننكم الأرض من بعدهم أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى
كقولك أقسم زيد ليخرجن ذلك إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه
وحفظي لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعاديهم من الفتاحة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء وقيل للكفرة
وقيل للفريقين فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الأمر عطفاً على
ليهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر
على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو القبيلين كان أوقع
من ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها

في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة الماء أو حال من الضمير في يسقى ولا
يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس له ويأتيه الموت من كل مكان أي أسبابه
من الشدائد تحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول
شعره وإبهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب
غليظ أي يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس
الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي
أرسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم أن يسقيهم في
جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف
أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة أو قوله أعمالهم كرماد وهي على الأول جملة
مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته
وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح ووصف
به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة و
صلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنائها على غير أساس من معرفة الله والتوجه بها إليه أو أعمالهم للأصنام برماد طيرته
الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء لحبوطه فلا
يرون له أثراً من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم
أنهم محسنون هو الضلال البعيد فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي
والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين أن الله خلق السموات والأرض
بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق أن يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات إن يشأ

يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقاً آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقاً
للسموات والأرض استدلالاً به عليه فإن من خلق أصولهم وما تتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم
بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فإن القادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شأنه كان حقيقاً بأن يعبد ويؤمن به رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء
وبرزوا لله جميعاً أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله ومحاسبته أو لله على
ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله فإذا كان يوم
القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء
الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وإنما كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة
فيميلها إلى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
إنا كنا لكم تبعاً في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
أو مصدر نعت به للمبالغة أو على إضمار مضاف فهل أنتم مغنون عنا دافعون
عنا من عذاب الله من شيء من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض
واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض أي
بعض الشيء هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل أن يكون الأولى مفعولاً
والثانية مصدراً أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء قالوا أي الذين
استكبروا جواباً عن معاتبة الأتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم لو هدانا الله للإيمان
لهديناكم ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب
من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون مكاناً كالمبيت و
مصدراً كالمغيب ويجوز أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم

يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلم ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك
ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الأمر أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار خطيباً في الأشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق وعداً
من حقه أن ينجز أو وعداً أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم فأخلفتكم جعل تبين خلف
وعده كالإخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي
إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز أن الاستثناء منقطعاً فاستجبتم لي أسرعتم إجابتي
فلا تلوموني بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ولوموا أنفسكم حيث
أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال
العبد بأفعاله وليس كما ظنوه لما يدل عليه إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في
فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم
بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض في مثله
لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح وإذا لم تكسر وقبلها
ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء
الإضافة إجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته وأعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة
إني كفرت بما أشركتمون من قبل ما إما مصدرية ومن متعلقة بأشركتمون أي كفرت
اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله
ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن
متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من
عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم وأشرك منقول
من شرك زيد للتعدية إلى مفعول ثان إن الظالمين لهم عذاب أليم تتمة كلامه أو

ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكايته امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من جنات
تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة
وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى يحييهم
الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان
يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اى هى كشجرة وان يكون
اولى مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت
فى الارض بعروقها فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها
على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابها الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول
على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ توتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله
لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء بها من الحس
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف فى
الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بها ما يعم ذلك فالكلمة
الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى مرفوعا وشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث
ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم الثابت
وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس
وشمسون صلوات الله عليهم والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الآخرة فلا يتلعثمون

اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة روى انه صلعم ذكر قبض روح المؤمن
ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء
ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض
عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه
او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين
الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم
ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا
وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن على عليه السلام
وعمر هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم قومهم الذين تابعوهم فى الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر بفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اى بئس
المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم فى اتخاذ
الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها
من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه
كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من امر مطاع قل لعبادى
الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية و

ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ليكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول
بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر باللام ليصح
تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت
من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا
كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على
الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك
به تقصيره او يفدى به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان
ياتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على نفى العام الله الذى خلق السموات والارض
مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به
وهو يشمل المطعوم والملبوس وهو مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل
عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج بمعنى رزق
وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار
فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من
المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل
ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه شيئا من كل شئ سألتموه شيئا فان الموجود من
كل صنف بعضه فى قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج
الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون

المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه
بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها
فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان
نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز
فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا
الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت
حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعنى على دينى فانه منى اى بعضى لا ينفك عنى
فى امر دينى ومن عصانى فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد
التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق
بينه وبين غيره ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف
المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذى
زرع يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذى حرمت التعرض له
والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه
ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار

بمكان او ما يسول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عم فولدت منه
اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوها فقالوا
اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك
المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانه المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب
منهم الاقامة وسال الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة
الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس و
الروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس
وقراءة هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ افدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب
افئدة كادر في ادؤر وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة
يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه اخراجها بين بين و
يجوز ان يكون افئدة تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء
للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى
لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه
لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا
لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد
الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة والالتجاء الى الله

وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا
كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الاية
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية
المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهبه سؤله حين ما وقع الياس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها
ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته
في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
ادم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على
ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي
رءوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع
اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الدهش
الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من

اوله
كان الوصل منه فوق صغل

الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول يوم عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب
عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما
نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه
حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا
ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل
سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوؤ فيجري مجراه كقولك سكنت
الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل
بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله
مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم
وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم والمعنى تحقير مكرهم فانه لا يزول منه ما هو
الجبال مثل امر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقراءة الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها
المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام

كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب
الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله
ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل
الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف
وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف
على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية
تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود
وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان
يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته و
توصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد و
الاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد
الزائفة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون
تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره

والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد
وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران وقطران لغتين
فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجرب فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن
تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع
القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية و
الهيئات الوحشة فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرٍ آنٍ والقطر النحاس
او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى
وجوههم النار اي تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم و
حواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات
ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب
هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصف من قوله ولا
تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي
لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له
وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة
على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم
انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس و
استكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع

بلباس

بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها وعن النبي صلعم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة
وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا
غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما
بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء
التانيث ربتما وبدونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا
يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل
تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية
ودادتهم كالغيبة في قولك بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم و
يلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول عن ارعوائهم
وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام
للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها
الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون
عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به

النبي صلعم التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل
عليك الذكر اي القران لوما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود
غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من
الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة و
الكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى
تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في
ان ياتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم و
من ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا
منظرين اذا جواب لهم وجزاء بشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلم ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا
رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلعم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا
منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه
دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به

شلباط

له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل هذا السلك نسلكه في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به
او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في
المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي
كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خلقهم وسلك
الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء
المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجايبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد و
تشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة
ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على
البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء
بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئة البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان و
استراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في
الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وعلى آله منعوا
من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء
منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها

و في الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من
قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا
لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن
لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك
وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية
الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها
انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه
ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته
بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة
الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض
الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا
يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ويختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل على
حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في
بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير
للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم

ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر ومن خرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء
من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته وما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة
للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به
بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من
صلصال من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره
ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته
به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار
السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها
من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق
الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية
التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله
للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته و

وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه
فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث
من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له
ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة واحدة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل
منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى واستكبر وان
جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون
اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي
لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني خلقته من صلصال
من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهو اشرفها استنقص ادم باعتبار
النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من السماء
او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله او من الخير والكرامة او شيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد
والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء
وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما   نسي ر
حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الانسان او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه
فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فانك رجيم
فاخرج منها الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت
بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور و

يجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه
اولا بيوم الدين لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت
فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على   المخالب ن
منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم
المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى
خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود
لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب زيادة غيه
وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى
على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم عن الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا انفسهم لله قال هذا صراط علي حق علي
ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من
علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس
فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب
الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان
منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى
هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي
لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين

تاكيد للضمير او حال والعامل الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان
جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم
الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى
المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من
الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر
جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في
جنات وعيون لكل واحد جنة او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير
آسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام بضم العين حيث وقع والباقون بكسر
العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر — مجهول من باب الافعال
التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا بالالف
بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا
وعن علي ارجو ان اكون انا وعثمن وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة
ومراتب القرب اخوانا حال من ضميرهم في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين
او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز
ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا
من المستكن في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير
في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور

الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف
ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون
خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل وفرئ ولا توجل من اوجله اذا اخافه و
لا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا
لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به
في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون فان البشارة بما لا يتصور
وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين
ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من — فان قد
الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان و
عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون الا المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله و
كمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي
فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم
كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم

بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد — آل
بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين
للمجرمين وآل لوط المومنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك
المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو
استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون
الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة و
الكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا
ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه
معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل
الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان
تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من
الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال فما امسيت الا باب والنظري في النجوم ثم علينا من قطع
الليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولا
يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم
على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى

امضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه
مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هولاء مقطوع ومحله النصب
على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون
عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هولاء او من
الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هولاء في معنى مدبري هولاء وجاء
اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هولاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو
الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال
هولاء بناتي يعني نساء القوم فان كل امة نبي بمنزلة ابيه وفيه وجوه ذكرت في هود ان
كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي صلى الله وعليه
وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص بالقسم
لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة
غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي تشير به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل عليه السلم مشرقين داخلين في
وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها على المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة
بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل
وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لايات للمتوسمين
المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها
وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك

لاية للمومنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه واهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان
مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم من يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء لانها يؤتم به ولقد كذب اصحاب
الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع و
يجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المومنين والحجر وادي بين المدينة والشام
كانوا يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على
نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم في الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها من كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم و
قيل منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك
وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم
وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمن وابي هو الخالق
وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات
وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة
ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع

صحايف

صحايف وهو الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على
الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يكون المثاني القران او كتب الله — يراد بالمثاني به
كلها فيكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر
لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام
اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة و
النضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا وقيل انهم متمتعون به واخفض جناحك
للمومنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان
عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزل عليهم
فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلعم فاهلكهم يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلم وقيل هي صفة مصدر محذوف لقوله
ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث
قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر
وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان
القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا
ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضوت

الشاة اذا جعلتها اعضاء وقيل اسحارا من عضهته اذا بهتّه وفي الحديث لعن رسول الله صلعم
العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته — الساحرة
صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون من
التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تومر فاجهر به من الصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق بين
الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي
بما تومر به من الشرايع واعرض عن المشركين ولا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك
المستهزئين بقمعهم واهلاكهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب — والحارث بن طلاطلة م
يبالغون في ايذاء النبي صلعم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلعم امرت ان اكفيهم
فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه ومات واومى الى العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن
عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجر ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عين الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف
يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من
الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك
بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان
هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلعم اذا كان حزبه امر فزع الى
الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق
والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى
اله من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلعم

سورة

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلعم من قيام الساعة
او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله
فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الموعود به بمنزلة الاتي من
حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه
سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد الله — عزّ و
بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على
تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمومنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى
امر الله وثب النبي صلعم ورفع الناس رءوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح
بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد
وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب
مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره
بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان يتخذ رسولا ان انذروا بان انذروا
اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا
فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع
الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان
نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة
العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والايات
التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم و

وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق
السموات والارض بالحق اوجدها على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه
اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من
نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم
منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي
رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد
ما رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم
او بالعطف على الانسان او خلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له
فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر
عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان
وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في
المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم
فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين
الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة
الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق
الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب
ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال

الدفء ما يلبس معمول من صوف او شعر او وبر

والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي
معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله و
لان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو و
على هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي
متزينين او متزينا بها واستدل بها على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية
مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون
لما فصل الحيوانات التي يحتاج عليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها
ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة و
النار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او
اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك
لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد
عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلال
او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ و
منكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من
جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون
والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسلكناه في الارض ومنه شجر ومنه
يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم
اذا عز الشجر الكلاء والخيل في اطعامها اللحم ضرو فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية

واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم
به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس
الثلثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من
تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منها
الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروق فيها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة
الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس
عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار و
الشمس والقمر بان هياها لمنافعكم والنجوم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او
بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان الموثر في تكوين النبات حركات الكواكب و
اوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض
الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما
للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة
الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي سخر لكم ما خلق لكم فيها
من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم
يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر
البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا

مسئلة على ان الثمرة كيف تكون

هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله
ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان
من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم
منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة
بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم
لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري
فيه تشقه بجيؤها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون
بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك
سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم
كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة
حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك
بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة
الله تعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك و
بالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة
وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم في
النجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل و
بالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم و

اعلم ان هذه المقدمات على قواعد [illegible] [illegible]

اوجب عليهم أفمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد ما اقام الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته
وتناهي حكمته وتفرده بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات والعجزة شبيها بها والمراد
بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراها
مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من
يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم
له أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق
العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان
الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم و
اعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة
الذين تعبدونهم من دونه وقرا عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا لما
نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك نسخ
بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة
الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم
الحيوة او اموات حالا او مالا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان
يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم
والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من

لا

توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك
عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به و
الكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسل وتصديقها والالتفات
الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او
فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله و
اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا
اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على
التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له قيل هم
المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا
اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض
اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول او يضلون
من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان
يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرون فعلهم قد
مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من
القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف
من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا
يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار

فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة
في توبيخهم وقرا البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا
يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة ان الخزي اليوم و
السوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملايكة وقرا حمزة بالياء وقرئ
بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها
للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء
قايلين ما كنا نعمل سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملايكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا
اول من جوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء
واحتمل ان يكون المراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم
وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل
على انهم لم يتوقفوا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان
احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة
في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم
خيرا ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف

ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا
في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين
تتوفيهم الملايكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملايكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية
الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين يبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملايكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة
والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما
شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفايدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحاير ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء صدورها عنهم ولشاء
خلافه ملجيا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن
الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل
على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يوثر في هدى
من شاء الله هداه ولكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه
لا مطلقا بل باسباب قدرها الله تعالى ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا

لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع
المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من
هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هداه الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود و
غيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من
يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول
وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما
انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى
فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى
حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم
بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوفات
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي
يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق و
الباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا
توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق

مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس عطفا
على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول
الله صلعم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة و
بعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلعم وهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رض انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخره لك في الاخرة افضل لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع هؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين ~~خير الدارين~~ اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا على الشدائد واذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم ان يكون رسوله بشرا
اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب
او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا
للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء
وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عم راى جبريل
على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات و
الزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا و
يجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحي على

ملتبسين ط

المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض وبلا تعلمون على
ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة
وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه
او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا
رسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف
بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط
~~او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم~~
او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على
تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان
ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال
هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه
الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة
بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي
تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي
كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار
اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما

حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار
يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدا حال
من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس و
انحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها
ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها
من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك و
هو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب
الغربي المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض
وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما
في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان
لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على
المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من
قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات و
تعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من
تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه
ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق
عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله
لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر

العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون
نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكانه قال فانا ذلك
الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب وقيل واصبا
من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه
لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما
بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا
للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا
فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب
عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم و
يجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا باشراكهم كفران النعمة وانكار كونها
من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب و
يجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها
فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او
لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من
الزروع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقية بالتقرب

الالهية

اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما
يشتهون الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار
وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه
في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام
النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر
به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه
في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة
مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد
بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على
الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو
اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم
او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم
ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلم لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر
عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو

ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات
لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ
نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء
ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم
الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا
وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية
حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين
اعمالهم وهو ولي هؤلاء يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي
القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين
فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها
انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف
وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه
استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين
للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق
واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده
او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح
هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من
الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في
الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت فانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا

واوسطه

مسئله في ان اللبن كيف يصير لبنا من اعضاء الحيوان بفعله اسمه

واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن الذي
تغتذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في
الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما
يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر
الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية والثانية ابتدائية كقولك بعثت
من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او
حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا لا يستصحبه لون
الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا
للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل و
الاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وقوله تتخذون
منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على
الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر
مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق

ما يحصل من آلاته إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في
الآيات وأوحى ربك إلى النحل ألهمها وقذف في قلوبها وقرئ إلى النحَل بفتحتين أن اتخذي
بأن اتخذي ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وتأنيث الضمير على
المعنى فإن النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لأنها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون من كرم أو سقف ولا في كل مكان منها وإنما سمي
ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا تقوى عليها حذاق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك
وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات
من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي
راجعة إلى بيوتك سبل ربك ولا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من
السبل أي مذللة ذللها الله وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما
أمرت به يخرج من بطونها كأنه عدل به عن خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنه محل
الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل لأنه مما يشرب
واحتج به من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقيء
ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طيبة حلوة صغيرة متفرقة على
الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان
العسل فسر البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بسبب اختلاف
سن النحل والفصل فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره
كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلعم فقال إن
أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال صلعم

مسئلة في أن العسل شفاء من الأمراض

اذهب

اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ
فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل إن في ذلك لآية
لقوم يتفكرون فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم
ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي
يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس
وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء
الفهم إن الله عليم بمقادير أعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه
تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق غيرهم
ومنهم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو
مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم
فيه أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض
ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله أو حيث نكروا أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله
عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم
وفضل بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون
أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة و

وأولادا أو لادا أو بنات فإن الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت
أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون
أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو من الحلالات
ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام
تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون
حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما
للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من
دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات و
رزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل عنه ولا يستطيعون أن
يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في
معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه أو تقيسونه
عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس
على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم
لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم
لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم
كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد
من دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية و
المخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني

القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل الكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من
الحر فإنه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف
تدل على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه
للجنسين فإن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن
العبادة لأنه مولى النعم كلها بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون إلى غيره ويعبدون لأجلها وضرب
الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره أينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه
ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجه إلى
مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال
ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها
أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب
فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب
عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة وما أمر قيام القيامة في سرعته وسهولته إلا
كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب منه
بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى
فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه إن
الله على كل شيء قدير فيقدر على أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا ثم دل
على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو

اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركات و
مباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم
الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا
الى الطير قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة
يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها
لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
فانها من حيث انها نابتة من جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها
تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وضعها
او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم
مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل
ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين

او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال
يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام النعمة التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله
التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم
غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر
الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم
يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة
شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ
لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار
لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون [هامش: الاستعتاب طلب الاعتاب وهو ازالة العتب]
ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم
اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم
التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا [هامش: نطيعهم]
مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم

لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او بعانهم حملوهم على
الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا
والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم
وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم
عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا
بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار
قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاحالة الى السنة او
القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة
ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل و
التشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كاداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات [هامش: لتعد]
وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عم ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية [هامش: متابعة الشهوية]
كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانه الشيطنة التي هي مقتضى القوة
الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى
القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام [هامش: عباس]
عثمن بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى
ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر

والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله
على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به
ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان
البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب
عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها
ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد
ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها
او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا
مشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل
الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر
مالا من جماعة اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم
الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين
وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق
ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام

بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة
عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد
الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من التغنيم في الدنيا والثواب في
الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما
عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم
على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن
ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من
اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن
اذ لا اعتداد باعمال الكفار في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان
كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة
فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة
والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب
على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة
عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع

العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل عن
القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه
الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة فلذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه و
الذين هم به مشركون بالله او بالشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا
الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما
يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل
اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس
يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح
القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل
من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا
سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي
تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت
بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن
الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان
الرسول صلعم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان
صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الذي يميلون

قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان
اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان
لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا
انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يعلم
منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن
كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي
في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع
ذلك من غلامين سوقيين سمع منهما بعض اوقات مروره عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم
يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى
الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم
بالقرآن بعد اماطة شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة
الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم
الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر
من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك
او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي

ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ
بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال صلعم كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو
يبكي فجعل رسول الله صلعم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو
دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما
فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انا اصم فاعاد اليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم فقال اما
الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى
الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها
عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون
اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء
عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره
مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم
من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها

يقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة اي لا يزعج اهلها
خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كالدرع وادرع او جمع نعم كبوس
وابوس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس
لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول
كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء
للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو
وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا
عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه
ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم
يعني محمدا صلوات الله والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من
الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله
لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من
التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة و
اشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما
احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا

حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام
وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او
متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا
حلال وهذا حرام او بمفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي
ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب مبالغة في وصف كلامهم
بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا
ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة الالسنة وبالنصب
على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل المطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة
قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما
قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه
كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او
ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة و
السوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من
بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم
كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله
وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين

الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره
تزييف مذاهب المشركين والطعن في النسخ وتحريم ما احل او لانه كان وحده مؤمنا
وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه
اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن
الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على
ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة
فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله واتيناه
في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيم
والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما
جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم
اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا
نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد
الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا
الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين
كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الابين والمطيعين بما يستحقه
ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل

الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة و
الاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل
معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين و
ايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي الاشهر فان ذلك هو انفع في تسكين لهبهم و
تبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك
البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل
الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع
من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات
والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه لما راى حمزة وقد مثل
به قال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل
على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم
وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي للصبر خير للصابرين من
الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه
عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او
على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرئ
ابن كثير ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او
مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان
له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية
سورة بني اسرائيل مكية [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر و انتصابه بفعل متروك اظهاره ويصدر الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء و لذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه روى انه عليه السلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد ولانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روى انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته و قص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد فاخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف انه كان في النوم او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مايه و نيف وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا

حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلم ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر و مشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم بانجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلم وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد عيسى عليهم السلم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا

البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف الشفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوا واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون للخروج منها ليسوءا

ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحال او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او وجعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحونا اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معايشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب و

بضوئها

جنس الحساب وكل شي تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من
عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشامون بسنوح الطاير وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان
الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه
بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطاير ويعضده قراءة يعقوب
ويخرج وعنه ويخرج وقرئ ويخرج اي الله يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان
للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي
كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع
الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او
على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها لا ينجي اهتداوه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا
تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع
واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضاينا السابق
او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان
الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة و
قيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة

قد نظر ظاهر بان نفي التعذيب لا يستلزم نفي الوجوب لجواز العفو وارسال الرسول لتاكيد الحجه

على

على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت
الشي وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي
كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويويده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا
عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص
المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول
كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها
تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من
القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من
كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل و
المعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه و
ليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير
فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية
في المنافقين كانوا يراوون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنايم
ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله و
من اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بالامر والانتهاء عما
نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفايدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مومن
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرايط الثلثة
كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على
الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد
اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هولاء وهولاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه

متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مومن ولا كافر
تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على
الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب
للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشي اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا
على نفسك الذم من الملايكة والمومنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه
لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا
بالوالدين احسانا لانهما سبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان
لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية
زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة بالفعل واحدهما فاعل يبلغن
ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على
احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا
في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مونتهما وهو
صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين و
تنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف
وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من
ساير انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يوذيهما بعد
الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر و

النهر

النهر اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما
جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة
ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره
بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمومنين واضافته الى الذل
للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى
من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا
رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في الصغر وفاء بوعدك الراحمين روي ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد
موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير و
كانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة او استثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه
كان للاوابين التوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه
تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تايب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا
لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال
ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه
الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف
قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم
في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون

اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان
لربه كفورا مبالغا في الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي
القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم
على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك
فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع
الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما وامر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه
صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من
مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر
والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض تارة اخرى
فاستنوا بسنته لا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم
بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان

قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطاء
الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم
من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء
بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله
تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ
خطأ بالفتح والسكون وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم واتيان
المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء
سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد
جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة
بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل
عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من
لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل
ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب
احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور
في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره
حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا
بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا
ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله
من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من

من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه او يسأل
العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز
ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن
لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير و
نحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير و
احسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيلا من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا
تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة جمع قائف ما ليس لك به علم ما لم
يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان
المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا
المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم
القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك
الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني
عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع و
البصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه
وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ
بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح و
لا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم

ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها
خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل
للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة
الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة في قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انها مكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئة يعني المنهي عنه
فان المذكورات مامورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه
خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند
ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ
به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة
والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث
كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك
من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره
للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد
بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا
الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعاداتكم انكم
لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة
زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين
هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات

اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو
بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه
آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على
ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية
على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا
الى ما هو مالك الملك سبيلا للمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب
اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية
البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن
فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا
عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفقهون انهم لا يفقهون نفي عنهم ان يفهموا

ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الآفاق
والانفس تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا
من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع
الحال واصله يحد وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد
ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا و
اذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون
له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ
يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى
على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي
سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرية اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم
انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا
عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة
الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جواب لهم كونوا حجارة او حديدا او
خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان

فان قدرته لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم
عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم
يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه
من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف
اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما
وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال
قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك
او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي
يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم (في الهامش: كان ينزغ بينهم ان الشيطان)
تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم
ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى
داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة الى

تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب
او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد
وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف
بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم
آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستئصال او معذبوها
عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها
قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال
على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من
يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
اي الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل
او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا

(في الهامش: [illegible])

تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيامة والباء مزيدة
او في موقع الحال والمفعول محذوف وَإِذْ قُلْنَا لَكَ واذكر اذ اوحينا اليك إِنَّ
رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ فهم في قبضته وقدرته او احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط
بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال
انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة
وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها
في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه
قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
به قريش فاستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقوله إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ما حدث في ايامهم وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ عطف
على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي
تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة
او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اول بالشيطان
وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
والشجرة الملعونة في القران كذلك وَنُخَوِّفُهُمْ بانواع التخويف فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا
كَبِيرًا الا عتوا متجاوزا الحد وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض

ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي أأسجد
له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري
بالسجود له لم كرمته علي لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كلام مبتداء واللام موطية للقسم
وجوابه لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان
اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما
علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او
تفرسا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب قَالَ اذْهَبْ امض لما قصدته وهو طرد
وتخلية بينه وبين ما سولته له نفسه فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جزاؤك
وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات
جَزَاءً مَّوْفُورًا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار
فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطية لقوله موفورا وَاسْتَفْزِزْ
واستخف مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم اي تستفزه والفز الخفيف بِصَوْتِكَ بدعائك الى الفساد
وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ باعوانك من
راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل
كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على
قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك
وما لك وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما
لا ينبغي وَالْأَوْلَادِ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه كتسميته عبد
العزى والتضليل عن الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وَعِدْهُمْ
المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء
بما يوهم انه صواب إِنَّ عِبَادِي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا
عبادك منهم المخلصين يخصصهم لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ اي على اغوائهم قدرة
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي
هو الذي يجري لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ الربح وانواع الامتعة التي
لا تكون عندكم إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم
ما يعسر من اسبابه وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ خوف الغرق ضَلَّ مَن تَدْعُونَ ذهب
عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إِلَّا إِيَّاهُ وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم
سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من يعبد وتدعون عن اغاثتكم الا الله فَلَمَّا
نَجَّاكُمْ من الغرق إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول
ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي واعرض في المكارم واستطالا وَكَانَ الْإِنسَانُ
كَفُورًا كالتعليل للاعراض أَفَأَمِنتُمْ الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق
قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ان يقلبه
وانتم عليه او بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب
والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ريحا تحصب اي ترمي الحصباء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا يحفظكم من ذلك فانه لا راد
لفعله أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ في البحر تَارَةً أُخْرَىٰ بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا
فتركبوه فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فَيُغْرِقَكُم وعن
يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق
والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض و
التمكن من الصناعات وانساق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم
بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيها حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ المستلذات
مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا بالغلبة و
والاستيلاء او بالشرف والكرامة فالمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف
يَوْمَ نَدْعُو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى على قلب
الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ بمن ائتموا به من نبي او مقدم
في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم
وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فَمَنْ أُوتِيَ من المدعوين كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ اي كتاب عمله فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير
لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله
اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم

مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى
لا يقرأ الكتاب والمعنى من كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة
وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل
التفضيل تمامه بمن فكان الفه في حكم المتوسط كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة
في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية
وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك
نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا
نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم
فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى
تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا
بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري
علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا
اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم
والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر

وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء
العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر ثم
لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون
خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان   خلفك مر
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء وان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن لك فوقع
ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير و
قرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على
خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على
المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا
اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله صلعم اتاني جبريل لدلوك
الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك
فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع و
دلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع
شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت
العشاء الآخرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا
وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها

مندوبة فيها ثم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها
قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد
القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال
ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله
لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى
غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة
لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام
يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه صلعم قال هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا
مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا
من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة
واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه
وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا و
اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على
الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من
زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه صلعم

دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد
منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا
وفي فصلت ناء على القلب او على انه بمعنى نهض واما ل الكسائي فتحة النون والهمزة   خلف مر
في السورتين واما ل خلف فتحة الهمزة فيهما فقط واما ل ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص
فتحها هناك وورش على اصله في ذوات الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد
اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم   لمزاج
اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين ويسئلونك عن الروح اي الذي يحيى به بدن الانسان قل الروح
من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء
جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل
بما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن
ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض و
سكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة
وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه

وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفاده من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا من احواله وهو اشارة الى ان
الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا
الجواب كما اقتصر موسى ع في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه ص
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان
يعلم من الخير والحق ما يسعه القوة البشرية بل ينتظم معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا
الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في
حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان
لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان
به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا و

وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا تبيعا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا
القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا من الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول
بالنفي قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد
ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون و
يعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع
الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر كثرا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا يعنون قوله او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا
ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في الروم وابن
عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرها وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف
من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله و
من يك امسى بالمدينة رحله وقيار بها لغريب او جماعة فتكون حالا من الملائكة
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى
في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان
فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم
عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل
كنت الا بشرا كساير الناس رسولا كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله
عليهم على ما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى

بحثو وها على هذا هو الجواب المجمل اما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس لو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله
بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد و
القران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة
يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم
من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا
وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على اني رسول الله اليكم باظهاره المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله ص كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل
منهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق
ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس ماويهم جهنم
كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل
جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم
الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة

الى ما تقدمه من العذاب اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء و
جعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت والقيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا
كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وساير نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف
والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما
يؤثره لعوض يفوته فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب
فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه و
ملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد
والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على
بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان
يهوديا سال النبي ص عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في
السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى المراد بالايات الاحكام العامة الثابتة
في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم اليهود خاصة ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك غير فيه
سياق الكلام فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا لهم سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله ص فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش
واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسال يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا

اصروا على العناد والمكابرة لكن قلتهم اوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين و
طمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب لاسئلة او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك
قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني
الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على
الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا فارع ظنه بظنه وشتان
ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر
اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد
فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر
او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني
اسرائيل الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة اسكنوا
او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي وما نزل الا ملتبسا بالحق
الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل
على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول
الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق
من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه
نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ

واعون

واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا
به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان
الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء
الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز
بين الحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم
اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او
شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد على فترة من الرسل وانزال القران عليه
ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده
كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية
الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به
ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله
في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان
اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني
انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله اياما تدعوا
فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما
في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما
تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى لانها لما دلالة على ما هو الدليل

عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك
حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع
من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان
الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم
وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفاء نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه
من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير
جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي
يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص
مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار
في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم
صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في النظم اللفظ
وتناقض المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان

قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله
قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ
لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم و
تاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول
اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده و
قرا ابو بكر باسكان الدال مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى
انهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم
بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله
اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت
كلمة تخرج من افواههم عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيه من التشبيه والتشريك
وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز
وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها
تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل
لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هاهنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع
الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على اثارهم اذا ولوا عن
الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على اثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

[illegible]

لتاسفك عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ بان بالفتح على لان فلا
يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات
والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد
فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها
من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
صعيدا املس لا نبات فيها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق
ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة
تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليست بعجيب مع انه من آيات الله
كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه
كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم
والقوم في الكهف هجدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب
الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم
فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل
الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته
مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت
ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك
لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى راوا الضوء وقال الآخر كان في فضل واصابت الناس
شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت
ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها

هجدا

فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا
فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم
ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي
فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا
ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا
ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف
يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن العدو رشدا
نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا و
اصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع
بمعنى انمناهم انامة لا ينبههم الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف
سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل
فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا
مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم
احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا
بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا

وهيئ لنا من امرنا رشدا

لا ينبههم

بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء
مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا
ياتون هلا ياتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوخذ
الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا عطف على الضمير المنصوب اي واذا اعتزلتم القوم و
معبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز
ان يكون ما مصدرية على تقدير واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون
نافية على انه اخبار من الله عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق
اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين
ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع
يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو
مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه بالفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء
في الزاي وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار و
كلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتعدل عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله
وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش
واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها
مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه

واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله

الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي
اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شانهم وايواؤهم الى كهف كذلك او
اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله من يهد الله
بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال
هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار بها ومن
يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح
عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات
الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تع
وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يقتضيه يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب
مروا به فتبعهم فطردوه وانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف و
قيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
لوليت منهم فرارا هربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت
منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح
عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو
خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا
جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر و
الكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم
آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا فيعرفوا حالهم وما صنع الله بهم
فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به

عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم
لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا
ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم و
قالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او لا وغيرها
وقرأه ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف
في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو او مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على
غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها
ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف
في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي
الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير لاهل المدينة
فانها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود
بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم و
كذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث
حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها و
ان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها
عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى
ان يحشر ابدانهم فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين
يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم
يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم

الله تعالى بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة
ابنوا عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على
امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على
الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلعم
او من المتنازعين للرد الى الله تعالى بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
ثم تحققوا لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال
بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك
واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في
الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا
يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم
في عهد الرسول صلعم من اهل الكتاب والمؤمنون ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال
يربعهم كلبهم في انضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد نصارى نجران وكان
يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى والعاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب
من قولهم رجم بالظن اذا ظن ولم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرئيل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فاتبع الاولين قوله رجما
بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة
فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل فيه ترد الاولين

اسماء اصحاب كهف

بان اتبعها قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة
صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف و
الدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي عليه السلام هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم
تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش
اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير
واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا
منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان ما اوحي اليك لمندوحة من غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش و
الاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله
اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه
ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لا
يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل عليه قال ان
شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة
ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر
اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر
ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه واذكر ربك وعقابه

اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة
على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه الله لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين و
ازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية
لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة و
تسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد
ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد
اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب
السموات والارض له ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما
ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير و
كبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه و
كان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم
لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة
ما لهم من دونه الضمير لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن
يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب
الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلعم على انه وحي معجز امره بان يداوم
درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا

ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها
وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك
احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي في مجامع اوقاتهم او
في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على
تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم
نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه
وعداه والمراد نهي الرسول صلعم ان يزدري بفقراء المومنين ويعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا
الى طراوة زي الاغنيا تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في
الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع
هويه كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه
على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى
خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة و
المعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك
او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في
قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكرنا ولا بقوله واتبع هويه وجوابه ما مر
غير مرة وقرئ من اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه
بالمواخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته
فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها

دخانها

١٠٤

غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

ودخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب
وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم
للشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس
الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا و
عملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما
في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من
احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من
احسن عملا لا يحسن على الحقيقة اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم
جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان
الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية
للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حسنها من الاحاطة وهو جمع اسورة او اسوار
في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة
من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على
السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك
مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافر والمومن مثلا رجلين حال رجلين مقدرين
او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومومن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا و
عقارا وصرفها المومن في الخير والامر هما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله
زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم جعلنا لاحدهما جنتين بساتين من اعناب من

من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة
بهما موذرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين
حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقوله غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق
كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم
تظلم منه ولم تنقص منه شيئا يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاءهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقراه
عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في
قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع
انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته
وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون
او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه
ضار لها بعجبه وكفره وتمادي غفلته واغتراره بمهلته قال ما اظن ان تبيد اي تفنى هذه
الجنة هذه ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة
كاينة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته و
قرا حمزة والحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك
باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه
لذاته وهو معه اينما تلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سويك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث

كفرا

١٠٥

كفرا بالله لان منشاءه الشك في قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب
فان من قدر على خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا
اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرا ابن
عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضميره
والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله
لكني مومن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كاين على
ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها
وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله
اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي صلعم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول
وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر
بالاولاد فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب
الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي
الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال
السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها
او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا
للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره
منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به علاه فاذا غلبه اهلكه ونظيره
اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظه

البطن لهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية
عن الندم فكانه قيل فاصبح فندم او حال اى متحسرا على ما انفق وهي خاوية اى ساقطة
على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف
على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه
اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه
القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه
هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره
تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما
فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقرا والكسائي
بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد
غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني
لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو و
الكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا
بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبه
الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روى ورف
وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة
صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال

النبات المنبت بالماء فيكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على
كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها
الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى
له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان و
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين
ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبه ينال به في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير
الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه
على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية
برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوه
ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر منهم احدا
فلم نترك غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء
وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في
يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا
فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد
بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب
صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى
المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم
التي هلكوها من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجيبا من شانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا

في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور
المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك
بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار
بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال
والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من
العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد
واستيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن
امره بترك السجود والفاء للتسبب فيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى
ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه
اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه
وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات
والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله
وما كنت متخذ المضلين عضدا اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله
شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم
الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها
غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين
فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت على خطاب الرسول وقرئ
متخذ المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من

عضده اذا قواه ويوم يقول اى الله للكفار وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم
انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد
من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة
هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان
او مصدر من وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في
الدنيا هلاكا يوم القيمة ورا المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه
ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه و
كان الانسان اكثر شيء جدلا يتاتى منه الجدل خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز
وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي
والقران المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم
سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا
عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين
وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من
الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن
قصة اصحاب الكهف ونحوها متعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم
او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما

ليستهزؤا به ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها فلم يتدبرها ولم
يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها إنا جعلنا على
قلوبهم أكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم أن يفقهوه
كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وإفراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم أن يسمعوه
حق استماعه وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا تحقيقا ولا تقليدا لأنهم
لا يفقهون ولا يسمعون وإذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم
فإن حرصه على إسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بإمهال
قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر أو يوم القيامة لن
يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني
قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أهلكناهم أو مفعول مضمر مفسر به والقرى
صفته ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب
والمراء وأنواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو عمرو
لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وقتا معلوما وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من
مصادر يفعل كالمرجع والمحيض وإذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع بن نون
بن إفراثيم بن يوسف عليه السلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل
لعبده لا أبرح أي لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى أبلغ مجمع
البحرين من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن أصله لا يبرح سيري حتى أبلغ
على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب الضمير ومجمع
البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى و
خضر عليهما السلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر

الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والمعنى
حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات
المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى عليه السلام خطب
الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا
أعلم منك قال لا فأوحى الله تعالى إليه بلى عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام
أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل سأل موسى ربه
أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى
أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك أعلم
مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
كيف لي به قال خذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت
الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما أي مجمع البحرين وبينهما ظرف
أضيف إليه على الاتساع أو بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى أن يطلبه و
يتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي أن موسى عليه السلام
رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ يوشع
من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد أمره وما
يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه
في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار
كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه
باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة
والغد إلى الظهر ألقي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد

باسم الإشارة قال أرأيت إذ أوينا ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة يعني الصخرة التي
رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فإني نسيت الحوت فقدته
أو نسيت ذكره بما رأيت منه وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره أي وما أنساني
ذكره إلا الشيطان فإن أن أذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكركه وهو اعتذار عن
نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وإن كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما
ضري بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه
في الاستبصار وانجذاب شراشره إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات
الباهرة وإنما نسبه إلى الشيطان هضما لنفسه أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين و
اشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا
وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر
أي قال في آخر كلامه أو موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أي
اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك أي أمر الحوت ما كنا نبغ نطلب لأنه أمارة
المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا
أي يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور
على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب
قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن على شرط أن تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو إصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد محذوف وكلاهما منقولان من
علم الذي له مفعول واحد ويجوز أن يكون علة لأتبعك أو مصدرا بإضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في أبواب الدين فإن الرسول
ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا

وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له
وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه قال إنك لن تستطيع معي
صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي تصبر وأنت
نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر
لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني إن شاء الله صابرا معك غير منكر عليك
ولا أعصي لك أمرا عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو على ستجدني
وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته أو لعلمه بصعوبة الأمر
فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على أن أفعال
العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى أحدث لك منه ذكرا حتى أبتدئك
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة
حتى إذا ركبا في السفينة خرقها أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين
من ألواحها قال أخرقتها لتغرق أهلها فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها
المفضي إلى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها على
إسناده إلى الأهل لقد جئت شيئا إمرا أتيت أمرا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال
ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته أو بشيء نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار
بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل المراد بالنسيان الترك
أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول وقيل إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه
ولا ترهقني من أمري عسرا ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على
المنسي فإن ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهقني فإنه يقال رهقه إذا غشيه

وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما
فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على
انه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية و
الاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار
الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او
قتلت نفسا زكية يقاد بها نبّه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف
ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة
الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة
الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون و
ورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر
لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب
فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من
قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك
لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجائب وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء به
عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون و
تسكين الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية
وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما
من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيّفه انزله واصل التركيب للميل يقال
ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط

واستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل
عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل
من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعلّ من النقض وقرئ ان
ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته
او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما رأى
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي
لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث
او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين
اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك
شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة
اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندا بن كركر
وقيل منوله بن جلندا الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم
ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب
مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف
الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد
والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين

فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا
باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن
عباس رض ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ
فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله
عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة
من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما
جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما
بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل
وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم و
صريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما
تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه
على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة
اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا
لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من
ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وابداله

بدله بالثاني الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه
شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط و
ما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل
ومبنى ذلك انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل
ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم
تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا
يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس و
الروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها
وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل له قرنان اي ضفيرتان كان صه
وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه
ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود
سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل ساتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي منه
القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء
فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله
اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة و
قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون
العين جامعة للوصفين او حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله
بلغ ساحل المحيط فرآه كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها ولم
يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث الى

كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك تجده في التورية ووجد
عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر
وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا
يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على اسرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد
وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول
قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي
فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه
الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الاخرة عذابا
منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين
جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا
منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها جزاء او المصدر او التمييز وقرئ منصوبا غير
منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى
بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان
نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به
يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع
طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس
عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس
فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك
اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسط الملك او امره فيهم كامره في اهل
المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل

والالات
نحو ان كنز

او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد
احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره
وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع
سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان
وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج و
ماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما
لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي
به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا
حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم
ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك
وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان
من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا عاصم ومنع الصرف للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون
في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس
فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة
والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما
تبذلون من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي

بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو
اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع اتوني زبر الحديد
قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان
الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على
معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة
من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي
الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد و
سكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل
لان كلا منهما منعدل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة
انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله نارا جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال
اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون في اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول على انه
واحد ولو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة
وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي
متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه
وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت
كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في
تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقتدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا
جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف

يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى المفعول
ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء
السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض ويضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم
جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها
لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها
فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصيبت
مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا
عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم
به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه و
قرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل
حسب فان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب
ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء
الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم
وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف
فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات
ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه

او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا توزن
به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة
له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان
للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما
سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود
قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة
والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره
لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين
متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء
ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان
اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من
العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما
الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل
حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا
بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلوة والسلم ان الله

لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا
ما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد و
الاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه كان
له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلم من قرا سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا
من الارض الى السماء قد فرغ من تبييض جزء الاول
في عشر الاواخر شهر الرجب سنة اثنى سنين
بعد الالف من الهجرة سلم تسليما تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال
ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال
والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ما قبله اي اول السورة او القرآن فانه مشتمل
عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكرها على الماضي وذكره على الامر عبده مفعول
الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل
منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
فالاخفاء اشد اخفاتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد زمن الكبر او لئلا يطلع
عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه
فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني
وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة
البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده
لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر نظيره كمال الحركات الثلث واشتعل
الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر
باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان
الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان
علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا كلما دعوتك
استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن
معتادا فاجابته معتادة فانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم
ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف
ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير

بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي
من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان
الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك وليا
فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة
يا من صلى يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو
والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبيا لا
يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك
وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلم وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان
من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث من آل يعقوب على الحال من احد الضميرين
واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا
يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب
رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه
ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم
احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا
شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين متشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي
وان كان عربيا فمنقول من فعله كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او
لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو
كقعود واستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الاولى ياء
ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسايط

عما التحقيق ملقاه ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك
اى الامر كذلك ويجوز ان يكون منصوبا بقال في قال ربك وذلك اشارة الى
مبهم تفسيره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ هو على هين اى الامر كما قلت او
كما وعدت وهو على ذلك يهون على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما
اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ
وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع
ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوى الخلق ما بك من خرس
ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من
كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلث ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب
من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم كقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض
ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر
قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير
القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا
يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من
لدنا ورحمة منا عليه وتعطفا في قلبه على ابويه وزكوة وطهارة من الذنوب او
صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا
مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا اى عاص يكن
ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم و
يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اذ اعتزلت بدل
من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها

وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان
المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا
شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا
ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنه معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا
سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل فتمثل بصورة شاب امرد
سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت
اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فاني عائذة منك او فتتعظ بتعوذى
او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ بك
فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك
غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه
ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب اى
ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام
ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما
الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك
بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال
كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية اى ونفعل ذلك لنجعله آية اى لنبين به قدرتنا
ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا
على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق

به قضاء الله في الازل اى وقعه وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملت نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد
حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا
الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها
وقيل وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجأها وهو في الاصل منقول
من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت
المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعل الله الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي
هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس الخرسة الطعام الذي يوضع للولادة
ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت
وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة و
حفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء
ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها و
قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضميرا احدهما
وقيل الضمير في تحتها للنخلة ألا تحزني اى لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك
تحتك سريا جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي
اليك بجذع النخلة وامليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة

او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت
التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من
ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع
رطبا جنيا تمييز او مفعول روى انها كانت يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزته فجعل الله تعالى له رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه
من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان
يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام و
لذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اى من الرطب وماء السري او من
الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما تسر
النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين
من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج لتآخي
بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ
به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم
بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة
وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلم فانه قاطع في قطع
الطاعن فاتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس
تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا
اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من معه في طبقة الاخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم

تشبيها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء
وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد
الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف
صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما
او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من
يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير
والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع
وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني
بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا
وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او
منصوب بفعل دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على
الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام يوم ولدت و على
يوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس
والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم
كقوله والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب
وتولى ذلك عيسى بن مريم اى الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه
النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو
قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة و
قيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه
يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله

وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى
وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان
من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال
الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان
بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم
اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله و
نبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله
وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او
من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد الملائكة والانبياء والسنتهم و
آرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به الآراب العضو
في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا
اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا او تهديد
بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك
اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل
النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمون موقع الضمير اشعارا
بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم
بانه ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن
على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة
والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين

غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا
يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء
والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في
الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة
ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ
قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه
يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا
وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع
ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه
برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة
ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية
التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق
المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض
صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا
لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما
يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع
ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن
محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا
نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم
ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة

الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن
ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها
بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص
وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه
اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير
العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من
جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته
لآدم وذريته تنبيه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل
استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على
ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته
عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى
تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اى فاحذرني واهجرني مليا
زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة
ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك
ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان
بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة
بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي
شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع و

وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر
خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام
انى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل ووهبنا له اسحق ويعقوب
تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبيا اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده
وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد والام
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته
واجعل لى لسان صدق فى الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب
لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم
وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملك واذكر
فى الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على
ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك
قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته
اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى او جانبه الميمون من اليمن بان
تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك
لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو
الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته
اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر فى الكتاب اسمعيل انه
كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء
فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال

ستجدنى

ستجدنى ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس
اليه بالتكميل قال الله وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم
واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاستقامة اقواله وافعاله واذكر فى الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد
ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم
لا يبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم
والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعنى شرف النبوة و
الزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة والرابعة اولئك اشارة الى
المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم
الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية ادم بدل منه
باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا واخص
من الذرية وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا خصوصا من عدا ادريس
فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل
عطف على ابرهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا و
يحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن
جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف
ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى
شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبى صلعم اتلوا القران وابكوا

الاخبات الخشوع

فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرى بكيا بالياء لان
التانيث غير حقيقى فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب
سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها
او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح
الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه واتبعوا
الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما او جزاء
غى كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه او
ديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية فى الكفرة فاولئك
يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من
ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب
شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم اى شيئا من الظلم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على
المدح وقرى بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم
او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصفها بما اضيف اليه بقوله التى
وعد الرحمن عباده بالغيب اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم او وهم
غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذى هو
الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى
مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا
يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم
على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا
سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان

معناه

معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته
الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين
الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التى نورث
من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال
مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبرئيل حين استبطاه رسول
الله صلعم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب
ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل
وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب
وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرى وما يتنزل بالياء والضمير للوحى له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن او الاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيته
وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة
راها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل
الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من
الله لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها
وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو

خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل
على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا
يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور
احديته وتعالي ذاته عن المماثل بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر
اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان
المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج
حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار
لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به
فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف
مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه
انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان
عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل
ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم

اقسم

اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ
نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
جميعا ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا
غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا
من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما
يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ
جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة
من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم
فيطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص
ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب
او يدخل كل طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى
كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر
صلته زاد نقصه فعاد الى حقه او منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا
ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير
الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه
معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او
على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق
بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين

هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما
منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر
دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان
نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها
مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها
كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان
وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون
الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك ونذر
الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو
حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها
منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ
مبينات المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين اي المؤمنين او الكافرين خير
مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع الاقامة والمنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا
عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستشهاد
بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال
وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن
بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم و

الى م

اثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة
وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ
ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم
استدراج ليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الاخرة بقوله
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده بطول العمر والتمتع
به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعل استدراجا
وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله او لم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا
للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما
الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم و
تعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال
فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد
حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن
النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد
الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين
ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور
حظ المؤمنين منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه
منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله
في الضلالة ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي
تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله

ولا آله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم
المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة
او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتا اي ابلغ في حره منه في برده افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل
كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد
فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار
والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا
حمزة والكسائي وُلدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب
اطلع الغيب اقد بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد
به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتاه في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ
عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى
العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان
وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه
فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد
عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد وياتينا يوم
القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل

فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع
وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم سيجحدون الالهة عبادتهم و
يقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء
العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذ فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا
او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل
الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان يكونوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى
الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله وهم يد على من سواهم و
قرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي
اللوم عاذل والعتابن وعلى معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده
اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على
المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل
الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به
الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم
وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل
بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين
نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته والاختيار هذا الاسم في هذه السورة
شان ولعله ان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها
والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم و
انعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء

لا يرده الا العطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد
المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح
على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن
اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على
البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء
وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا
ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح
والكسر العظيم المنكر والادة الشدة واد في الامر وادني اثقلني وعظم علي تكاد
السموات وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه تتشقق مرة بعد اخرى و
قرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير
لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا
للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل
اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره
الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من
دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي

له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا
لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه
فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه
ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا اتي
الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ ات الرحمن
على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه
وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء
عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه
شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير
تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين
حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض
حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه
بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء
الخصومة اخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر
وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل
تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من
اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب

طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلعم من قرا سورة مريم اعطي
عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير
الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده
ابو عمرو وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه
يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار
والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول بان
يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ
فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر
وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة
من الهمزة والها كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير
بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران
لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مأول بالسورة او القران والقران فيه واقع
موقع العايد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء او استيناف
ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طايفة من الحروف محكية والمعنى
ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او
بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقا شايع بمعنى التعب ومنه
اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل
عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى

بترك دينك وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها
على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين
ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في
موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو
صفة القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في
قلبه خشية ورقة يتاثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه
المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان
جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه
ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم
لشان المنزل لغرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند
العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب
الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه
احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير
وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضت حكمته وتعلقت به
مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات
الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان
تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو
ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله
بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع
والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها

والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة
لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل
من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص
بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من
حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة
النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر
محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا
ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث
الاحسن وفضل اسماء الله على ساير الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف
المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به
في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه
السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول
لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلم في الخروج الى امه وخرج باهله فلما
وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت
ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا
فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم
الها في الوصل والباقون بكسرها فيه اني انست نارا ابصرتها ابصارا
لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة
من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني
ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولها
مترقبا بني الامر فيها على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان يقطع بوطوئه ليوطن انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون

عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق
بمكان يقرب منه فلما اتيها اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء
نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون
باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه
لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلم تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام
لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة
فاخلع نعليك امر بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه
فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة
والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون
بتاويل المكان وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا
اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق
بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه
مقصور على تقدير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال تقرير
العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط
بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني
ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراي
بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او
لذكر صلوتي لما روي انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها

ان الله يقول واقم الصلوة لذكرى إن الساعة آتية كائنة لا محالة أكاد أخفيها
اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار
باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من
اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك
عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد
موسى عنها والمراد نهيه ان يصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على
ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان
يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه
ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى
فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها
من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير
لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل
أتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وأهش بها
على غنمي واخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ أهِش وكلاهما من هش الخبز
يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها
زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها
على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل
بها وكان عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها او ما يرى من
منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص
اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند

الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها
وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة
ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها
مفصلا ومجملا على انها معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق
جوابه الغرض الذي فهمه قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى
قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك
سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى
بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر و
الشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة
وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او
على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها
في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها
الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه
حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك إلى جناحك الى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر
سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير
سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع
تعافه وتنفر عنه آية أخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من
ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق
بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب إلى فرعون

بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة إنه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي
صدري ويسر لي أمري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح
صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل
الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر
اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة
ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب
وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين
يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت
يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني
قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن
قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح
مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة
لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا
من أهلي هارون أخي يعينني على ما كلفتني واشتقاق الوزير اما من الوزر
لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه
ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر و
مفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي
وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن
له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره اشدد به أزري

وأشركه في أمري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر
الخير وتزايده إنك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان
هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد أوتيت سؤلك يا موسى اي سؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة أخرى
انعمنا عليك في وقت اخر إذ أوحينا إلى أمك بالهام او في منام او على لسان نبي
في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او
مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به أن اقذفيه في التابوت
بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف
يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله
غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل
امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج
الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف
في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو
لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع
والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته و
القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى
بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم
فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال
وألقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث
لا يكاد يصبر عنك من راك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت
اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله

وهو ساقط لان الماء يجل فالتقطه منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة
نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف
على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت
ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح
التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك
ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع
فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت
هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه
اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها
وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك
من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن
منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء
على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور في حجرة وبدرة
فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن
ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى
غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم
عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت
على قدر يا موسى قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا
مستأخرا او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو
غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله
فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك

بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا
تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه
طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون
ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى
ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا
ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل
كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا
لا يهرم وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا
اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس
متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم
يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان
يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم
ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي
نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني
على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد
طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن
الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما
وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي
لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان
قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا

بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم
كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في
عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة
اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك
بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما
وحد الآية وكان معه اثنتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة
الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فات باية ولو جئتك
بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على
المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على
من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم
والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين و
خص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له
رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه
صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه
ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على
شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى
ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو
جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته

على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه
منعم عليه ولم يبق الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد
موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله و
انما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ
ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل
ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه
بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا
على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصورة والخواص المختلفة
بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم
وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم باجزائهم واحوالهم فيكون
معنى الجواب ان علمه محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي
جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على
المدح وقرأ الكوفيون مهدا كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون
مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها
سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها
وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم
على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة
وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان
الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها
واقتران بعضها ببعض من نبات شتى بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل
ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع

وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح
بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال
من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا
وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات
لاولي النهى اي لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع
نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها
نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم
المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه
آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد
على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلم
اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى
الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا
موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا
لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلناتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل
بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا
يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه
موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل
على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم
الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في
ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في
النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم

قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه
ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر
الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون
والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به
وقرا حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم و
السحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى و
احتال ليبقي الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر
موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى
بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير
لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان
اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى
نعم وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله
انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف
وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة
واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب
باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل
طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل

بحث ان هذان

تلفيق [illegible]

وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا
كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو
فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم
لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين
الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من
استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة الادب وان بما بعده
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا لما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغير النظم الى وجه
ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيلت اليه انها
تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال
انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية
او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت
الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته موكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير
وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك

ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة
التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما
هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف
فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد
الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم و
التخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة
والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد
الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق
ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول
العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا
كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقي فتلقف
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم
ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا
آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون
ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون
وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال
آمنتم له لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان
له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر
وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدى من مخالفة العضو العضو
وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن

ولأصلبنّ بالتخفيف ولأصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع
بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمنّ أينا يريد نفسه و
موسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد توضيع
موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به
أشد عذابا وأبقى وأدوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا
موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما أنت قاض ما انت قاضيه اي صانعه
او حاكم به إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه
الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه
الحيوة كقولك صيم يوم الجمعة إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما أكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى
نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى
الا ان يعارضوه والله خير وأبقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا إنه ان الامر
من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فإن له جهنم لا يموت فيها
فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا
فأولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او
الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات
الثلث يحتمل ان يكون ابتداء كلام الله وان يكون من كلام السحرة ولقد أوحينا
إلى موسى أن أسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من
قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم وسقما وسقما ولذلك وصف به

المؤنث يقال شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف او وصف على
فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي
حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم
طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية
والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اي
وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى
خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون
نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فتبعهم ويؤيده القراءة
به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة
اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم
اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم
للهلاك وأضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو
تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين
منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وقومه و
واعدناكم جانب الطور الأيمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى
المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن
والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلاله وقرأ حمزة
والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن
بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي

لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي و
يجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد
تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا
نزل وإني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم
اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال
عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها
اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم
جواب الانكار لانه اهم قال هم أولاء على أثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة
لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم
بعضا وعجلت إليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك
يوجب مرضاتك قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة
العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف
ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا وأضلهم السامري باتخاذ العجل
والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا ومضلا
وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين
وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه
اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع
على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري
منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان و
قيل هو من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى إلى قومه
بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم أسفا حزينا بما فعلوا
قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطكم التورية فيها نور و

وهدى أفطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم أم أردتم أن
يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتم موعدي
وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من
اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود
بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا
جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا
ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة و
الكسائي بالضم وثلاثتها بالاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا
أوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا
بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوه عند
الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه
ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا
مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها في النار فكذلك
ألقى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت
قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام
عليكم فالراي ان نحفر حفرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلا جسدا
من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به
اول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند
الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان أفلا يرون افلا
يعلمون ألا يرجع إليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا
وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا

يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم
هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره
حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل
وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا
لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى
وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع
ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعني ان تتبعني في الغضب
لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان
لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص
الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب
وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط
غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم
يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم
ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ
الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري
اي ثم اقبل اليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب
الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب
اي علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك
روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم يروه وهو ان جبريل جاءك
على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون فكان جبريل
يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة
المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ

بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل
ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل
اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك
سولت لي نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة
على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك
فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار
وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه
لك في الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف
الوعد اياه وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز
ان يكون من اخلفت الوعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ
بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده القراءة لنحرقنه او
بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه
لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر
انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في
كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ
ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب
علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي
الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص
قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية
والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا

للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص
والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا
عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه
السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة
فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها لثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في
الوزر او حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم
القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعل ساء بمعنى
احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى
يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره
لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر
المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان
الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعداءهم وهم
زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم
الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة
الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها
في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا

ان لبثتم الا يوما استرجاع لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن
الجبال عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض و
اضمرها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا
خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا
ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي وثلثها احوال
مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك
ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف
مبين للحال يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف
ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو
اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خضعت
لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل و
قد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل
اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن
ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول
الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من
الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون
جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت

له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم و
يجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب
من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة
الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما
ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ
فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل
انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا
فيه من الوعيد مكررين ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم
ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها و
لهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله في ذاته
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه
لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبرئيل ومساوقته في القران حتى يتم
وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل فيه ما كان مجملا قبل ان يأتيه
وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي
اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه يقال تقدم الملك
واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف و
انما عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني ادم
على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم
يعن به حتى غفل عنه وترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما

تصميم

تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع
تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد
له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود
الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال
من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم مقدر باذكر
اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه لم يكن من اولي العزيمة والثبات
فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه
من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما
من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد
الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث
انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش و
ذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في
تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة
المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه نائب من حيث انه عامل لا من
حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس
اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة
التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه

الحلم بسكون اللام الاحتلام
و رفع الشق مع
كنت الشمس شروقها و الشمس صح

بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما
للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب
وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر
بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه
بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لاولاده عنها
ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي
كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة
قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحواء اوله ولابليس ولما كانا اصل الذرية
خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب
والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله
فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي
الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى ككسرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره
تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف
المؤمن الطالب للاخرة مع انه قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان
اهل القرى امنوا الايات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل
عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على
محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او القلب

ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد اما لهما حمزة
والكسائي لان الالف من الياء وفرقا ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو
جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة
نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها
اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في
الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب
الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد
وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله
وحاله او مما فعله من ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله
او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او
الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والمعاصي ولولا كلمة سبقت
من ربك وهو العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان
مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم
آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزام خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا
العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او بدر لكان
العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه
على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك
وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولي
للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانها في اخر النهار

او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر وأناء بالفتح و
المد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان
القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح
والمغرب على ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما
مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية
النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء
النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به
ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا
منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف
دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او ازواجا بتقدير
مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة
كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم
خلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم
في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى
والنبوة خير مما متعهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة
امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا
على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب
الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا
اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة

للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه تدل على صدقه في ادعاء النبوة او
باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم بانيان
القرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وانفعها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي
النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه
قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه
الاعجاز المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى
من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد
والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار
بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست
كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد ص او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان
او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد
قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا و
امركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي
المستقيم وقرئ السواء اي الوسط والجيد والسوء والسوى اي الشر والسوى وهو
تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع
بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون
معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على
اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه
اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشر آية

يحتمل ما

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا وقوله ثم يستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى
اللام صلة لاقترب او تأكيد الاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب
للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله
وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما
خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضين ما يأتيهم
من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم
محدث تنزيله لتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا
استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك
لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر
فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا
النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم الذين ظلموا بدل من واو
اسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة
المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على
فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر و
انتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر
كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون
الا ملكا واستلزموا ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما
اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم

الذكر هو الطائفة من القرآن

القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو
السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام
بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكايته والابتداء
بالاخرى او للاضراب عن تجاوزهم في شأن الرسول وما ظهر عليه من
الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت
اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري
يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا
لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون
بالحقائق والحكم ليس فيها ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على
مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم
جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انها من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي
كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة
التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية
من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم
بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ
لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم تأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب من

او كونه مفترى ابعد من كونه احلاما

او كونه احلاما ابعد من ...

حال الرسل المتقدمة لتزول عنكم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حمي العرب عن عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر حميت
والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا

الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب
او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضوراء من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك المو
ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتلقوها بالقبول وتحصيل الكمال ولا تغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف

وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب
الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه لتر
وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ وخبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة للانكار اتخاذهم من الارض صفة للآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من

الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف جعل بمعنى بعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون من التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات

الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون
وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد
لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم واليه وجعل القول محله واداته القول
تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام
عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من
سابقته فسبقته وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله
والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته
ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها
العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي
بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك فذ
نجزيه جهنم يريد نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين ب
تهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية ظلم
اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقراءة ابن كثير بغير واو ان السموات والارض
كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا
وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالحركات والتمييز
المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها
واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا
لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها
باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان

لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب
ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن
لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا
اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان
كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه
وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على
انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون
مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت ان
تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس
وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا
وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها
سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم
يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته
او الفساد او الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن
آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي
يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في الطبيعية والالهية معرضون غير متفكرين وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك
اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم
الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو
خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما و
انما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب

المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء
لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم
معاملة المختبر بالشر والخير بالبلاء والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا
ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من
هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا
الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا
بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة
عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد
والتخصيص والحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه منه خلق
لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع
هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى
الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل سأريكم
آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان
بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا
الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا
هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب
بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان

ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك
بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاءة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين
فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في
قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة او الحين بمعنى الساعة
ويجوز ان يكون للنار او البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم
في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم
كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل و
النهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ
غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم
آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من
عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل
عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب
عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من
الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا
وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك
عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين افهم
الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع

الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره
وانما سماهم الصم ووضعه موضع الضمير هم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال
على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا
على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال
بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان
كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان
التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا
او من المؤاتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال
وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا
موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين
الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر
ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصرة وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على
انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع
بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير
وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القران مبارك كثير خيره انزلناه على محمد
افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه
الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل

من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت و
كنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال — عالمين
وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه
متعلق بآتيناه او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة
لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعديه العكوف بعلى و
المعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا و
جدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما
اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في
سلك لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز — ضلال م
لمن علم في الجملة انه على الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم
تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا ابالجد تقوله ام تلعب به — ابجد ل
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة
البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة
عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين
عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل
من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد
وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف و
قرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره
فاستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون

الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او
لانهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في
حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين
رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراط
في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني
مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له
ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس
بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله
او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه
لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق اانت كتبت هذا
بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا
ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا و
خبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلم قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية
للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم
فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا
يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا
الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل
الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد

اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه
قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنعكم قالوا احرقوه
فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا
آلهتكم بالانتقام له ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل
فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل
النار المسخرة لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه
روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به
فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من
سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع
عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن
ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار
بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم واردوا
به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر عاد سعيهم
برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد
العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى
الشام وبركاتها العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي
هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب
وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق

الكوثى ... بلد كوثى والعاية

ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق
فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان
وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى
بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله
ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين
موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او
نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي للانبيا ونجيناه من القرية قرية سدوم
التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها
على حذف المضاف واقامته مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه
كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين
سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالاهلاك من قبل
من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان
او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا
من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع
الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود و
سليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه
غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فدفع الغنم الى اهل

الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى
يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني
والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي
وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما
دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء جبار
وكلا اتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل ان كل مجتهد مصيب
وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار
ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان
الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال
او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على
الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع
وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق
بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او اللبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تاويل
الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر
اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون
الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع
داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في
مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت
رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل

ای بدء
فليس
قال البس

من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سار
به بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من
يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتداء خبره
ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر
كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى
جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس
كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما
يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السوال وكان روميا من اولاد
عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم
بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا
وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة
بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء
قالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه واتيناه اهله ومثلهم
معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منه نوافل رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا
كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل و
ادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ
من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل كل هولاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد

النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصالحين الكاملين
في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب
الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم
مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم
يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه
لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن
نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه
من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ
بالياء وقرا يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في
الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه
لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة
الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له
ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل
ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا
الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع
حروف الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين
مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند
الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت

خيرا الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت
حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في
الثواب راجين الاجابة او في الطاعة او خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا
خاشعين مخبتين او دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال
والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه
في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من
جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية
للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع ان هذه امتكم ان ملة التوحيد
غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب
على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري
فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين
تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة
الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا
كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه
ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه
وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا
باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة
او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه
وتقدير توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر
محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده قراءته بالكسر وقيل

حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام
او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع
الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام
بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني
ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو
القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد
الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء
بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال
من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر
والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن
الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل
الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن
او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل
من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين
بيانا للتجوز او التخصيص تاخر الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من
حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون
استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة
على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب
لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد

وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها
لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهو السعادة او التوفيق بالطاعة او البشرى
بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه
خطب وقرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه
ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع
الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة
تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة
من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني
هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم و
قرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة
او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا
اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن
العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على
الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده او موصوله والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده مثل الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال اي نعيده
من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة
بالاعادة علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور
كتاب داود من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة و
بالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او ارض المقدسة يرثها عبادي
الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
او امة محمد عليه السلام ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح
معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا
اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر
الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى
الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا
عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او في المعاداة حرب لكم على سواء
مستوين في الاعلام او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا
على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري
وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة
انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به في الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون
من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري
لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون

اى نعيده

ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب او التشديد عليهم وقرا حفص
قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من
الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما
تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تسكن وان
الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر
رسوله عليهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه
وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان
الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها الاشياء على الاسناد المجازي
او تحريك الاشياء فيها فاضيف اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر
الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع من مغربها و [الشمس]
اضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة
الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى
فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما
ارضعت ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث
اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او
مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى
وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير
عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس
ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة

يراها الجميع وانثوا السكرا لما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء
للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن
الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث
بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في الجدال له او في عامة احواله كل شيطان
مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه
والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من
تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون
بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او
تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث
بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم
من تراب اذ خلق ادم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني
من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة
من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير
مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر
على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله
هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء
ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع
سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان
خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا
ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء

اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل
مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة
كانها شدة في امور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه
الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من
بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى اول الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه [اوان]
وينكر ما عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور
المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة
يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات
وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج
حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد
موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق
الاشياء وانه يحيي الموتى بعد ما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء
بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية لا ريب فيها فان التغير
من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي
لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به
من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي
او الاولى في المقلدين وهذه في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى و
الكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق
استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا
ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على

للضلال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له
في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق
وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم
القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله
ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن
الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون
على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا و
اطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد
ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني [مرارا فابى]
فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته و
حبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك
هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار
من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره لكونه معبودا لانه يوجب القتل
في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع لعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول
مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر
ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بها ومشافهة على ان يدعو تكرير

للاول ومن مبتدا خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر
رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد
بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه
او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء
بيته فيختنق من قطع اذا اختنق وان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد
حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ غايته فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه
فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه
منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين
استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا
القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي او يثبت
على الهدى من يريد هدايته او اثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما
يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره او يدل بذلته على عظم
مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها
وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس

عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار
احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليه
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي
يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن
الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف
به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله و
من يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان
الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك
قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في
دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله
واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل
الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا
فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت
على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب
يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار
يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم
فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ
بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها
ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها
بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد
الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها و
ذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل

او كرم المصدر ...

بمعنى ذاب
او تتسع ...

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه
واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون
فيها من حليت المرأة اذا البست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة
مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا
عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع
وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ
ولؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما يائين
ولؤل كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم
المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قوله الحمد
لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او
عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد
استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو
حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام
عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهد بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه
معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن من غير نكير وسواء
خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا والا فحال من المستكن فيه ونصبه
حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد
عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة
او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم

جواب لمن واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة
وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام
ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على بنائه القديم ان
لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من
حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله
عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد
اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج
والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في
اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة
للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال
بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان
المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود
مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم
الله من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب و
تنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون
الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه في

الوجوب وقرئه في الاول لثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب و
الاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون
من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحليل فانه
قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه واما الحجاج
فاقصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك
وهو واشاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وساير
ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام
والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل
به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسايبة فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة
في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما
كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه
حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك
وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له
غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه
سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع
افكاره وقرا نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء او تهوي به الريح في مكان سحيق
بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع
ان شبه

فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد و
يجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا
يشبه احدى الحالين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرايض الحج ومواضع نسكه
او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية
الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من وذكر القلوب
لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى
البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت
نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه الى الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي
لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين
اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون
بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت
المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل
امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل
به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند
ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا
اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او
المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه
لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المصايب والكلف و

والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت
بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها
عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها
شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية
فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم
منك واليك صواف قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن
الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فيقوم على
ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص
لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا
وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت
اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره
وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها
وقوتها حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوايمها ثم تطعنون في
لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب
رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر
من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى
قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية
اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك
سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره

على ما لا يقدر عليه غيره فيوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على
ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى
متعلقه بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع
عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع
مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى
الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر
وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف
لدلالة عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون
بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم و
كانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر
بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين
اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم
الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان
يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع لهدمت
بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنايس اليهود وسميت
بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن
الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على
صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي
على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا

الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل
بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم
لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب
فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت
اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم
اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة
خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان
تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او
خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة
مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس
حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء ف
محلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او
مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية وقيل
المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان

كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان
يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما
يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه
على ان العمى الحقيقي ليس هو المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه
اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك
بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما
اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه
وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية
وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع
الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان
الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد
يحيق بهم لا محالة وان تاخر امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم
اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب و
ذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة
في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم
هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال
معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه

وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرا ابن
كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم
دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة
مجددة يدعو الناس اليها والنبي من بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين
كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلم ولذلك شبه النبي صلعم علماء امته بهم فالنبي اعم من
الرسول ويدل عليه انه عليه السلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا
قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا
عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له
ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته
في مشتهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن
الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق
في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال
المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة
الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى
ان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم
يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية
وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه
وقيل تمنى قرا كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته و
القاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي
وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم
ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه
المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين
وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق
بعيد عن الحق وعن الرسول وعن المؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله
لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت
له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط
مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في
شك منه من الرسول او القرآن او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها
بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به
لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا
صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم ومنه الريح العقيم لما
لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد
بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه
ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة
والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل
من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم
يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم

الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف
انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب
ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما
عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو
الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله
لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما
ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب
ان الله تعالى قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين
الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص
منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان
الله سميع يسمع قول المعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال العلم والقدرة بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده
فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما
يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين

وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته
او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء
اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير
ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي
الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل عن صيغة
الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه
الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر
ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة
متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها
ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب
المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا
ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها
لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة هم ناسكوه يتعبدون بها وقيل عيد ام
فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر امر الدين والنسائك
لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي
الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب
الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك زيد وهذا انما يجوز في افعال
المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون

ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من
نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى
مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله
اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله
يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان
الله يعلم ما في السماء والارض ولا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه
فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة
به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل
المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة
تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم به من ضرورة العقل او
الاستدلال وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر
مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة و
للاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر
من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم
النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها
الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة
استئنافا كما اذا اعربت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس
ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل

اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان
الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا
للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على
خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة المنفي عنه
والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له مع انه
في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه ولو اجتمعوا له
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات
كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء من ذلك بانها
لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا
الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا
يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى
فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب
ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب من الذباب السلب او الصنم والعابد
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه
ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز
لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم
الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم
الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات

تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها
لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا
ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونها
اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله
وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا
ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجعون الفلاح غير متيقنين
له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله
عليه السلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا فى الله
ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كاهل الهوى والنفس وعنه عليه السلم
انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو
حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول
لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى
للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف
ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى
الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلم اذا امرتكم بشئ
فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم
فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والروس والديات
فى حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف

المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم
لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية و
وجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا
على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران فى الكتب المتقدمة وفى هذا
فى هذا القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين فى
القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل
وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا
عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان
من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا
الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به فى مجامع
اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم
المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى
الحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد
من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى سورة المؤمنين وهى مائة وتسع عشرة اية عند البصريين
وثمان عشرة عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على
ثباته اذا دخل الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من
فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على
الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء
بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم فى صلوتهم خاشعون خائفون
من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى انه عليه السلم كان يصلى
رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته

فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول
وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون
من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة
عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تبعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا
وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة ليدل
على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات
وسائر ما يوجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول
لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف
والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ
على عنان فرسى او حال اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج او التسرى
وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد
ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى
الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل
عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك
فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة
الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم على
الافراد لامن الالباس او لانها فى الاصل مصدر والذين هم على صلوتهم
يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة
من التجدد والتكرر ولذلك جمع غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم

به اولا فان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها
بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
الاحقاء بان يسمون وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهى مستعار
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل
انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق
لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه
اسم للجنة او لطبقتها الاعلى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة
سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية
او بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان ادم خلق
من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا
بعد ادوار وقيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه
نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة و
تذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء فى قرار مكين مستقر حصين يعنى
الرحم وهى فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا
النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقى من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت
الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر وابو بكر
على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر
ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه
او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت فاحتج به ابو حنيفة على ان من غصب

بيضة فانفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله
فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز
لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة
ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم
انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه
مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن
الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء
بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا
مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق
بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء
الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان
اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل و
اعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها
وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان
ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من
الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام
تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به
شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور مصر
سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما

علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا
للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او
ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة
الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن
ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت
كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول
وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف
على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع
بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه
للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون
بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن
يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها
وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها
ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب
للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون
الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر و
البحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص
مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من
زوالها ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرا الكسائي غيره بالجر

على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم
عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين
كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان
يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه
نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك
اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة
اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين
لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم
او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او
بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا بحفظه ان تخطئ
فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء
امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار
الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب
ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من
الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه
وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر
والانثى واحدين مزدوجين وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين
واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه
القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار
كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا
تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك

والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة
منهم باهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا
يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت
خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به
الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح و
قومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي
الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا
منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من
مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب
الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم
يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استونف به فعلى تقدير سؤال و
كذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحيوة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد
ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع
الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث
اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم

أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والأعصاب أنكم مخرجون
من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود وأنكم تكرير للأول أكد به لما
طال الفصل بينه وبين خبره أو أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل
للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الأول أي أنكم إخراجكم إذا متم أو أنكم إذا متم وقع م
وقع إخراجكم ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا أن
يكون الظرف لأن اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق أو الصحة لما
توعدون أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل فلما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم
منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون
على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحياة
إلا حياتنا وأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير وإشعارا
بأن تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة
إلا هذه الحياة لأن إن نافية دخلت على هي التي في معنى الجنس الدالة على الجنس
فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد
بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو ما هو إلا رجل افترى على الله
كذبا فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين
قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي قال عما
قليل عن زمن قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب إذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة
هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن قوم صالح بالحق
بالأمر الذي لا دافع له أو بالعدل من الله تعالى كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد

الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به
الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الإخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد
إذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها واللام
لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم أنشأنا من بعدهم
قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من أمة أجلها الوقت
الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى
متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور
والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو بالتنوين على أنه مصدر بمعنى
المتواترة وقع حالا كلما جاء أمة رسولها كذبوه أضاف الرسول مع الإرسال
إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء هو
الذي منتهاه إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الإهلاك وجعلناهم أحاديث
لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث
به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا بالآيات
التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد العصا و
إفرادها لأنها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية
وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها
وحراستها وتصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات
وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه
النبي إلى فرعون وملئه فاستكبروا عن الإيمان والمتابعة وكانوا قوما
عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لأنه يطلق للواحد كقوله
بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لأنه في حكم
المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بأن قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس

حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل
فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها متباينة
الأقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن
أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التعلم والتفكر في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال
فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم وإليه أشار بقوله تعالى
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وقومهما يعني بني إسرائيل لنا عابدون
خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق
في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم أي قل بني إسرائيل ولا يجوز
عود الضمير إلى فرعون وقومه لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم يهتدون إلى
المعارف والأحكام وجعلنا ابن مريم وأمه آية بولادتها إياه من غير مسيس
فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهرت منه
معجزات أخر وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها
وآويناهما إلى ربوة أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين
أو مصر فإن قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم
والكسر ذات قرار مستقر من أرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها
مستقرون فيها لأجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى
وأصله الإبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من
عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لأنه
جامع لأسباب التنزه وطيب المكان يا أيها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب
لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة
بل على معنى أن كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا ويكون
ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن إباحة

الطيبات للأنبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر
لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له و
لفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال
ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
واعملوا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون عليم فأجازيكم
عليه وإن هذه أي ولأن هذه والمعلل به فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل إنه
معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف
أمتكم أمة واحدة ملتكم ملة واحدة أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب أمة
على الحال وأنا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا أمرهم
بينهم فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم
منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أو لها على الحذف
زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة
وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فإنه يتضمن معنى جعل وقيل
كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل
كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم
من الدين فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق فذرهم في غمرتهم في
جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ في
غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا أيحسبون أنما نمدهم به إنما نعطيهم و
نجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فإنه غير معاتب عليه و
إنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات و
الراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم

واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا
ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين
هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات
ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا
يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من
الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم
راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك
يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او
يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها
لقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم
لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب
او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها
عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما
وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة
الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة
عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا
من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون
ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون
معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم

سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم
يجأرون فاجاؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد
حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا
يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم
على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم
قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى
مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي يسمرون
بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا
جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او
تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ
تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز
لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل
واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة
والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء
فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما
يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون

لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم
من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة
للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات
والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا و
قيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع
الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم
من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي
لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم
بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم او وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقوله
لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا
يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة
فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه
مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج
غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك
عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج
للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم
ان الله سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون
عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمنا

العلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة

هم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا واللجاج التمادي في الشيء في
طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون
عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت
فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم
السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها
الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا
قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من
غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله
اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته
الى الشمس حقيقة او مجازا والامره وقضائه تعاقبهما وانتقاص احدهما و
ازدياد الآخر افلا تعقلون بالتامل والنظر ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات
كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين
بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم
كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل

ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوا افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السوال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء الشرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحازب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان

على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلع على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نوخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال

منع عوكرد

ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد توكد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه ولا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها

وراء يفر ...

وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سوال من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المومنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم

عَلَيْنَا

و قرا حمزة والكسائي با لكسر استئنافا فاذا نفخ وقرا حمزة وابن كثير والكسائي على الامر قل كم لبثتم خطاب لله او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء و امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها و احصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال كم في قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيد رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر

رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اثنان او اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اقرا ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا يكون في الاغلب بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عم يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له

من مسلم ولا تاخذكم بهما رافة رحمة في دين الله في طاعة الله واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله و الاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب و الطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا ينكحها الا من هو زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناولها ولما سالت ويؤيده انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم

لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوف فيه خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار

وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان لعنة الله و ان غضب الله بتخفيف النون ورفع الباء وبكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب الباء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاءوا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة وذلك انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش

ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعايشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه عداوة لرسول الله صلعم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه

اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الالق والولق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلعم سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب لتتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرب عليها ان الذين يحبون يريدون ان

سبحانك م

تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل انواع متعجب م

تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضماير وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغن عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء من ظلم بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه السلام قراها على ابي بكر فقال بلى احب فرجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون

المحصنات العفائف الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله
استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن أبي لعنوا في الدنيا والآخرة
لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب
وقيل مخصوص لمن قذف أزواج النبي عليه السلام ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو
فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة يوم تشهد عليهم
ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف وقرأ حمزة والكسائي
بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بإنطاق
الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الأمر أن الله هو
الحق المبين الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب
والعقاب سواه أو ذو الحق المبين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه
ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات و
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أي الخبائث يتزوجون الخباث
وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أولئك يعني أهل بيت
النبي أو الرسول وعائشة وصفوان مبرؤن مما يقولون إذ لو صدق لم تكن زوجته
ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الأقوال والإشارة إلى الطيبين والضمير
في يقولون للآفكين أي مبرؤن مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أي مبرؤن من
أن يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله أربعة
بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر
الذي ذهب بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة
وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول وإعلاء منزلته يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فإن الآجر والمعير أيضا لا يدخلان إلا بإذن حتى تستأنسوا

تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم
للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن له أو من الاستيناس الذي هو خلاف
الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن استأنس
أو تتعرفوا هل ثمة إنسان من الإنس وتسلموا على أهلها بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل
وعنه عليه السلام التسليم أن تقولوا السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل و
إلا رجع ذلكم خير لكم أي الاستيذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو على
تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل
فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن على أمي قال
نعم قال لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال
لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا
إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم فإن لم تجدوا فيها أحدا يأذن لكم فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على
العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه
محظور واستثني ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوهما وإن قيل لكم ارجعوا
فارجعوا ولا تلحوا هو أزكى لكم الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على
الباب عنه من الكراهة وترك المروة أو أنفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون
عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم به عليه ليس عليكم
جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع
لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة
وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو يطلع على عورات
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي عما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم إلا على

أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض
أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج هنا خاصة سترها ذلك أزكى
أنفع لهم وأطهر لما فيه من البعد عن الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى
عليه إجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون
بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن
بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ولا يبدين
زينتهن كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى
له إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجا
وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية و
التزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا
في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى
شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن
سترا لأعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن
لا يحل له إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع
بدنهن حتى الفرج بكره أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء
بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لكثرة مداخلتهم
عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من
النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أو لأن الأحوط أن يسترن
عنهم حذرا أن يصفوهن لأبنائهم أو نسائهن يعني المؤمنات فإن الكافرات
لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف أو

ما ملكت أيمانهن يعم الإماء والعبيد لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة عليها السلام
بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت
رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك
وقيل المراد بالإماء وعبد المرأة كالأجنبي أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال
أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي
خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا
من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال أو الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم
حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة
الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها
فيعلم أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلا للرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار
الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون إذ لا يكاد
يخلو أحدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في
الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما
يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
وإمائكم لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن
التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه أمر بالنكاح
الحافظ له والخطاب للأولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبها وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا
لما وجب على الولي والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان
أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم و
تخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح

[illegible]

استبد وتفرد [illegible]

[illegible]

والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح
والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الاية
لكن مشروطة بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق
ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف الذين وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا
يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه
حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب
المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب
على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض
فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول مضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط و
الامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب
كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان
علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا
وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم
من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان
يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند
الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث و
قيل ندب الله لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا او يعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يا

صدقة كالبائع والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة و
لنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست
جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع
المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود
من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة
لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات
بصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة
عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة
للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل
المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض
النور كيفية في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية
الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه
على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة
والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون

به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او
الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها
له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف
فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي
باذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء
ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل
نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه
عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة
المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كأنها كوكب
دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق
من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته
ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب
وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح
من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة و
وصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص
بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده
الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين

وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع
عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها
اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه
اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب
عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة
ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء
بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور
المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات
في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى
من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به
قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده
قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي
ينوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس
والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت و
العاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج
منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت
المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر
لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة

من القاني وهو الضارب الى السواد لفرط حمرته وقيل من ... العنبرة وهو سواد النخل من قولهم احمر قاني ... المرض الذي لا تقع فيه الشمس ١٢ ك

في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية وانارتها بما تشتمل
عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية
والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها و
الزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا يكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة
في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها و
شدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في
مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم
تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان
كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان
بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي
والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها
العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها
كان نورا على نور يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب
دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول
من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا
كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت
متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به
بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة
المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها
ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد

لا بتذكر لانه في صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها
المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع
بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله و
المباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال ينزهونه او يصلون له فيها
بالغدوات والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه
بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ بالايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر
وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع الرجال بما يدل
عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله
مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم
من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة
الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا
اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيها الاضافة من التاء
المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم
عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير
من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار
ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او
يخافون احسن ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم
يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير
للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين

كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان
اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة
كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن
انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل
جمع كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي
العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة
حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد
الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او
مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية
لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج
البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب
وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا
والسراب في الاخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه
يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق
الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات
اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من
الاولى او باضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد
يريها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة
المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر الله له الهداية ولم يوفق

لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه
المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات
والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء
او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص
لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيده بقوله صافات فان اعطاء الاجرام قيد
الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض و
البسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر
او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا
او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على
الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله
الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا تكاد تهتدي
اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من
الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى
الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق
ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا
فضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما فيضم
متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من
جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال
والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز
ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء
المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنع والمشهور

ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يكاد ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر وبتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما لا يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحوش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة

يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم انه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنع فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول

المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين الكاذبة المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحها واذا ابتدأوا كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم

من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا تحسبن الكفار احدا معجزا لله فيكون معجزين في الارض مفعوله او لا تحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات وماويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير الماوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف

من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب
الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلعم مدلج بن عمرو الانصاري وكان
غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر
لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه
الساعة علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلعم فوجده وقد نزلت عليه هذه
الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر
عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من
قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي
هي من قبل وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلث عورات لكم اي ثلثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون
مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه
ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك في احرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان العذر
المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل
الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على
بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم

اذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين
بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب الاستيذان على البالغ
على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في
الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل
اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي
او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله
ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب
منه شيء الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير
لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع
اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة
ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم
واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا
علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود
عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه

وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او
بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة
او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم
او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع
كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص
هولاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية على ان
لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او
متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده
او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن
الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في القرارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من
هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من
عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب
الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى
بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال
متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين
الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق
والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله
من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ جميع لم يذهبوا حتى

يستاذنوه يستاذنوا رسول الله صلعم فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق
لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنهم التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في
الذهاب عن مجلس رسول الله صلعم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب
ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذنه ليس كذلك فاذا
استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق
للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على
ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن ذلك قيد المشية بان يكون تابعة
لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله
بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين
ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز
الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله
ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم
كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاء ربه
كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل
لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه
كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض

ويصدون عن امره دون المؤمنين من خالف عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه ويوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلعم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار

وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبر واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان

فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت لان المبدل منه صفة نزل وليكون معلل له فكان المبدل منه تم

نفعل نتيجة وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله قل انما انا بشر مثلكم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان

لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل البيت ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله صلعم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الموت وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله كلما نضجت جلودهم او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد

للمدح او الدلالة على خلودها او المتميز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح
او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون
اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان
يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤون
ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر
ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات
لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤولا
الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان
يسأل ويطلب او مسؤولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع
الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم
على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرا ابن كثير
ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه
اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة
عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي
للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرا ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح
وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي
حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه
والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل

لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها
لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك
وقرئ نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان واتخذ الله ابرهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي
ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا
الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة
للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى فعل الله بهم فحملهم عليه وهو
عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما
بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء
اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرا حفص
بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من
قولهم انه يتصرف اي يحتال ولا نصرا يعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون
نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو
عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت
الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها

بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ
يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسوله صلعم على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وحث على الصبر على ما افتتنوا
به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين
لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث اي لا يخافون لقاءنا بالشر
على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه الوصول الى
المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا
انزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا
بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حين ارادوا لها
ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو
اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه
حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما
سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاتيان
بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة
جساس ابأنا بها كليبا غلبت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة
ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ
للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين
تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او بشرى ان قدرت منونة غير مبنية
مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام فيتناولهم ولحكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من

نفي البشرى لعامة المجرمين ح نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر واما خاص
وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما
يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقولون الكفرة هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو
او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ
حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك
ولذلك لم يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه محجورا للتاكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم
من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو
شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم
فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس تطلع من الكوة من الهبوة
وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه
في انتثاره بحيث لم يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا
مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة
على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين
به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة
الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق
فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها

وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام و
الملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن
كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ
الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو
الخبر وللرحمن صلة او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة
والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم
يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس
وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلعم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل
طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال
قال لا ولكن ابى ان لا ياكل طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال
لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار
الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة
ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا
وطريق الحق ولم يتشعب طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم
اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هن كناية عن الاجناس
لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد
اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على
مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه
حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ
او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا

بان

بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلم من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
او هجروا به ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصلها
مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف
لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلنا لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر
والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك
عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض
قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثه وهو اعتراض لا طائل تحته لان
الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوايد منها ما اشار
اليه بقوله كذلك لنثبت به فوادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه
فوادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث
كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لعيي بحفظه ولعله لم يستتب له فان
التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة
وغوص في المعنى ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال ثبت به فواده ومنها
معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه
يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا
فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام
الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على
الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرءناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة
وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا
ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك

بالحق الدافع له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا او ما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او
مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول
على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه
كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد
اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة
واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران
عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه باياتنا
فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي
القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم
على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا
وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية وجعلنا اغراقهم او قصتهم عبرة واعتدنا
للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما
لهم وعادا وثمود عطفا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين

وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث
الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم
نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم
اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون
وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح او دمخ وتنقض
على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه
في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة و
عشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له
الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا
هلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب
والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ
له ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي
امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون لما يرون فيها من اثار عذاب
الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله
المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا
محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم
بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم

اتخذه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط
اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات
لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق
من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له
وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه
بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله
هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم
وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه و
تخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا
على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم
وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من
الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب عما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا
ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء
تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها
ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير
صنعه

عدم الاطاعة

النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه و
تصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع
الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطبع وتسد
النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل
ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل
الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى
تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم
قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر
عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا
حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع
الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادئ اوقات ظهورها وقيل
مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله
ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع
الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهتدي به يتفاوت حركتها وتحول نحوها
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان تنتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا
عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور
اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون
اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما

فقلص بعد القبض والنزول

تستيقظ كذلك تموت فتبعث وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد
ارادة للجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بسكون الشين على
التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا
بتخفيف جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا
به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسله سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين
لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف
الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع
مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها
فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في
معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر الابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد و
نسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون
بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون
بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء
وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق
هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام
قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ
نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياءه وهو
جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء و
لقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب

او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة
من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك
بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا
ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف
عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء
كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء
النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين
فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك
طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم
بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة
السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم
فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث
لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش
من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل
اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا
محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا
محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها
وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح الكبير وبالبرزخ ما يحول

النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق لقائله من ساعته
محي

بينهما من الارض يكون العقبة في الفصل والاختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة
اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزء من مادة البشر
ليجتمع ويتسلسل ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا
وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر
اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك
قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى و
يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما
عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على
ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل
وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك
فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمومنين والكافرين قل ما اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا
مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة
الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود
عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت
في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه حقيق بان يتوكل عليه دون

الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده
ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام
بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا
عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه
حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه خالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات
والتاني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء
على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذين ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة
للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسئل به خبيرا فاسئل
عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من
وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم
وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن
لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا و
اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله
او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا
يعني تامرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو
وقرأ حمزة والكسائي ويقر الباقون يامرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم
اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا
يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس
لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا

مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد و
الرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة الليل
يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله
واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان
ان يذكر ان يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم
واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم
او ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر
وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه و
عباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض
واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عبادا
جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم
يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة
لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا تنافيه
اية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة
بالليل احمز وابعد من الرياء وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست
مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة
باسم ان او اخبرت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى

او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق
في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع
وابن عامر بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين
ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو
خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان
لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء
عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون
ولا يزنون نفي عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا
لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة
باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما
جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف
او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم و
ابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على يضعف يضعف
البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعف له العذاب ومضاعفة العذاب
لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة و

وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات
ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط
او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله
بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا
الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا
يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل
شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين
عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن
الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين
اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل
اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من
النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المومن اذا شاركه
اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في
الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك
اسدا وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة
تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى
عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم

والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم
طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس
واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه
قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي
اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها و
قيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء
بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا و
يسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا
ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو و
سائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة معه
وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة
من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم
لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب
فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما
حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه
الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلعم من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو

مومن بان الساعة لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا
قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرا حمزة وابو بكر والكسائي بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى
الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك
آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن
على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان تبلغ بالذبح
النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك
بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة ان لا يكونوا مومنين
لئلا يومنوا او خيفة ان لا يومنوا ان نشا ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة
الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على
اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها
الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة و
ظلت عطف على ننزل عطف فاكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما ياتيهم
من ذكر موعظة وطائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث
مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر
بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء المخبر به عنهم ضمنا في
في قوله فسياتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا
به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا

فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى
وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان يكون مبينة منبهة
على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج
وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على
ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مومنين
في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك
لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او
العزيز في انتقامه ممن كفر والرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى
مقدرا باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او
عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك
الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم
واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم
وان كانوا غيبا اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه
اليه واشراكه في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه
وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث
لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه
متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا

في تلقي الامر بل ليطلب ما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق
ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم على ذنب
اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على
زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة
وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد و
استظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين
بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب
في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع
يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون و
فرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن
حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد الاولياء منهم مبالغة
في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي
هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر
وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما
فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او
لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان
ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول
والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له
ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة و
لبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين
عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت

عن الخوف من التكذيب ... والوحدة ...

تعلتك

فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته و
قرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي
حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية
فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين
بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها
اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي
الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به
التاديب او الناسين من قوله ان تضل احدهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته
ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه
بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها
على ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها على بها ظاهرا وهي
في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك
وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها على وهي ان
عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
والنصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف
بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع
فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال
فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو
بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب
السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف
الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم

علي

التزل

موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغير احوالها فلها مبداء واجب لذاته وذلك المبداء لا بد وان يكون مبداء
لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب واستغناء
بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته
قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او
يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى
ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر
واوضح عند التامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اساله عن شيء
ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
تشاهدون كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم
الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم
تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى
شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله
الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك
قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين
للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا
ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك
ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة

علي

على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة
بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة
او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما راى الآية الاولى قال
فهل غيرها فاخرج يده قال ما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد
يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع
موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة
القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى عليه واظهار الاستشعار عن ظهوره
واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في
المداين حاشرين شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه
في هذا الفن وامال الفها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من
يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا
على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية
للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على ما تقتضيه من الجواب

والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي بعدما
قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه
بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به إلى إظهار الحق فألقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزته على أن الغلبة
لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر فألقى
موسى عصاه فإذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما
يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فألقي السحرة ساجدين لعلمهم بأن مثله
لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له و
أن التبحر في كل فن نافع وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوه
لم يتمالكوا أنفسهم وكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم
من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من ألقي بدل الاشتمال أو حال بإضمار قد رب
موسى وهرون إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم
ما أجراه على أيديهما قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه
أراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة
والكسائي وأبو بكر وروح أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين بيان له قالوا لا
ضير لا ضرر علينا في ذلك إنا إلى ربنا منقلبون بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء
للذنوب موجب للثواب والقرب من الله أو بسبب من أسباب الموت والقتل
أنفعها وأرجاها إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا لأن كنا أول المؤمنين
من أتباع فرعون أو من أهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير أو تعليل للعلة

المتقدمة

المتقدمة وقرئ إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة
المدل بأمره إن أحسنت إليك فلا تنس حقي وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم
يزيدوا إلا عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن كثير أن اسر بكسر النون ووصل الألف من
سرى وقرئ أن سر من السير إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو
علة الأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث عليهم
لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حتى تلجوا البحر فيدخلون مدخلكم
فأطبقه عليهم فأغرقهم فأرسل فرعون حين أخبر بسراهم في المدائن حاشرين
العساكر ليتبعوهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون على إرادة القول وإنما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالإضافة إلى جنوده إذ روي أنه خرج وكانت
مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم
لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل وإنهم لنا
لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وإنا لجميع حذرون وإنا لجمع من عادتنا الحذر
واستعمال الحزم في الأمور أشار أولا إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى
تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه
أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر
والكوفيون حاذرون والأول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي
في السلاح وهو أيضا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرا وقرئ حادرون
بالدال أي أقوياء قال أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو
حادر أو تامو السلاح فإن ذلك يوجب حرارة في أجسامهم فأخرجناهم
بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الإخراج

أخرجنا فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام أو
الأمر كذلك فيكون خبرا لمحذوف وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم وقرئ
فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا
بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى
إنا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من أدرك الشيء إذا تتابع ففني
أي إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم قال كلا لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص
منهم إن معي ربي بالحفظ والنصر سيهدين طريق النجاة منهم روي أن
مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد
غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا إلى موسى أن
اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب فانفلق فصار اثني عشر
فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت
في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين
بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن
في ذلك لآية وأية آية وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم إذ
لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن
ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ
إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم أن ما يعبدونه
لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فأطالوا جوابهم وشرح
حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك

لدلالة

لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه
مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها
أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أضربوا
عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجئوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما
كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة
ولا ينقلب به الباطل حقا فإنهم عدو لي أي هذه الآلهة التي تعبدونها أعاديهم
أنا ولا أعبدهم عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من
جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري لعبادتهم أعدى أعدائهم
وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح
وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه
في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب العالمين استثناء منقطع أو متصل
على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني
فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما
قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله
يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية
الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة و
التنعم بلذائذها والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل
صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية و
قوله والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الأول لمبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما
قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل
واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت فهو يشفين عطف
على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب

يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم
ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه و
انما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي
تستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض
في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الاخرة
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما
للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم
واستغفارا لما عسى يند منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث
اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا
رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق
والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في
الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق
في الاخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من
امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني
ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه
واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر
لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان
هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي
على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة

وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو
من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم
معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر
افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفقوا ماله في سبيل
البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين
شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى
الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت
الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها و
برزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها
وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار وكذلك
فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب
معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود
ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان
جعل مبتدا وخبره ما بعده والضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود
اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على
ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب
العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا و
الخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون
بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين

من الملائكة والانبياء كما للمؤمنين ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم
شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع
الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق على الجمع
كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمني
تمني الرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف
جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر
فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد
ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن
المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه
على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم
وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا و
ايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم
اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام
الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح
المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا
عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسألكم عليه على ما انا عليه
من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله
واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته و
حسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع

الواو بمعنى [illegible]

وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجري في الخمس قالوا انؤمن لك و
اتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب
واتباعك فهو جمع تابع كشاهد وشهود او شهاد او تبع كبطل وابطال وهذا
من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين
فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك
الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك
قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما
علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على
الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون
ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء
طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان
انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين
عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي
ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن
من المرجومين من المشتومين او من المضروبين بالحجارة قال رب ان
قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم
له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة
ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم وشؤم عملهم فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه
ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين و
ان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة

وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان
الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع
الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع
الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم
في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث
بمن يمر عليهم او قصورا يتفاخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء وقيل
قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم
بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد
تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم
اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله
اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد
والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه
وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا
الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا
خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق

البطش الاخذ بقوة والشدة

بضمتين اي وما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او
ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح
صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما هاهنا آمنين
انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم
آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف
لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل
السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا
تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب
حكم الامر مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك
عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت
من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرية
اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فأت
بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما
اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي

والعين الحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا
على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم
عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب
فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك
اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة
او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن
اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله
ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من
العالمين اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس
وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما ان
اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا
بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون
عن حد الشهوات حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في
المعاصي وهذا من جملة ذلك واحقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم
هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا
لتكونن من المخرجين المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه

على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض
لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته
على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون
اي من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم
من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة
في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم
راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا
الآخرين اهلكناهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف
اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة
فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ
قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وجرت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت هاهنا
وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل
اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل
والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة

وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم

الاولين بقي من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا
بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة
في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء
قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح
السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه
منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه
كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين و
ان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار
تسلية لرسول الله صلعم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم
بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه
كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد صلى الله فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما
بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر والكسائي بتشديد
الزاء ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين واضح المعنى لئلا يقولوا ما
نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين لتكون ممن انذروا بلغة
العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلم وانه لفي زبر الاولين

وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة
محمد عليه السلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو
تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان
يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان
يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة
العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع
جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول
عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي
ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى
يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم
لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا افبعذابنا
يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب
طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما
اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف
والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين او قبل الانذار وما تنزلت
به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما
ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن
السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذوات وقبول

فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات
لا يقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص
ولطف لساير المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين منهم فالاقرب فان الاهتمام الاقرب
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا
اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان
يحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان
المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك
فلم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على
العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر
من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب
الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين و
ترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او
تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف
الله تع بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد ان وصفه بان من شانه قهر اعدائه
ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم
بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما
بين ان القران لا يصح لان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على

شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد
وحال محمد صلوات الله وسلامه عليه على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع
واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم
ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلوات الله عليه فانه اخبر عن مغيبات
كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر
ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجني و
قيل الضماير للشياطين اي يلقون السمع الى الملاء الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم
بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او
لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد
ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد
يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب
بالحرم والغزل والابتهال وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد
الكاذب والافتخار الباطل ومدح ما لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله
وانهم يقولون ما لا يفعلون كانه لما كان اعجاز القران من جهة المعنى و
اللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس
كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول لحال
اربابهما وقرا نافع ويتبعهم على التخفيف وقرا بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعضه
بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد كثيرا
ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر

اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا اراد وابه
الانتصار عمن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحه وحسان
بن ثابت والكعبان وكان عليه السلم يقول لحسان قل وروح القدس معك و
عن كعب بن مالك انه عليه السلم قال اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من
النبل وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم
من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اى منقلب ينقلبون اى
بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر حين عهد اليه وقرئ اى
منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان
ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق محمد عليه السلم سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك آيات القران وكتاب مبين الاشارة الى اى السورة والكتاب
المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره
باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع
فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين
على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ كتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات و
العامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة و
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف

وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة
فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي يجب عليهم ان يعملوها بترتيب
المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك
الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون
اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران
لتؤتاه من لدن حكيم عليم اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في
الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران منها
ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا
اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق
لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل و
السين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطا او آتيكم بشهاب
قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس
ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه
بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي
في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء
ان تستدفؤا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك
اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة

من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان
النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن
في البقعة المباركة ومن حولها مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك
الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبيا
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى و
قيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك اشارة بانه
قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين
من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة
ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله
الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز
الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على
ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير و
الق عصاك عطف على بورك اى نودي ان بورك من في النار وان الق
عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله
تبكر يران فلما راها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة
سريعة وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى
مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعبه لظنه
ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اى من غيري ثقة بي
او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اى من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون
منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك

ولم يعقب

به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم
وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل معطوف على محذوف اى من
ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لاكم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان
في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد
الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استيناف بالارسال
فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم
كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى
بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار
بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي
والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها
وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها وان الواو
للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق
في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرايع
او علما اى علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به
في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على

فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه
ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من
فضله وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث
سليمان داود النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر
بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من
كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة
التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق في
المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق على كل
ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق و
الصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة
للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض
بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه السلم مهما سمع صوت حيوان علم
بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي
أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء
وصاحت فاختة فقال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل
عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في
علمنا وأوتينا له ولأبيه أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة
والمراد من كل شيء كثرة ما أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء إن
هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على أحد وحشر وجمع لسليمان جنوده
من الجن والإنس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس أولهم على آخرهم
ليتلاحقوا حتى إذا أتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل إليه
بعلى إما لأن إتيانهم كان من عال أو لأن المراد قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا

أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي قالت نملة يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم
مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال
فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجرى مجراهم مع أنه
لا يمتنع أن خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمن وجنوده نهي لهم عن الحطم
والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف
أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون
أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء
وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها
تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها أو سرورا بما خصه الله به
من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب أوزعني
أن أشكر نعمتك اجعلني أزع شكر نعمتك عندي أي أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني
بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح الياء أوزعني التي أنعمت علي و
على والدي أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فإن النعمة عليهما
نعمة عليه والنعمة عليه ترجع نفعها إليهما سيما الدينية وأن أعمل صالحا ترضاه
إتماما للشكر واستدامة للنعمة وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين في
عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا
أرى الهدهد أم كان من الغائبين أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر
ولا يراه لساتر أو غيره فقال ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب
عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لأعذبنه
عذابا شديدا كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله أو جعله
مع ضده في قفص أو لأذبحنه ليعتبر به أبناء جنسه أو ليأتيني بسلطان مبين

بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما
اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن
كثير أو ليأتينني بنونين الأولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد
يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال أحطت
بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق
الله من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بإدغام
الطاء في التاء بإطباق وغير إطباق وجئتك من سبإ وقرأ ابن كثير برواية البزي
وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة بنبإ يقين
بخبر محقق روي أنه عليه السلم لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم فأقام به
ما شاء ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فأعجبته نزاهة أرضها
فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك
فلم يجده إذ حلق حين نزل سليمن فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فتواصفا
وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة
الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها
ويستنكرها من ينكرها إني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن
مالك بن ريان والضمير لسبإ أو لأهلها وأوتيت من كل شيء يحتاج إليها
الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها وقيل كان ثلثين
ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا يعبدونها
وزين لهم الشيطان أعمالهم عبادة الشمس وغيرها من قبائح أعمالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون إليه ألا يسجدوا لله فصدهم
لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لا يهتدون إلى

أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء
ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة
فقلت سميعا فانطقي وأصيبي وعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمن
والوقف على لا يهتدون فيكون أمرا بالسجود وعلى الأول ذما على تركه وعلى الوجهين
يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء
وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات
والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره
والخبء ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب و
إنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة
إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود
ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما يخفون وما
يعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي هو أول الأجرام وأعظمها
والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى
التأمل أصدقت أم كنت من الكاذبين أي أم كذبت والتغيير للمبالغة
ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم ثم تنح
عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم
إلى بعض من القول قالت أي بعد ما ألقي إليها يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب
كريم لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوما أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت
مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة فألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به
إنه من سليمان استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه أي الكتاب
أو العنوان من سليمان وإنه أي المكتوب أو المضمون وقرئا بالفتح على الإبدال من كتاب

او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية
فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب
واتونى مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال
الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذايل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضايل
وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد
فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملاء
افتونى فى امرى اجيبوا فى امرى الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت
قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالوها
على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة
وشجاعة والامر اليك موكول فانظرى ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اخربوها تزييف
لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتيه والعرضيه واشعار
بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه
من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة باهانتهم ونهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة
والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من
عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية
بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها
عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها
بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمان على زى الجوار وجوارى
على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت

جز

ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى
الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما
وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل بالحال طلب الحق واخبر بما فيه فامر الارضة فاخذت
شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى
الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اى
الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول
ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ
بنون واحدة وبنونين وحذف اليا فما آتانى الله من النبوة والملك الذى لا
مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى بل انتم
بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى
اليكم حبا لزيادة اموالكم وبما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد
بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى
قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها
وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم
صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك
ان يريها بعض ما خصه الله به من العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه
فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل
ان ياتونى مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه و
كان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك فى مجلسك

للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل
منه شيا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا
وزيره او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير
عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب
فى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطاه فقال
له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا
لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح
وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر
فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله وكنت
اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضره بين
يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه فلما رآه راى العرش مستقرا عنده
حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله
هذا من فضل ربى تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار
العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان
مثله قد مر فى آية الاسراء ليبلونى ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول منى
ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه
وعلهما النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب
لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران
ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا
لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف
اتهتدى الى معرفته او الجواب الصواب ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب

وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه
الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة
فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده سخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو
لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا
مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار
معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة
بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه
من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على
الانبياء اى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا
منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم
فى ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله وصدها عبادتها
الشمس عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان
انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول
اى صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلى الصرح القصر
وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روى انه
امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء و
القى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته
ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل ساقيها بالهمزة حملا على
جمع سوق واسؤق قال انه ان ما ظننته ماء صرح ممرد مملس من قوارير
من الزجاج قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان
فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين

بما امر عاده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون
على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة
فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم
كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم
ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ
تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم
سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم
تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم
الذي هو مبدا ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة
تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق
بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص عن شوب
الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا
او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرا حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا عن ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك
في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا
وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا
اذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم

كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في
الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن
اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت
عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه
قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان
ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف
لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب
انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف
حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة
من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا
عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة
بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل
انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن
والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون

يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى امر رسوله بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال
قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى
بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من
احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمد
على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من
الهلاك الله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم
ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرا ابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالياء امن بل ام من خلق السموات والارض التي هي اصول
الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل
لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة
الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهي الاحاطة
االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين و
قرئ االها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون وتوسيط همزة بين الهمزتين واخراج
الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض
قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها اوساطها انهارا
جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع

وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا
وقد مر بيانه في الفرقان االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به
امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى
الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا
يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم
خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن كان قبلكم االه
مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون
الاله تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا
ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن
يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات
الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء
وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر و
لو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة
الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية
لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب االه مع الله يقدر على مثل
ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق
امن يبدا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج
الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض باسباب سماوية وارضية
االه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان
كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع

المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعا ان كان ممن في السموات والارض ففيها
من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات و
الارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تع واولي
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى
ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة بل ادارك
علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة
بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج و
الآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها
كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال
بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى
جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاثة تنزيل لاحوالهم و
قيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ ءادرك بهمزتين
وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى ادارك وام
تدارك وام ادرك وما فيه استفهام صريح او مضمر من ذلك فانكار وما فيه
بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير
مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون
او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون
كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان

كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار و
المراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرا نافع اذا
كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرا ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود
بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير
الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين من قبلهم والتعبير
عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم
واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان و
قرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون
متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون
ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام
مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب
يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا
لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله و
وعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل
والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون
حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من
عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من
الصفات الغالبة والهاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى
كالتاء في عاقبة وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد

منه ان يتفضل عليهم بتاخير العقوبة وان لا يعاجلهم بها

اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم هم المنتفعون به ان ربك
يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه
انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه
فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق
بالوثوق وبحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من
حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى
لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا
يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا
بالبصر وقرا حمزة وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من
يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه
لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث
والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا
يدركها طالب وروي انه عليه السلم سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة
على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي
انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة
بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان
الناس كانوا باياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله وقيل
القرآن وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى

حكاية لما قالت الارض

الزغب الشعيرات الصفر على ريش الفرخ منه

قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم
نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي
فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين
والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن
كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاءوا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم
تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا
يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا
يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب
الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات
الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد
ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل
النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم
في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار
مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله ا
المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها
على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في
الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله اي ان لا يفزع

ان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة و
حملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل
اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص
اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين
وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة و
ذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها صنع
الله مصدر موكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن
كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال
وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف
بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من
جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء وهم
من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمومن
وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ
بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم
في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت
بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على
الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد
وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم
لشانها

لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من
المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران وان اواظب
على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا واتباعه وقرئ واتل عليهم
وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه
عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله
شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما
علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة
الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم
المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن
اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النمل كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج
من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية
وقيل الا الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك الكتاب المبين نتلوا عليك نقرا بقراءة جبريل ويجوز ان يكون نتزل آيات
مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نبائهما مفعول نتلوا بالحق محقين لقوم
يومنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف مبين لذلك
البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل و
احزابا بان اغرى بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم
بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل

يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل
وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق
كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة
على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف
ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون
تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع
منه جاز ان يجرى مجرى المقارن ونجعلهم ايمة مقتدين في امر الدين ونجعلهم
الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام
واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر و
نري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون و
هامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه
ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل
ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب
بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت
قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على هالها نور الارض
بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له
تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل
لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا حمزة
والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا

كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربوه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين بحذف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امراة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا
لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها
الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث
انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب
بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما
رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه
ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائل نتبناه
والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع منه
والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه
لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من
الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء
لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر
او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت
لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح
بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المومنين من
المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ
موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز وجوه
وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي

اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو
بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني
الثدي من قبل قصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه
قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك
ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي
وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى
كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه
الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق
علما مشاهدا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون فيه او ان
الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه و
ذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي
الا على راس الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم
الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لانه استنباه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا
بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه

على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي
بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي
فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان
مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده
من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت
منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي
ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب
بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن
فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون
ظهيرا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك
فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره با
لامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين
بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه الذي
سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي
بالامس هذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول
على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم
بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج

مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصا المدينة
يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لان تخصيصه يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك انما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر
ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق
طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين ابن ابراهيم
ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي
ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق
فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين
ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق
شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من
دونهم في مكان اسفل منهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء كيلا
تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول
لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو
وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء وهو اسم جمع كالرجال وابونا
شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما
مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم
وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب

اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت الي من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت
فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك
فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل
الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك ليكافئك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها
ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما
فامتنع عنه فقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا هذا فان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون و
قومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير
من استأجرت القوي الامين تعليل شاع مجرى الدليل على الاحقية بالاستئجار
وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب
معروف روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال
الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي
اجيرا او تثيبني من اجرك الله تعالى ثماني حجج ظرف على الاول ومفعول به على الثاني
باضمار مضاف اي رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك
فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد
ان عين له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك
العقد نفسه فلعله جرى على معينة ومهر اخر او رعيه الاجل الاول ووعد له
ان يوفي الاخر وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في

انه حقيق

مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب
عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته ستجدني إن شاء
الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني
وبينك أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أيما الأجلين أطولهما
وأقصرهما قضيت وفيتك إياه فلا عدوان علي لا تعتدي علي بطلب الزيادة
فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو فلا أكون معتديا
بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم علي وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في
القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي وقرئ أيما كقوله تنظرت
نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطن وأي الأجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي أي الأجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد وحفيظ فلما قضى موسى
الأجل وسار بأهله بامرأته روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده
عشرا أخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا أبصر من الجهة التي
هي الطور قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق أو جذوة
عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن
لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال وألقى على قبس من النار جذوة شديدا
عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم
وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي
الأيمن أتاه النداء من شاطئ الأيمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو بصلة
نودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطئ أن يا موسى
أي يا موسى إني أنا الله رب العالمين هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه
في المقصود وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز أي فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت

اسم رجل

فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة والجثة أو في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف
ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين من
المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أدخلها تخرج بيضاء
من غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع
بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر
وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يكون المراد
بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف
نشر جناحيه وإذا أمن ضمهما إليه من الرهب من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل
ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون
الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك إشارة إلى العصا
واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم
أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة
البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا إلى فرعون وملئه إنهم كانوا
قوما فاسقين فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف
أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا معينا وهو في
الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق و
تقرير الحجة وتزييف الشبهة إني أخاف أن يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة
وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم
وحمزة يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك بأخيك
سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد و
شدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة أو حجة فلا يصلون إليكما باستيلاء
أو حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها أو بمعنى

لا يصلون أي يمتنعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله
أنتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام
فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا
سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف
بالافتراء كسائر أنواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر أو ادعاء النبوة في آبائنا
الأولين كائنا في أيامهم وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم
أني محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قاله جوابا لمقالهم ووجه
العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد و
من تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية
هي الجنة لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب
إنما قصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي بالياء إنه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت
من إله غيري نفى علمه بإله دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه
ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويطلع على الحال بقوله فأوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى كأنه توهم أنه لو كان
لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال وإني لأظنه من الكاذبين
أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل
على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله أتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من
خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها
ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان

علة لأن الصرح
لاطلاع آثار أو أوضاع
الكواكب

وأول من اتخذ الآجر فرعون

باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق بغير
استحقاق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بفتح الياء وكسر الجيم فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم
في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان
عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها فإنك منصور عليهم وجعلناهم
أئمة قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا أو بمنع الألطاف الصارفة عنه يدعون إلى
النار إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم
الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين أو ممن
قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى أقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس أنوارا لقلوبهم تتبصر بها
الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى إلى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لأنهم
لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر
وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي أو الطور فإنه
كان في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب للرسول
أي ما كنت حاضرا إذ قضينا إلى موسى الأمر إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا
تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون
للميقات والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات
التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا أنشأنا قرونا

فتطاول عليهم العمر اى ولكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى
فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين
شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرا عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا
كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
لعل المراد به وقت ما ناداه واعطاه التورية وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران وقت ما
في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه
رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم
في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم
يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية
واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا
المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو
المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم
العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب
كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون
من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة
عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة
واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني
ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من

اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا تظاهرا تعاونا باظهار
تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما
سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا
على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى وهو
يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران
مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجي حرف الشك
للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الايمان بالكتاب الاهدى فحذف
المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا
عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم
يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها
ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال
للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضا في الانزال لتتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد
والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل
اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله
للقران كالمستكن في يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله انه الحق من
ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف
آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا
ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران او تلاوته عليهم

باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة
على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل
النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرءون بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم
فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا
تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو
اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله
قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت وقالوا ان
نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل
بن عبد مناف اتى النبي فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم
نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الذي تتناحر العرب
حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب في رواية بالتاء
ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام
فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق
بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو
علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها
بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس بانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله

وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم
في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المار يوما او بعض يوم او
لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم
يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع
الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه
او مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى
حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلوا
عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير
في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون
فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن
وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه
لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العقاب وثم للتراخي
في الزمان او الرتبة وقرا نافع وابن عامر في رواية الكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف رتب
على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي
الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق
عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مراده وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس

اجحيش وغيرها من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء الذين هم
اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا
غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعل
بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما
اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم
تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك
خلت عن العواطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا
يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة
والنصرة وراوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به
العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسالهم اولا
عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى
عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر
الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره و
المراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب
عن مثل ذلك من الهول ويفوضون العلم الى الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط
الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع
بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على
عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا
موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار

عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع
لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن
العاطف ويويده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى يختار الذي
كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او
يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه
به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن
فيه وهو الله وهو المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى
والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في
الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة و
الميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او
تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه
هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها
على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة
عن مشاغل الاشتغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة متاعب
في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله
ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل
من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار

لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم
تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء
اجلب لغضب الله من الاشراك او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان
انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل
امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم
على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد
وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون
كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن
آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى
لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز
من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة
خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا
بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين
اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما

يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما يكفيك واحسن
الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة
كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان عليه
من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته
على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في
موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة و
الدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق
باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد
لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام فانه مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد
قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان
بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة
فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله
لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم
باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله
في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها

التهديد الكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روى انه كان يؤذي موسى عليه السلم كل وقت وهو يداريه لقرابته حيث حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فأوت راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض ويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا

ما ولده فيه لخسف به لاجله ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا مثل ما كانوا يعملون مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعد رسوله بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصبة بفعل يفسرها اعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده والدع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله

للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس القول فيه كما مر ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او انه يصح معه احسب الناس ان يتركوا الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا

حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع سيده على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضاء وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه فان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده و

على يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي
ما ليس لك به علم بالالهية عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لم يعلم
صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في
ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر
قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق
فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص
وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا
تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان
والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين
او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله
بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في
الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من
ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون
او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس
الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين
آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا
للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم
ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل
عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف
الاوزار عنهم ان كان ثمة فيحملهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم
بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى

حكاية نوح عليه السلام

للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم و
ليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا
اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من
اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما
كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ
روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش
بعد الطوفان ستين سنة ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد
فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل
طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله ص وتثبيته
على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم
الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون
بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده
واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم
اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون
بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن
المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل
عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر
باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر و
تميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها
الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال

على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير
وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا
ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل
ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل التقليل بمعنى
لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند
الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم
بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه
ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم
من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب
لما حل لهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي
زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من
جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر
شان النبي وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين
طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله ص والتنفيس عنه بان اباه
خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله
فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن
غيرها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا ثم يعيده
اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية
غير واقعة عليه ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة
الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل
سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدا الخلق

على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة
الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع و
اخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدا
والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف
القدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام
في العطف ما مر وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرافة ان الله على كل
شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر
على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه
ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن
ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض
او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل
ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله صلعم منكم ويمدحه
وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء
يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي
اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا
لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب
قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند
الى الكل فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها
عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى
النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون

لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتامل فيها وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة
المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا
سبب المودة بينكم وقراها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم
والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة
على انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة
صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومعناه نصب بينكم كما قرئ
لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم
وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخيه
واول من آمن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من
قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يامرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد
الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل
فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا و
نافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا
في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد
في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه

والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي
عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه
اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح و
قرا الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام
واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف
مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه
النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتاتون الرجال و
تقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة
حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان
ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا
لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم
مبالاة بها وقيل الخذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان
قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح
ذلك او في دعوى النبوة او المفهوم من التوبيخ قال رب انصرني
بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن
بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء
بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم و
الاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال
ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب للهلاك
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم

لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص
الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير
للبيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين في
العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة
والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين
واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له و
ذلك ان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه
اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امراتك
كانت من الغابرين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار
ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة
او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعده وقيل بقية
انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار
وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام
السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان
القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لا

من اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار
اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب و
ثمود غير مصروف على انها ونيل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين
لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن
السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين
من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او مبينين ان العذاب
لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون و
هامان معطوفات على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل
ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا
بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء
او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود
ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح و
فرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا و
متكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة
الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر و
المؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة
واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية

الحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم يعلموا ان هذا مثلهم او
ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم
سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة
ان الله يعلم وقرا البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية
منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول
ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم
وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على
المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه و
ان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل
الغاية كالمعدوم وان من هذا وصفه قادر على مجازاتهم وتلك الامثال
يعني هذا المثل ونظايره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما
يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء
على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته فاجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد
به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته و
صفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه
واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان يكون سببا للانتهاء
عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس

دينهم ر

خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من ساير الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية
السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء كما قيل اخر الدواء
الكي وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء
والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن و
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه
وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا و
الهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك
الكتاب بالحق وحيا مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين
اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم
عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد
الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام
الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيها
ليفيدهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع

العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة
تصوير للمنفي نفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط
ويقرا لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين انما سماهم مبطلين لكفرهم
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب
اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع
دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في
الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا
انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومايدة عيسى وقرا
نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها
كما يشا لست املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية
ثابتة لا تضمحل بخلاف ساير الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من
نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة بينة لرحمة
لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت و
قيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم
ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض ولا يخفى
عليه حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم
اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب

للمنفي ر
لقالوا ر

بقولهم امطر علينا ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون باتيانه ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي
التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب
الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم
من جميع جوانبهم ويقول اي الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر
والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة
ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد
والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرا حمزة والكسائي لنثوينهم
اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او
لتشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم
اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين
صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق و
على ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق
حملها لضعفها او لا يدخره وانما يصبح ولا معيشة عندها واياكم ثم انها مع ضعفها

الله يرزقها

ثم
لننزلنهم ر

وتوكلها وايّاكم مع توكلكم واختيادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق
الكل اسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا
بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم
هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء جميع
الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم
بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع
له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع
المضمر موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم
ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون
به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من
مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدئ لكل شيء ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما
تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن
عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب الصبيان ويجتمعون عليه
ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي
دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة
والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا
وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك
اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة
سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا

به من الشرك فاذا ركبوا في الفلك البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين
في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه
لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجأوا المعاودة
الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على
التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما
آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي و
يتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور
وتناهب افبالباطل يؤمنون بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه
الا الله بالصنم والشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره و
تقديم الصلتين للاهتمام والاختصاص على طريقة المبالغة ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول صلعم او
الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله
الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب
على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير
الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى طريق الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت

كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله
تعالى فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة
عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم
من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والحلب سيغلبون
في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى و
قيل بالجزيرة وهي ادنى الارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد
ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم
فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث
سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر
ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع ومات ابي من جرح رسول الله صلعم بعد
قفوله من احد فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي
وجاء به الى رسول الله صلعم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة
في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار
عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف
الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا
بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من
قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم
غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن
بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم تغلب

الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه
من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم
وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم
او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة و
هؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد
لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده
ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون
لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى
وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة
المبدل منه قوله لا يعلمون تقرير لجهلهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها
وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا
بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم او
لم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة
يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها
لقدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او بعلم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء تمام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون
لجاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض
ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وقلبوا وجهها
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا
الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي
زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون الى واد لا نفع لها
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم
كان عاقبتهم العقوبة السوأى والخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوء
كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة
او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان
عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها
ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام و
التهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء
كانت متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم
السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو عمرو وابو بكر
وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين
يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ

بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء
يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين
يكفرون بالهتهم حين ييأسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف
شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون
لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات
ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا
وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون
لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء
عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتجدد فيها نعمته او دلالة على
ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من
اهل السموات والارض التي تظهر فيها قدرته وتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيها اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي
هو اخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد
النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد اعتراضا
وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم
الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت و
انما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه من سره ان يكال له
بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الاية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله الى
تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته من يومه وقرئ

حين تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من
الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة
والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد
موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا
يعقب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم
من تراب في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف
سبب للتنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة
الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش
متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن
الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ومن اياته خلق السموات والارض السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه اختلاف
وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها و
الوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك
لايات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام و
يؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وطلب
معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بالعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة

ويؤيده سائر الايات الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم و
استبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل منزل منزلة
المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية
يريكم بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة
لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم يستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة
الخوف والطمع او بتأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان
او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض
بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته
ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما
المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد
كانه قيل ومن اياته قيام ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها
الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف
واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه
او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من اسفل الوادي فطلع
الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت
مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو
اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم

والافهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير
لاهون او لان الاعادة بمعنى يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الا
على الذي ليس لغيره ما يساويه او ما يدانيه في السموات والارض يصف به
ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها
التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه سواء
شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء
والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم
ان يستبدوا بالتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك
مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني و
يوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا
بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه
ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من
ناصرين يحفظونهم من الضلالة ويخلصونهم عن اذاها فاقم وجهك للدين
حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة
عليه والاهتمام به فطرت الله خلقه نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها
التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من ادم وذريته
لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين
المامور باقامة الوجه او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوى الذي لا عوج فيه

ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال
من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والامة لقوله تعالى واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها
صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين
وتفريقهم اختلافهم فيما يعتقدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا
بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها
كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون
صفة كل على انه الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا
فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا
بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل الامر بمعنى التهديد لقوله تعالى فتمتعوا اغير انه
التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء
على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه
برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا
به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي يشركون به والوهيته واذا اذقنا
الناس رحمة نعمة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاوا القنوط من رحمته اولم
يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء
والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها
على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب
النفقة المحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وصف عاملين لزكوة والخطاب

لنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتبه على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون
حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة
او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا
ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عنده
ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما اتيتم
من زكوة تريدون وجه الله تبتغون وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الثواب ونظيره المقوي والموسر لذي القوة او
الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغيره عن سنن
المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة و
خواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون
والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه
اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا
عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان
والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون
له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة
والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى
والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم
المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب
والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قراها السواحل وقرئ في البحور بما كسبت ايدي

الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر
بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان
تمامه في الاخرة واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون
لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين
استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك
في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله
متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا
يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح
المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل
محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا مبشرات بالمطر و
ليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او
الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار
المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني

تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير
وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم
حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد عن
عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف
على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على ارادة الجنس فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف
يشاء سائرا او واقفا مطبقا او غير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك
ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او
جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
بمجي الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة
على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين آيسين فانظر الى آثار رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي
الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي
قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث
لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون
من مواد ما تفتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل
شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب

لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله
لظلوا من بعده يكفرون جواب ساد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال
وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم
لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتكلوا على الله ويلجئوا
اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك
لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم
يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم بما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد
بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم من
ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان
ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة
وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر
قراتها رسول الله صلعم فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع
التكرير لان المتاخر ليس عن المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة عين
وشبيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره
دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر
الساعة الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم

المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة
او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والناس
لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او
القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه
حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرا الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي
وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من
التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي
استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد
وصفناهم بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين
يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة
والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق
الرسول ولئن جئتهم باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من
فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون
مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك
الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله حق بنصرتك

واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك لا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
ولا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك
اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلعم من قرا سورة
الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله من السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا آية
والذين يقيمون ويؤتون فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي
شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي
اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة
للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر
او الخبر المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم
يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها
وتكرير الضمير للتاكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم و
اولئك هم المفلحون لاستجماعهم المفيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من العقيدة
يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي
لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان
اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن
الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة
وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه ليضل
عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على

ضلالة ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة
القران ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي
وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار
الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها
مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها حاله حال من في اذنيه ثقل
لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن ولم يسمعها ويجوز ان يكون استئنافين
فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرا نافع في اذْنيه
وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين حال من الضمير في لهم
او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل
وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها
استيناف وقد في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم
من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة و
حكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله
فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعني الذي ذكر مخلوقه فماذا خلقت آلهتكم
حتى استحقوا مشاركته وما نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا
بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم
الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد
آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلم واخذ منه العلم

كراهة ان تميد بكم فان بشاشة اخر معقضي ... بسط الحال وثقلها واوتادها لا تمتنع اضطراب ... كل منها للثقل ونحوه ... ولو ازمر ... وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم

وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء
استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة
على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عم شهورا وكان يسرد
الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت
حكم وقليل فاعله وان داود عم قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري
فتفكر داود عليه السلم فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي
باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين
منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ان اشكر لله لان اشكر او اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن
كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق
بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو
يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل حتى اسلم ومن
وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من
لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا
ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا يزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن
يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى
مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل
من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد
للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلم لمن قال من ابر امك ثم امك ثم قال

بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد
بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب
الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم
بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان
معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال
وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري
في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما
ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك
قيل من اناب ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من
خردل اي الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال
الى الحبة كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه
كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا
استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل
علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف لنفسك
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك
ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور
اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من فاذا عزم
الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله

المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرا نافع
وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل
علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع
الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور
علة النهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق
رؤس الاي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع و
عنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عايشة كان اذا مشى اسرع
فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا
سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر
الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك
يكنى عنه ويقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه
مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس
في النكرة دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع بوسط
او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار
في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء والقاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص
نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم في توحيده و
صفاته مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير
انزله الله بل التقليد كما قال الله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان
يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولاباءهم الى عذاب السعير ما يؤول اليه من التقليد

او الامتنزاك وجواب لو محذوف مثل لا اتبعوه والاستفهام للانكار و
التعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه
من اسلمت المتاع الى الزبون ويويده القراءة بالتشديد محيث عدى باللام
فليضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى
شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل
صاير اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرى
لا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم
بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجازعليه فضلا
عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما
يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او
يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه
قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل
اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق
العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد
وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما
وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاعني عن ذكر المداد بمده لانه
من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء
على انه مستانف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او
اضمار فعل يفسره يمده وقرى يمد ويمده باليا والتا ما نفدت كلمات الله بكتبها

تلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف
بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شي حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب
اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شي ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود
الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشي ان الله سميع
يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس
الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله الى
اجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى مجريها وثمه غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين
حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الذي ذكر من
سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص البارى بها بان الله
هو الحق بسبب انه الثابت في الهيته او انه الواجب من جميع جهاتها او الثابت
الهيته وان ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا
يتصرف الا بجعله او الباطل الهيته وقرا البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء
وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شي ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمت الله باحسانه بتهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته
وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرى الفلك بالمثقل ونعمات الله
بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلايله
ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس
شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها والمومنين فان الايمان نصفان نصف صبر

ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب
او غيرها وقرى كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين
له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من
الخوف الشديد فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد
الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر
اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا
يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرى لا يجزي من اجزا اذا اغنى والراجع
الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره
هو جاز عن والده شيا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي
وقطع طمع من توقع من المومنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد
الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم
على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي
ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شي وتفعل خلافه
وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي
ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني ويلقيني بالهند ففعل فقال الملك
دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل

العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه
ان عمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف
بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرى بايه ارض وشبه سيبويه تانيثها
بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشيا كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم
ظواهرها وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم القيمة
واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان
التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف او
مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه
لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حالا من
الكتاب او اعتراضا والضمير في فيه لمضمون الجملة ويويده قوله ام يقولون افتريه
فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له
ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب
العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف
ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل
من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك
اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم و
يشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن

نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر أفلا تتذكرون
بمواعظ الله يدبر الأمر من السماء الى الأرض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية
كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت
في علمه موجودا في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في برهة
من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر
باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كألف سنة لان مسافة
نزوله وعروجه الف فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء
الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام
الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا الا
من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة
المخلصين والاعمال الخلص وقرئ تعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه
يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي أحسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما
يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل
علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان
وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص منفصل وعلى
الثاني متصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته
سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم
سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه
تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية
ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا
لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا أإذا

ضللنا

أإذا ضللنا في الأرض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن
وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا
على الخبر والعامل فيه ما دل عليه أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا
وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى
جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون
جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل زلد
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك يتصادق
الموت ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤوسهم عند ربهم (الى ربكم) من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا أبصرنا ما وعدتنا
وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق
لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا و
يجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع
ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر
ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق
القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم
بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة
وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط
والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك
المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله

وتعليلا لفعلهم السيء من التكذيب والمعاصي كما عللها بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر
فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها
خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث
بحمد ربهم حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم
الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى
جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين
اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم
قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة
يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
الخير فلا تعلم نفس ما أخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة أعين مما
تقر به عيونهم وعنه صلى الله يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس الآية وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى
والفاعل للكل هو الله تعالى وقرأت اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء
او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف
والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل

المأوى جنة
المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على
اعمالهم وأما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا
أن يخرجوا منها أعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من
العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين
من القتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي
منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت
هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها
وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة
بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى
غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم
من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية
منك من لقائه من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا
لقيناك الكتاب مثل ما لقيناه موسى وليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب
فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه صلى الله رأيت ليلة
اسري بي موسى ع رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه
اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس
الى ما فيه من الحكم والاحكام بأمرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ
حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا
بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة
يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من يفصل د
امر الدين أولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل

نشير ما دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع أنعامهم كالتبن والورق وأنفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم إنهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث وسبعون آية

يا أيها النبي اتق الله أدمه بالتقوى وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين أي فيما يعود بوهن في الدين روي أن أبا سفيان

وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة وندعك وربك فنزلت إن الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحدث شيئا إلا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى إليك من ربك كالنهي عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح إليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع إلى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل أمرك إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة والدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر وقيل لجميل بن أسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجية والدعية اللذين لا ولادة بينها وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو واللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده وأصل تظهرون تتظهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالإدغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر

وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن تقول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء وأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم إشارة إلى كل ما ذكر أو إلى الأخير قولكم بأفواهكم لا حقيقة له في الأعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم أي انسبوهم إليهم وهو إفراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا وأقسط أفعل التفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم في الدين فهم إخوانكم في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبني لا عبرة له عندنا وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها

وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روي أنه صلى الله عليه وسلم أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال أناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة وأزواجه أمهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا أمهات النساء وأولو الأرحام وذوو القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لأنهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وأخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم أي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو تصديقهم إياهم تبكيتا لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم وأعد للكافرين عذابا أليما عطف على أخذنا من جهة أن بعثة الرسل وأخذ

واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب
المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم
جنود فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روى انه
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق بينه
وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت
الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق
وقرا البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا
اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق
بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت
الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر
رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي
منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من
الظن فظن المخلصون الثبت القلوب بان الله منجز وعده في اعلاء دينه او
ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم
والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر و
ابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو
القياس هنالك ابتلي المومنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من
المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله

ورسوله الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب
اهل مدينته وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع
قيام لكم هاهنا وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم
هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا
او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم
النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز
ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما
هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي وما يريدون بذلك الا
الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها
من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هولاء المتحزبين عليهم ودخول
غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة
ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى جاؤها وفعلوها
وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السوال والجواب وقيل وما
لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا
يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا
الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد

بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا
وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او باسا
قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المومنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب
محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او
النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او
المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في
احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به
او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك ظ مشبهة
فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة
يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب
على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك
لم يومنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال
فيبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق
الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هولاء
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو وحاصلون من الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة
عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان

قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة خصلة حسنة من حقها ان يوتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا
حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم
الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها
والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم و
الاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة
الذكر المودية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما راى
المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الآية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم
والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله
وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار
الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده
وتسليما لاوامره ومقاديره من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق
فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت
لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما
بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله
يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب
بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء

ويتوب عليهم قيل التلون والمعترض به وكان المنافقين قصدوا عاقبة السوء كما
قصد المخلصون الثبات والوفاء عاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او
المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله
الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير
ظافرين وهما حالان متداخلان او متعاقبان وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا على احداث ما يريده عزيزا غالبا
على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهو ما يحصن به ولذلك
يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف
وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتاسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان
جبرئيل ع اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم الاحزاب فقال اتنزع لامتك فيها ١٢
والملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم
فاذن في الناس الا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او
خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد
بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي ع وقال لقد حكمت
بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم
روي انه ع جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر
اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وكل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة
والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن

سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سالنه ثياب الزينة و
زيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت
الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد و
تعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا
اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن
علي ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار
المخيرة زوجها نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه
للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة كبيرة مبينة ظاهر قبحها يضاعف لها العذاب
ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة
فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء
بما لا يعاتب به غيرهم وقرا البصريان وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء
الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله
ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
ومرة على طلبهن رضا النبي ع بالقناعة وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء
حملا على لفظة من ويؤتها على ان فيه ضميرا اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما
في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن

كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله
فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع
الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب
عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع في القول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن
الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من
راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع
وعاصم بالفتح من اقررن وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع
ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في
ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم
كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال و
الجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد ع وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله ع لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين
الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل
البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه ع خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من
شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن و
الحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم والاحتجاج بذلك على عصمتهم
وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها و
الحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث

جعلهن من اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة
الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان
لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم
من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين الداخلين في السلم المنقادين والمسلمات
لحكم الله والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات والمؤمنين
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما
نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور
لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري
ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد
لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح له اذا قضى
الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله صلعم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت
عقبة وهبت نفسها للنبي صلعم فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله و

ورسوله وللخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مومن ومومنة من حيث انهما
في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون يكون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت
عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب
وذلك انه صم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه كراهة صحبتها فاتى
فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن
ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها
ضرارا او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان
طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق
ان تخشاه ان كان فيه ما تخشى والواو للحال وليست المعاتبة على
الاخفاء فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس على اظهار ما
ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى
ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث مل بها ولم يبق له فيها حاجة
وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل
لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه وجعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد

الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما
كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر له
من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله من
ذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما
اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوبا او مرفوعا وقرئ رسالة
الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من
رجالكم على الحقيقة فتثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ
الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته
لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم
ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد
على حذف الخبر اي ولكن رسول عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم
الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون
نبيا كما قال صم في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه
اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم
من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس و
التحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما
بالذكر للدلالة على فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة
الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو

الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة
المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل
الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري
الذي هو الركوع والسجود واستغفار ودعاؤهم للمومنين ترحم عليهم سيما وهو
سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين رحيما
حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكة المقربين
تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم القيمة عند
الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه و
افة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل و
المبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم
بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له
من حيث انه من اسبابه وبمعنى الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة
من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من
نوره انوار البصائر وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على ساير الامم
او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع
الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاهم
اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه
منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في
الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف
مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر

ببشارة المومنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي
الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله
برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم
عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى
الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وان كثير تعتدونها
تخفيفا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان من
شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان
تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يوثر في النسب يوثر في العدة فمتعوهن اي اذا لم يكن
مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة ويجوز
ان ياول التمتيع بما يعمهما والامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة
للمفروض وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق و
الضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت
اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا
لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما
ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد
القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل
الله

هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان
التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به
ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت
جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في
استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها
جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه
في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته و
تقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة
لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص به المعنى فيخص به اللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة
فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة
خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر
بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان نفرض
عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على   عليك
ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي
التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز
عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن

عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم
ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمت انه بحكم
الله فتطمئن نفوسهن وقرئ بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول
وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم
فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة
فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي و
قرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا
او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل لك نكاح اخرى ولا ان تبدل
بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد
الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من
فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء على
المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك
النساء من الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا
من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول
على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير
منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام

يكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين
واناه مال الحرم والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا
اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب
لقوم يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير
الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث بعضكم
بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
اي لا تدخلوا او لا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم
لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء
كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء   الحق
حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن متاعا من وراء
حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه
بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان
تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم لما روي ان اشعث بن
قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها فاخبر انه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها
فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما
ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله تعالى لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا و
لذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه

في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم
مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد فلا جناح عليهن
في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنه روي انه لما نزلت اية الحجاب
قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في
قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة
ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن
من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين
الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله و
ملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل
على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره
والاية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل يجب الصلاة كلما
جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار وابعده الله ويجوز الصلاة على غيره
تبعا له ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره
ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته و
قولهم شاعر ومجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق
اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم
من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا
بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة يتبعون النساء
وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن
اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض
ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين
فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف
رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف الايمان وقلة
ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهو الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير
ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب
الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء
ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا
زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل
له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب على قوله اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة
الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك سنة في الامم
الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر

احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما
يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب و
انتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم و
فيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
يصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى
تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على
جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين
من العذاب مثلي ما اتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير
العدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من
مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها
فعصمه الله كما مر في القصص واتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور
فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله
فاخبرهم ببراءته او قرفوه بعيب في بدنه من برص وادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم
الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة منه وقرئ عبد الله
وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي
رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد

النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال
الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين
الى الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة
الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام
وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فان الراعي لها و
القائم بحقوقها بحر الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها و
لم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب
وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من
غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة
ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرا ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان
يتاتى منه والظلم والجهل للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه
الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة ولا يسعني ثوابا ولا عقابا
ولما خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق
عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها
عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي
الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى
هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على

القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين و
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من
حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد
اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله
غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عم
من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة السبا مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية واياتها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في
الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا
كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه
المنعم بالنعم الدنيوية قبل الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية
قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي
احكم امور الدارين الخبير بواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ
في موضع وينبع في اخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها
كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء
كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج
فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور
للمفرطين في شكر نعمه مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم
الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او
استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم

عالم الغيب بالجر نعتا لربي او بدلا منه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه
وينفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع
وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب
ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف
المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت
في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن
الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالابطال
وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو
معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز
من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين
اوتوا العلم ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي
اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع
الحق جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب — او يرى الذين
معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن
برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس
التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون

محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي
خلق جديد انكم تنشاون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق
بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة وعامله محذوف
دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه و
بينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل
مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد
وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا
ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل
خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله تعالى
ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب
بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في
الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة
الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما
خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء او هزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشا
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى
كذبا وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه

لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره ولقد
آتينا داود منا فضلا على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس
فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك وحسن الصوت يا جبال اوبي معه
رجعي معه التسبيح على الدين او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته
فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كما رجع فيه وهو بدل من فضلا او
من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة
بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على
فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على
ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا له الحديد جعلناه
في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلات او بقوته ان اعمل
امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات و
قرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها ولا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق
ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا
صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه و
لسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر
وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس
المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك
سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح

ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ
منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من
ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من
محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها و
يحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادة
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي
انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان
كالجواب وصحاف كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات — صحان
الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له
واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه
في اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي
شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا
عليه الموت اي على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة
الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من
فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسات البعير — منساته
اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على
غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كمنصاة في منصاة
ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة

فلما خرّ تبيّنت الجنّ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا
موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خرّ او ظهرت الجن و
ان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
وذلك ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام
فمات قبل تمامه فوصّى به الى سليمان واستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا
اجله فاعلم به فاراد ان يعمّي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ
عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخرّ ثم فتحوا عليه وارادوا ان يعرفوا وقت
موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن
ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع سنين من ملكه لقد
كان لسبإ في مسكنهم لاولاد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع
الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته
الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم وفي
مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث
وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من
القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار و
انه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف
تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان
من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله وكل

واحدة منها في تقاربها وتضامّها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال
او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف
للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح
قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم
سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون
اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وكان ذلك
وادي السيل من قبل وكان ذلك من عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك
او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين
ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في
البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك جزيناهم بما كفروا
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا و
كذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل
يجازى مثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها

لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير
بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا
على ارادة القول بلسان المقال او الحال فيها ليالي واياما متى شئتم من ليل
ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين
وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون
فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية
كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على
الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه
شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم
فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعّد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين و
ظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث
الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل
ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب و
جذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي
شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن
ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه
نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى
قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك
اما ظنه بسبإ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم
النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل

فيها من يفسد فيها لاضلنهم لاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا
هم المؤمنين لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق
المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان
تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك
او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ والزيادتان
متآخيان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا
زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز
ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا
يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر
لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه
لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في
الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة و
الكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية
والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا
ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا
ينفعهم شفاعتها ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له
اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على
الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي اذن على البناء للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم
الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف

الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم
ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي
الوجل من فرغ الزاد اذا نفي قالوا اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة
قالوا الحق اي قالوا قال الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ
بالرفع اي مقولة الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لنبي ولا
ملك ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد
به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا
او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق
والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال
على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما
لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد
منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال
كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع
ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل
في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى
المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل
بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا
المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى
باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام

سكتوا

الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله
العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة
متأبية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا
كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين
يخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان
وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما
باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو
جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم عن التعنت والانكار وقال
الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول
فاخبروهم بانهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي
بين يديه يوم القيامة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي
في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا يقولون الاتباع للرؤساء للذين استكبروا
للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع
الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن
الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى و

عمتهم

فيحملهم

انهم

وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن
اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة
المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا
العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل
عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات
والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في
اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته
يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها تسلية لرسول الله مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة الى التكذيب انا
بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب
لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن
اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او

لانها صفة محذوف كالتقوى والحظوة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم
الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف
فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة
اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على
الابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم
بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار
وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين
وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة
لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ
الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن
الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم
بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله

ويقدر له

وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم
بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى
للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له
لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التى كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود
من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه والسلام
الا رجل يريد ان يصدكم عما كانوا يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى
باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام
او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه او اعجازه ان هذا
الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى
اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت
انكار عظيم له وتعجب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها
وفيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم
اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين لهم
هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم
فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ
اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم
فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب

او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة
ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام
من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام
يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وما جاء به لتعلموا
حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى
ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف على
ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى
لادعاء امر خطير من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد و
يسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما
استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شىء به من آثار الجنون ان هو الا نذير
لكم بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل
ما سألتكم من اجر فهو لكم اى شىء سألتكم من اجر على الرسالة فهو
لكم والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون
واما توقع نفع فى الدنيا عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهم وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا واسألكم عليه اجرا الا المودة فى
القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو
على كل شىء شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى قل ان ربى يقذف
بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او
يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام
الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر

بان او خبر محذوف قرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى والغيوب كالبيوت
وبالضم كالعشور وبالفتح كالصعود على انه مبالغة غايب قل جاء الحق
اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اى الشرك
بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابدا ولا
اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد وقيل الباطل
ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدى خيرا لاهله
ولا يعيد وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق
فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات
والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرط بقوله وان اهتديت فيما
يوحى الى ربى فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول
كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او
البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت
فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من
ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب
والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى
فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وقد
مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا ابن لهم اوتيناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد بعد
عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم و
بعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشىء من علوه تناوله من ذراع
فى الاستحالة وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو
لضمتها او انه من ناشت الشىء اذا طلبته قال رؤبة اقحمنى جار ابى

بجاموش ليلك ناش القعة النفوس اى ناشيت اذا تاخرت ومنه قوله
تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى
التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه او العذاب من قبل
ذلك او ان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم فى الرسول من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه الت
من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها
فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال
من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون
على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية
الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما
ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
والنجاة به من النار كما فعل باشياعهم من قبل باشياعهم من كفرة
الامم الدارجة انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة
منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهى خمس واربعون آيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق
العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى جاعل الملائكة رسلا
وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحى والرؤيا والالهام الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه
اولى اجنحة مثنى وثلث ورباع ذوى اجنحة متعددة متفاوتة

ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله
عليه يتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما
زاد عليها لما روي أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد
في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته
ومؤدى حكمته لا أمر يستدعيه ذواتهم لأن اختلاف الأصناف والأنواع
بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور
المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه
وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إن الله على كل
شيء قدير وتخصيص بعض الأشياء بالتخصيص دون بعض إنما هو من جهة الإرادة
ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة
كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها فلا مرسل له يطلقه و وما يمسك
اختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها
والغضب وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد
إمساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه الحكيم
لا يفعل إلا بعلم وإتقان لما بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف
فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه فقال يا أيها الناس اذكروا
نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها
ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به هل من خالق
غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون فمن أي
وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من
خالق بأنه وصف أو بدل فإن الاستفهام بمعنى النفي أو لأنه فاعل خالق
وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة

لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الأخير يكون إطلاق هل
من خالق مانعا من إطلاقه على غير الله وإن يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية
والحث على المصابرة وإلى الله ترجع الأمور فيجازيكم وإياهم على الصبر
والتكذيب يا أيها الناس إن وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف
فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي
لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار
على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على
دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود إن الشيطان لكم
عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم وكونوا
على حذر منه في مجامع أحوالكم إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب
السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى
والركون إلى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا و
عملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير وعيد لمن أجاب دعاءه
ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة وبناء للأمر كله على الإيمان و ووعد ل
العمل الصالح وقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له أي
أي أفمن زين سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه
فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق
واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فإن الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه وقيل تقديره أفمن زين له ذهبت
نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات

على غيهم وإصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية غير أن
الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات
للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف
وعليهم ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان
للمتحسر عليه إن الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي أرسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان
إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف
الأفعال للدلالة على استمرار الأمر فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض
بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو
الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل
في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور أي مثل إحياء الموات
نشور الأموات في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال
اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية
الإحياء فإن الله تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق
من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها
من عنده فإن له كلها فاستغني بالدليل عن المدلول إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو
التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو
صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل
إلا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه
أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء

والصاعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر و
الدعاء وقراءة القرآن وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله إلى الله أكبر إذا
قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن وإذا لم يكن عمل
صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتدارسهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقتله
وإجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر أولئك
هو يبور يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به لما دل عليه
بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته
منها ثم جعلكم أزواجا ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه
إلا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ولا
ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر
المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه
أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا
يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب
مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن حج عمرو فعمره ستون سنة
وإلا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب
في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل إلا
في كتاب هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة إن ذلك على الله يسير
إشارة إلى الحفظ والزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب
فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج
الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل

ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المومن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل الاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشيا وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك وهو الله سبحانه فانه يخبر به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به عن حال

الهتهم

الهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم لا يعتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق والمنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها كما نفي ان يحمل عليها ذنب على غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدعو عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا يلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمومن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستوى وتكريرها

على الشقين لمزيد التاكيد والحرور من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول لذلك كرر الفعل وقيل للعلما والجهلا ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ لعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله تعالى بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها لها اصناف مختلفة او هيأتها من الصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود

عطف

عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره سود فان الغرابيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمومن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهو اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس حكم الامر وقرئ برفع الله ونصب العلما على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القران او جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب الطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي

اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من
واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران ومن للتبيين
او للجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال موكدة لان حقيقته يستلزم موافقته اياه حقيته ر
في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن
والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك
الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون
والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان
الله اصطفاهم على ساير الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم
مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق
توجحت حسناته بحيث صارت سياته مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين
سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك
يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في
طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير وتقديمه
لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد
والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفا
او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدا وخبر والضمير للثلاثة او للمقتصد
للذين اوم

والسابق

والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل
يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون خبر ثان
او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية فيها من اساور من
ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي
من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم
عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وافاته او من
وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين
الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ
لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب كلال
اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك
الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرئ ابو عمرو يجزى على بناء
المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان
استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول لكل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين

الى الستين وعنه صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة
والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم فذوقوا فما للظالمين
من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض
فلا يخفى عليه خافية وكذا من احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له
لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي
جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف
جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين
مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض
مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعني الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوها شركاء لله او
لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم
بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني
اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام
لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية
ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه
على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب و
ابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في
ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الروسا

الاتباع

الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه
لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان
امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال
والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه
كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما
قال تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما
بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا
رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى
وغيرهم او الامة التي يقال لها هي احدى الامم تفضيلا على غيرها في الهدى و
الاستقامة فلما جاءهم نذير محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه
الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا
او مفعول له او حال ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف
استغناء بوصفه ثم بدل مع الفعل بالمصدر ثم اضيف اليه ولا يحيق ولا يحيط
المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق
المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون فهل ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله
فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى
غيرهم وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن و
العراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء

ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً بالأشياء
كلها قديراً عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على
ظهرها ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل
المراد بالدابة الإنس وحده لقوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى وهو يوم
القيمة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً فيجازيهم على
أعمالهم عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب
الجنة أن ادخل من أي باب شئت سورة يس مكية وعنه صلى الله عليه
تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء
وتقضي له كل حاجة وهي ثلث وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يس كالم في الإعراب والمعنى وقيل معناه يا إنسان بلغة طي على أن أصله
يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في أيمن الله و
قرئ بالكسر كجير والفتح على البناء كأين والإعراب على اتل يس أو بإضمار
حرف القسم والفتحة لمنع الصرف والضم بالحيث وإعراباً على هذه يس
وأمال الياء حمزة والكسائي وأبو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن
الحكيم ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم أو
العطف إن جعل يس مقسماً به إنك لمن المرسلين لمن الذين أرسلوا على
صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الأمور ويجوز أن يكون
على صراط خبراً ثانياً وحالاً من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف
الشرع بالاستقامة صريحاً وإن دل عليه لمن المرسلين التزاماً تنزيل العزيز
الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بالنصب بإضمار أعني أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على البدل
من القرآن لتنذر قوماً متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين ما أنذر آباؤهم

قوماً غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة
مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله أو الذي أنذره آباؤهم أو شيئاً أنذر به آباؤهم
الأبعدون فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو إنذار آبائهم على المصدر فهم غافلون
متعلق بالنفي على الأول أي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله إنك لمن المرسلين على
الوجوه الأخر أي أرسلتك إليهم لتنذرهم فإنهم غافلون لقد حق القول
على أكثرهم يعني قوله لأملأن جهنم الآية فهم لا يؤمنون لأنهم ممن علم
أنهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع
على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم
فهي إلى الأذقان فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم فهم
مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت
الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين
أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن أحاط
بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم
محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سداً بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح
وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشى وقيل الآيات في بني
مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه
فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه
فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا اقتله بهذا الحجر فذهب فأعماه الله وسواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة إنما تنذر إنذاراً يترتب
عليه البغية المرومة من اتبع الذكر أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي
الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو في سريرته ولا

ولا يغتر برحمته فإنه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا
نحن نحيي الموتى الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا
ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه و
حبيس وقفوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء أحصيناه
في إمام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه
الأشياء على ضرب واحد وهو يتعدى إلى المفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما
مثلاً أصحاب القرية أي اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلاً ويجوز أن يقتصر
على واحد ويجعل المقدر بدلاً من الملفوظ أو بياناً له ومن والقرية انطاكية
إذ جاءها المرسلون بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى إلى أهلها
وإسناده إلى نفسه في قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين لأنه فعل رسوله وخليفته
وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ أبو بكر مخففاً من عزه
إذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به بثالث
هو شمعون فقالوا إنا إليكم مرسلون وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل
إليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً فسألهما فأخبراه
فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض
منذ سنتين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي على أيديهما خلق وبلغ حديثهما إلى الملك
وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في
أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى
استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوماً سمعت أنك حبست
رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا

الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يضر ثم قال إن قدر
إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا فقام
وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا به
وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون
وهذين فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن
صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي
اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي إعمال ما بإلا وما أنزل
الرحمن من شيء من وحي ورسالة إن أنتم إلا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا
اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم وما علينا إلا البلاغ المبين الظاهر
البين بالآيات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا ببينة
قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم
له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا
عذاب أليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم
وأعمالكم وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف
مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد بالألف بين الهمزتين
وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وإن بغير استفهام وأين ذكرتم بالتخفيف
بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ بل أنتم قوم مسرفون قوم عادتكم
الإسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم
بمن يجب أن يكرم ويتبرك به وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار

إليكم

وكان تحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد ع وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في
غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسئلكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد
بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون
بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما
على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني امنت
بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح
قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او
لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة كما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول
دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن
حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك
القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول
في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء وليعلموا
انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او
مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي
باي شيء غفر لي يريد المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه

من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا
يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء
بتعظيم الرسول صلعم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك
قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك و
قيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة و
ريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة
واحدة صاح بها جبرئيل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها قال
لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة
على العباد فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل
عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين
بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم
وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا
من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة
يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى
محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره
على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله
كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية
ان اصلها الاستفهامية انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي
الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على
الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم

وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له
او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها خبر
للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ
والاية خبرها او استئناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا جنس
الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش
به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال
على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها
بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير والتفتيح
لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره
ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه
لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ
بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير
والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول
قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها
افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج
كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن
انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم
يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف
عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها

فشبه مستقر المسافر اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد ابطأ
بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار
لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها
ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا
تعود اليهما العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها
على ان لا بمعنى ليس ذلك اي يجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن
عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل
معلوم والقمر قدرناه منازل قدرنا سيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية و
عشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب
الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ
الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في
واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون
فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج
وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر
عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر
في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في اثاره و
منافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته
ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل

كلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال
يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون
يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم
الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن
مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع و
ابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم
فيها انه حمل فيها اباهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه
ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة
لهم اياهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا
ومتاعا الا لرحمة وتمتع بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالكم واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة
او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم او عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما
تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال اذا
قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة
كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم
من اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين لو يشاء الله
ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا اطعمه ان انتم
الا في ضلال مبين

من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد
البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم
وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله
فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء
وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر كسر الياء للاتباع
وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو
به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان كانه جوز الجمع بين الساكنين اذا
كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون
توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون
حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين
فاذا هم من الاجداث القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون
يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه
ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا
وهبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا
وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب من الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث دون الباعث كانه قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل
اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم

البعثة

السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت الا صيحة
واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع
لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر و
استغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية ما يقال لهم حينئذ
تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل و
ابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به
الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون
ويعقوب في رواية فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين
على الحال من المستكن بالظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم
وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره
في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له
او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان هم
وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم
يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه
كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه
علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة
بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان
يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب

سلام

على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله
لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة
كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا
في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده
اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن
عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد
بكسر حرف المضارعة واحد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع
عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني هذا صراط مستقيم اشارة
الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او
بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك
بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
الى رجوع الى معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن
له ادنى عقل ورأي الجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي
بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل
لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم
التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم
بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون

يختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا
على اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي
اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتداء
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق
وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال
قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرا ابو بكر مكاناتهم فما
استطاعوا مضيا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل
وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة
لقلب الواو ياء كالعتي والعتو ومضى كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد
اليهم احقاء بان يفعل ذلك بهم لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة
امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال
يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ
عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو اشهر افلا يعقلون ان من قدر
على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج
وقرا نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله
وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي وما علمناه الشعر بتعليم القران
فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه
الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا
يتاتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا
النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل
الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا
في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي

انه

انه حرك اليائين وكسر الباء الاولى للاشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقران
اي وما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله
وقران مبين كتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه
من الاعجاز لينذر القران او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان
الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول
ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة
من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تاملهم اموات في
الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر
على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة
في الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصصناها بالذكر لما فيها من بدائع
الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون
من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
اي ذو ركوبهم او فمن منافعهم ركوبهم ومنها ياكلون اي وما ياكلون لحمه
ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن
جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا
خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوصل الى تحصيل هذه المنافع المهمة
واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك
القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء
ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم لا يستطيعون نصرهم وهم

لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم
في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف
ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه
بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا
في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه
ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما
بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم بال يفتته وقال اترى
الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلعم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل
معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على
الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على
احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا
اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من
العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر
الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم
يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة
اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق
واعادة الاعراض والقوى التي فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر

المرخ
كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن
قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته
قادر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ الشجر الخضراء
على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض
مع كبر جرمها وعظم شانها بقادر مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او على ان يخلق
مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب
من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير
المخلوقات والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون اي فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل قدرته في مراده بامر لتاثير
المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة
عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق و
نصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا
على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب
بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به
فاذا انه لهذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس
من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين
وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف
منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما
مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه

رضوان شربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة والصافات مكية وآيها احدى او اثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها او الجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المقدم على المتاخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة

ورب

ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الكواكب في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا بالقنا الكواكب زينة خلقنا
لاسما وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب للسماء
لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدار رفعها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب

من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحور وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب اي دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيستعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا الى رجوما فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به ويرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا فلا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام

من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او سمعهم بعضا دهر وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة لزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ

من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرا نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية
أو آباؤنا الأولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه
مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن
نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وأنتم داخرون
صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على
صدق المخبر عنه وقوعه وقال اي الله او الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه
فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة
زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها و
امرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم من مراقدهم احياء ينظرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من
كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا
الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى
الموقف وقيل منه الى الجحيم وأزواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة
الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم
اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون
الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله
ان الذين سبقت لهم منا وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم
الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم
مسؤولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز موقفه
اي موقف السؤال الى الجحيم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ

وتعريض وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا للتوبيخ
ولذلك فسر يتخاصمون ويتخاذلون وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع او
الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا
انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن
الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان
الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن
القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم
على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم
قوما طاغين اجابهم الرؤسا اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم
وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم
كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا
مقضيا لا محيص لهم وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا الغي
على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليس من قبلهم اذ
لو كان كل غواية لاغواء فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ
في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك
نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد
عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك والتكذيب الرسول وقرئ

بنصب العذاب على تقدير النون لقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في
غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا
عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين
فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع
ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام و
تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة تقصد للتلذذ دون
التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن
التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من
غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك
على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون و
ان تعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمين يطاف عليهم بكأس باناء فيه
خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب او نهر معين اي
ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف
به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع
لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين
وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى
لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى
من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله
اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو
نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله وافرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم
فاسده كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاء من انزف الشارب اذا

نفد عقله او شرابه واصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله
ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن
على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه
احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف
اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث
الكرام والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل
وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل
منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن
المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى
الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم
ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون
ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فيعلموا اين منزلتكم من منزلتهم
وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر اللام وضم الالف على انه
جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ادب المجالسة يمنع الاستبداد
او خاطب به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والامرون به او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه
في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء
وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية
والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف
اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي من شانه الموت وقرئ بمائتين

الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متنا ولذلك فى القبر بعد الاحيا للسوال
ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن
بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمه
جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتقريعا للقرين بالتوبيخ ان
هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله
لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب
لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ
الدنيويه مشوبة بالالام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك
خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا
على التميز او الحال وفى ذلك دلالة على ان ما ذكر من النعم لاهل الجنة بمنزلة ما
يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم وهو
لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة يكون بتهامه سميت به الشجرة
الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الاخرة او ابتلاء
فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم
يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر
فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى
قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع
التمر لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين فى
تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك
وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك
فانهم لاكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها من الشجرة او من
طلعها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى

بعد ما شبعوا وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم ان لهم
عليها فى شرابهم من مزيد الكراهة والشناعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول
مصدر سمى به ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم يصيرهم الى دركاتها والى
نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها
لقوله هذه جهنم يطوفون بينها وبين حميم ان يوردون اليه كما يورد الابل الى
الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا
اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد
بتقليد الاباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع
على اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث
ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول
والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا اثارهم ولقد
نادانا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس
من قومه فلنعم المجيبون فاجبناه احسن الاجابة والقسم مقدر والله فلنعم
المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله
من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين
اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات كل
من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه فى الاخرين
من الامم سلام على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما

المنذرين ر

وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا
انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بالمجازاة على احسانه انه
من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره
ثم اغرقنا الاخرين يعنى كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه فى
الايمان او اصول الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا
وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح
اذ جاء ربه متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب
سليم من افات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل
حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه كانه جاء متحفا
اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او
سليم ائفكا الهة دون الله تريدون اى اتريدون الهة دون الله افكا
فقدم المفعول به للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر بهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل منه على انها
افك فى انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى افكين
فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم
عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا
عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشتراك به او يقتضى الامن من عقابه
على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة فى النجوم فراى مواقعها
واتصالاتها او فى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك
حين سالوه ان يعبد معهم فقال انى سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا
منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم

من

الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج
عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا
عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم فذهب اليها فى خفيه
من روغة الثعلب واصله الميل بحيله فقال اى للاصنام استهزاء الا تاكلون
يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال
عليهم مستخفيا والتعديه بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر
لراغ لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين
للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو
قوله تالله فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا
عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه قوله من فعل هذا بالهتنا يزفون يسرعون من
زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف ويزفون
اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه
اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون
من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها
وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم اباهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه
فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما ينحتون او انه بمعنى الحدث
فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك
وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا على الاولين لما
فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة
من الجحمة وهى شدة التاجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فارادوا
به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم

مسئلة خلق الاعمال

الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل
النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام
او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما
بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته له ولم يكن كذلك حال
موسى حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب
هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني
في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم
بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم حتى يكون حليما واي
حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني في الاية وقيل
ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه وحالهما المذكور بعد
تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه
متعلق بمحذوف دل عليه السعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه ولا ببلغ فان بلوغهما
لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب
اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما يعبر به وقيل انه راى ليلة التروية ان قايلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره وقال له ذلك ولذلك سميت الايام الثلثة بالتروية والعرفة والنحر والاظهر ان
المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف
على البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه
انا ابن الذبيحين فاحدهما جدي اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب

نذر

نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم
على عبد الله فمنعه اخواله فقالوا له افد بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل و
لذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثم ولان البشارة باسحق
كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه ع
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله
بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى
يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو
حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه
ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله
وقرا حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون
بفتحها وابو عمرو بفتح الراء وورش بين بين والباقون اخلاص فتحها قال
يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او
امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه
راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون
عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال
ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله
او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا
خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه
على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا

بتغيره فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا
فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا
يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد
حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين واحراز الثواب
العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما
باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه بانه عم كان مامورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء المبين الذي
يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه
بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه
لانه فدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين ص قيل كان
كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما
قال فديناه لانه المعطي له والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به
الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا
عليه في الاخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين
وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان
وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد

اي

الصالحين

اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها
حينما يوجد ومن فسر الكلام باسحق جعل المقصود من البشارة ثبوته دون
ولادته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها
لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه وعلى ابرهيم
وعلى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب
وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما
محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه اي بالكفر والمعاصي مبين
ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم
في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون
انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما و
قومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون والغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط
المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الاخرين سلام
على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط
هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه
وفي حرف ابي ان وقرا ابن ذكوان مع خلف عنه بحذف همزة الياس
اذ قال لقومه اتدعون بعلا وتذرون الا تتقون عذاب اتدعون
بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام
وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون

بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه
الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرا حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من
المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين لغة
فى الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه
ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرا نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما فى
المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد ص او القرآن او غيره
من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان
لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين
ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم
فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه مصبحين داخلين فى الصباح
وبالليل اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد لها مساء افلا تعقلون اوليس لكم عقل تعتبرون وان يونس
لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد
لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك
المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من
المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه
العذاب وخرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا

عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه
او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب فلولا انه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله
لا اله الا انت سبحانك الآية وقيل من المصلين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون
حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه وان من اقبل عليه فى السراء
سعيده فى الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان
الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو
سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه
مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه
تفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها
من الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله ص انك لتحب الدباء
القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل
باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم
وهم اهل نينوى والمراد ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او غيرهم
او يزيدون فى مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان به بمحضره
فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما ختم قصته وقصة لوط بما ختم به
سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولى العزم من الرسل او
اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكور فى آخر السورة فاستفتهم الربك البنات

ولهم البنون معطوف على مثله فى اول السورة امر رسوله ص اولا باستفتاء قريش
عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جارا لما يلائمه من القصص
موصولا بعضها الى بعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات
ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات
اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة
الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم
واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله انكار ذلك وابطاله
فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان
فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن القسمة
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال
ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل
الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم
قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى
الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ
صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها
عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله من
ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه
منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء
ان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذى انزل عليكم ان كنتم صادقين

فى دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعنى الملائكة ذكرهم باسم الجنس وضعا
منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت
الجنة انهم اى الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون فى
العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين
استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او
من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله
بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق فى علمه
انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد
الخبر اى انكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء
الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى
كما فى قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام
معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد
الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم لا يتجاوزه
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله
من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد
علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم
استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون فى اداء الطاعة ومنازل
الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة
الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل

بان التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دايما من غير فترة دون غيرهم
وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة
او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء
وان كانوا ليقولون اى مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين
كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة
له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار و
المهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار المقتضي بالذات واذا سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد
لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل هو يوم الفتح وابصرهم ما ينالهم حينئذ
والمراد بالامر بالدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون
ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا
فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ
بفنائهم بغتة وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل
اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم و
اللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في
وقت اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد
واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به
الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب

الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما
حكى في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن
اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد
وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله
رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة و
لذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على
رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن اخر كلامه في مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه
سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين
بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء
الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه
يعارض الصوت الاول اى عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او لحذف
حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره اليه والفتح في موضع الجر فانها غير
مصروفة لانه علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقران ذي
الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسم حرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام
مثل صدق محمد او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل
مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي
او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين
كفروا في عزة وشقاق ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة
اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين

للاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر
العظة او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اى
غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم
على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات
حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها
تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان و
حذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم و
قيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا
او مبتدا محذوف الخبر اى ليس حين مناص كاين لهم وبالكسر كقوله طلبوا
صلحنا ولات حين اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء ما لان لات لا ت
تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج ولان
اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل
عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله
حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف
الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء
مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف
خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه
الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من
مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون هذا ساحر وضع فيه الظاهر
موضع فيه المضمر غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على

هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله على الله
اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد
ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا و
ما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة
وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش
فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء
وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما
سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم
وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها
فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق من مجلس التقاول يشعر
بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا
كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان
اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من نوائب الزمان يراد بنا
فلا مرد له وان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة و
الترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليوخذ
منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الاخرة في الملة التي
ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون
ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد

كاينا فى الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر
لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم او ادون منهم فى الشرف والرياسة لقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان
مبدا تكذيبهم له لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوية بل هم من
ذكرى من القران او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم
ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق ءانزل عليه
الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا
عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب
فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل
اعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها ما شاؤا ويصرفوها عما
شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله
يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب الذى لا
يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته
بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل
فى هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها
فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا
فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا
الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل
المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسول مهزوم
مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية فلا

يكترثوا بما يقولون وما مزيدة للتعليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على
الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من
الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو
الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى
ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع
الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب
اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا
ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم
قوم شعيب اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين على الرسل الذى جعل الجند المهزوم
منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام
مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك
رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد
منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم
كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله الا صيحة واحدة
هى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او
رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائى بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قيل قسطا من العذاب الذى توعدنا
به او الجنة التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل
يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظيم النعم والكرامات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل

والتعريض حتى تفطن واستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او
تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله
عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد
وايد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله وتعليل لذى الايد دليل على
ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدرتنا تسخيره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد
حال بالعشى والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضىء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما
تشرق وعن ام هانى انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة
الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة
اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل
على القدرة منه مدرجا وقرى والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له
اواب اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق
بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها
او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة
والنصرة وكثرة الجنود وقرى بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة
على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت
انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظم بذلك هيبته واتيناه الحكمة
النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق
عن الباطل او الكلام المخلص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس
يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار

والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة
له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا
اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه السلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك
نبؤا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل
مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل
من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبا تحاكم الخصم او بتسوروا
النبا على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف
اى قصة نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن
حينئذ واذا الثانية فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا
يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزا زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء و
يوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة انسان فى
يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم
خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة
وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرى ولا
تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط و
هو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا
اخى بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى
من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى
المقصود وقرى تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى
نصيبى وعزنى فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج

لم اقدر دفاعه او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني
خطبا اي حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد
به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه
او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته
الى اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء
الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على
تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف
الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن
داود انما فتناه ابتليناه بالذين او امتحناه بتلك الحكومة على تنبيهها
فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه
مبدؤه وخر في السجود راكعا مصليا كانه مصليا احرم بركعتي الاستغفار
واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عم ود ان يكون
له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه
وما روي ان بصره وقع على امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه
سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك
معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه
ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها هو افتراء
لذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم و

وقصد

وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما
هم واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى
لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق استخلفناك على الملك فيها او جعلناك
خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بحكم الله
ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق
المدعي وتظليم الاخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي
نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما
خلقنا لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل الحق الذي هو مقتضى
الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الا ليعبدون
على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار
بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها للانكار والتسوية بين الحزبين التي
هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار
كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين
والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين
يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل
بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضي الحكمة فيه او في غيرها

وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه
اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها
فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة
وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر
اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو
كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب
الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع
الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير
لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل
الذي يقوم على طرف سنبك او رجل وهو من الصفات المحمودة من الخيل
لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع
في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه ع غزا دمشق و
نصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه و
فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد
كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا به فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما
انيب مناب انيب عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير
السوء اذ احبا اي بركت وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل
التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عم الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة

بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات
فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها و
اعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل يمسح بيده اعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن
ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد
فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما
قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة بفارس
جاءت بشق رجل والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل
ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحاب
فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل
انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان
لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو
اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر
صورته وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها
امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل
لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها
يطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان
وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم وتختم به فشق
وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه

حكاية صخر وخاتم سليمن وسعود الخاتم اليه مرة اخرى

لانه كان متمثلا ما لم يكن كذلك والخطيئة تعاقله عن مال اهله لان اتخاذ
التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة
لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يتسب مني بعد هذه السلبة او لا يصح
لاحد من بعدي لعظمته لقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال
اراده وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطي احدا مثله فيكون منافسة و
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب
تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء
لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللنا لطاعته اجابة لدعوته وقرى الرياح
تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع ولا تخالف ارادته كالمامور
المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين
مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عمله استعملها
في الاعمال الشاقة كالبناء والغواص ومرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا يرى ويمكن تقييدها هذا
والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمى
به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده
عطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي
اعطيناك من الملك والبسط والتسلط على ما لم يتسلط به غيرك عطاؤنا فامنن
او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف اليك او من العطاء
او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل

الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
في القيد وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ
نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني الشيطان
بنصب بتعب وعذاب الم حكاية لكلامه الذي ناداه ولولاها لقال انه
انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا
بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه و
اخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس
اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة وتغريه على الجزع و
قرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرى بفتحتين وهو لغة كالرشد
والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك
الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا
مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فتبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان
حارة وباردة فاغتسل من الحار وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله
بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احياهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم
ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى
لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله تعالى
فما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة
من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب
وقيل رحمة بنت افراهم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطات فحلف ان برئ

ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا
وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا تخل به شكواه الى الله
من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال
ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب
مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على انه ابراهيم وحده لمزيد
شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي و
الابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها و
بالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال
انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا
بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار تذكرهم الاخرة دائما فان
خلوصهم في الطاعة سببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون
جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة واطلاق الدار للاشعار
بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى
ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه
الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن
اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من
اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه

وقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان
يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي كلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم
من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في
بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات
عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة كقوله التي وعد
الرحمن وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما للمتقين من
معنى الفعل وقرئتا مرفوعين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او
متداخلان من الضمير لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار
بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه
مسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء لتوافق ما قبله ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا
وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم
فبئس المهاد المهد او المفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي فليذوقوا
هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا خبره
حميم وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم وغساق وقرا الغساق ما يغسق من
صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وآخر اي مذوق او عذاب

اخر وقرا البصريان واخرى ومذوقات او انواع عذاب اخر من
شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه
لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ
بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع
بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال
للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من
المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا
اي ما اتوا لهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم
مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم
او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلي لنا باغوائنا واغرائكم على ما قدمناه من العقائد الزائغة والاعمال
القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا قالوا ربنا من
قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف و
ذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب وقالوا اي
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء
المسلمين الذين يرذلون ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى
لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم
وتانيب لهم في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق
مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة
لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت
عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الا[ستسخار]

منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها على انفسهم او
منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم
وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان
يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف
وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم
عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في
ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها
واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من
الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين
والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعى هو الانذار قل هو
اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد في الالوهية
وقيل ما بعده من نبأ ادم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان
العاقل لا يعرض عن مثله وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما
مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون
فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة
من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او
بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملا الاعلى ان يوحى الي الا انما انا
نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بين بذلك ما هو المقصود
به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ
انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على
تقاول الملائكة وابليس في خلق ادم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر

في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود
منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي صلى الله عليه بمثل ما حاق
بابليس على استكباره على ادم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله
اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا
سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه
الروح واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين
تكرمة له وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس استكبر تعظم وكان صار من الكافرين باستكباره امر الله
واستكباره عن المطاوعة او كان منهم في علم الله تعالى قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام
والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد
وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث
به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما
وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير
استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت
من المتكبرين وقرئ بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا
خير منه ابدى المانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل
عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة
الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى
يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى

لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين
قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى
ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض
وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم و
حمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا
مرفوعين على حذف الضمير من اقول لقوله كله لم اصنع ومجرورين على
اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتاكيد وهو
شايع فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجر او نصب الثاني وتخريجه
على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك
ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم
عليه من اجر اي على القران او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين
بما ليس من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القران ان هو
الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة
او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه من قرا سورة ص
كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على
ذنب صغيرا وكبيرا

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس او اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز
الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ

نوبل المنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا
له الدين على الاستيناف فى تعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة
حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب
اختصاصه بان يخلص الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع
على السرائر والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة
والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من
غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى باضمار القول وان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثانى وعلى
هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال
وقرئ قالوا ما وما نعبدكم الا حكاية الهتهم ونعبد بضم النون اتباعا
فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهو يلعنهم ان الله
لا يهدى لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد
الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا
وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما
عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم
قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية
تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التولد لان
كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقاهرية
المطلقة تنافى قبول الزوال والحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق

كفار

السموات

السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على
الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او
يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على
كل شىء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع من الرحمة و
عموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال
اخر بما اوجده فى العالم السفلى مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب و
اكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب
وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى
عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حوا
وانزل لكم وقضى وقسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول
من السماء حيث كتب فى اللوح واحدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب
والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان
يخلقكم فى بطون امهاتكم بيان لكيفية ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا
لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم بالخطاب لانهم
المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذى هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم له الملك لا اله

الا هو اذ لا يشاركه فى الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك ان تكفروا فان الله غنى عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه
سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع
ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة وعن ابى عمرو ويعقوب
اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
اليه لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله
اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسى
ما كان يدعوا اليه اى الضر الذى كان يدعوا الله الى كشفه او ربه الذى
كان يتضرع اليه وما مثله الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل اى
من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو و
رويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كان نتيجة جعله صح تعليله بهما وان
لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر
نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع فى الاخرة ولذلك علله بقوله
انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم
بوظائف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن ضده وقرا الحجازيان
وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان
من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين
يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه فى موقع الحال او الاستيناف للتعليل كل

اناء الليل

هل

هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار
القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العالم
وان قيل تقدير الاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون
لا يستوى القانتون والقاسطون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه
البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم
طاعته للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات
فى الدنيا مثوبة حسنة فى الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا وهى
الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر
عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يمكن فيه انما يوفى الصابرون
على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان اجرهم بغير حساب
اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم
القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل
البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والاخرة لان قصب السبق فى الدين
بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف
لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها او يوم بها فهى ايضا يقتضيه لما يلزمه من السبق
فى الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم
فى الاخلاص والبلاء مصبة فى الدعاء اليه بعد الامر به قل انى اخاف ان
عصيت ربى بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب

يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن
اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا
بالعبادة والاخلاص خايفا على المخالفة بالعقاب قطعا لاطماعهم ولذلك
رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم
قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال
واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة
لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من
اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد
ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة
في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسط الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل اطباق من النار وهي ظلل
لاخرين ومن تحتهم ظلل لاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك
العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا
يعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم
وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل ... وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى
بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين
اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الذين يميزون بين الحق
والباطل ويوثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله و
اولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة.

في

وفي ذلك دلالة على ان الهدايه تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن
حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع
من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب
كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان
سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة
على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف علالي
بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها
الانهار اي من تحت الغرف وعد الله مصدر موكد لان لهم في معنى الوعد
لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل
من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون كائنة
فيها ومجاري نابعات اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته
من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ييبس فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان
ان يتم جفافه لانه اذا تم جفافه جاز له
في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه عن مثل
الحيوة الدنيا لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره
للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله
غير نابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس
القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتدا الى الحق وعنه صلعم
اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود

من فوقها غرف

ارواد وقد اقرحتي الايه

والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل
عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون
عن مكان من لان القاسي من اجل الشي اشد تاباسا من قبوله من القاسي عنه
لسبب اخر للمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهولاء بالامتناع ذكر شرح
الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه في ضلال مبين
يظهر للناظر بادني نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل
احسن الحديث يعني القران روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله ملوا
ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيدا
للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل
من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم و
صحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في
الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات و
الانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا في متشابها كقولك رايت
رجلا حسنا شمايل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه
من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من
حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب القمطر
من القمط ... ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته
سبقت غضبه والتعديه بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر
القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب والحاين
من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل
الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلالة افمن يتقي

بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر
ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف
الخبر كما حذف في نظايره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم
تكسبون وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم
فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم
ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ
والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر
لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا
ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج
اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا
حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاني زيد رجلا صالحا او
مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم و
اخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا له بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج
من الاله وقول غير مكذوب وهو مخصص له بعض مدلولاته لعلهم
يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل كما اذا تفرقت على ما
يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته و
يتنازعون فيه بعد يتشاركون فيه جميعا يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم
المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه
سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرا نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين

وكسرها مع سكون العين وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذو
ورجل سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع
هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التميز ولذلك وحده وقرئ
مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين
على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له
لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره لفرط جهلهم انك ميت وانهم
ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون
لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند
ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل
في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب
على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى
للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس
واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف
لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجئ الرسول به بالتكذيب والذي جاء
بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك
هم المتقون وقيل هو الرسول النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق
ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف

اى

اى صدق به الناس فاداه كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على
صدقه وصدق قرئ على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة
ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا
خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم
لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وانما فرط منهم
من الصغاير اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص و
الاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسوأ جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم
باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار
للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلعم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه
يعني قريشا فانهم قالوا انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه
بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد
اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الامر له بما
خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله وخوفه بما لا ينفع ولا
يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهدي الله فما له من مضل
اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب [illegible] ذي انتقام ينتقم من
اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون من دون الله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعد ما تحققتم
ان خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او
ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات

ممسكات بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير
ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من
خير او شر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال
كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها
عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان
للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة
في الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة
ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته
وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب
النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم
في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اي نفع
به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت
عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ
وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اي يقبضها عن تدبير البدن بان يقطع عنها تعلقها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا
وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى
عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف
وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند
اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال
وما روي عن ابن عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع

الشمس

الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحركة فيتوفيان
عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك
من التوفي والامساك والارسال لايات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة
في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي اجالها ام اتخذوا
بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما
تشاهدونهم جمادات لا تقدرون ولا تعلمون قل لله الشفاعة جميعا
لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم
والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا
يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك
الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون
يوم القيمة فيكون الملك له ايضا واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين
من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حيث بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان
يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى ينقبض
اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت
في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها انت
تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون قل وحدك تقدر ان تحكم

اراد

بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من
الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون مبالغة فيه وهو نظير
قوله فلا تعلم نفس ما اخفي في الوعيد وبدا لهم سيات ما كسبوا سيات اعمالهم
او كسبهم حين تعرض صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط
بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه
والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في
التسبب بمعنى انهم يشمئزون من ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الالهة
فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما
بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه
اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم اي على علم مني
بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاقه او على علم من الله بي واستحقاقي
والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي
فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر
او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو
دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيات ما كسبوا
جزاء سيات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانها في مقابلة اعمالهم
السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيات ما كسبوا كما اصاب
اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما

يشمئزون

هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله الرزق لمن يشاء ويقدر حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من
رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على
اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به والتعليل بقوله
انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع
اسم الله موضع ضميره للدلالة على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل
النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس
فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في
الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان
ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها يدل على حصول المغفرة لكل احد من
غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد
بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القران او المامور به

دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو
انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة
ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتي وقرئ
بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى
عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في
قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن
الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت
وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين
الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من
المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا
او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت و
كنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني
من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل
بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة
وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
مما ينالهم من الشدة او مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان

وتنكير

ار احد تحقق الرد ... والوان الله هداني

للمتكبرين

ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين
اتقوا وقرئ ينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة
تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب
وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة
لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف
لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو
على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا
يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزاين لا يدخلها ولا يتصرف فيها
الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته و
قيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان انه سال النبي ص
عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده و
استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى ان الله هذه الكلمات يوحد
بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله وما بينهما
اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم
للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان
خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية الكرم او مما يليه
والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او
كلمات توحيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون اى افغير الله اعبد بعد
هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب
ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان
ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله
تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة
اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع
بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام على سبيل الفرض والمراد تهييج الرسول واقناط الكفرة والاشعار على
حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم
والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم
لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد
منكم الآية وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن
من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما
قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا
له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة
الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان
تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
وهو المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة و

قرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد
بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على
انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى
عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما
يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق
من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء
الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور
نفخة واحدة النفخة الاولى كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع
فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين
كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما
اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم
ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض
او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه و
وضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين
يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح
المحفوظ تقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون
للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد
بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به
الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته
شيء من افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا

افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
وهي الجمع القليل جمع زمرة قليلة الشعر ورجل زمر واشتقاقها من الزمر وهو
الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل
زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي
يحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا
وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه
لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ
الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب
علينا وهو حكمه عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم
فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره
ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان دخولهم فيها
لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به
النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة و
قيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في
الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب
اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف

وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس
المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب
لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون
المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث
نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة
مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى
الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او
لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة
للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان
منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق
وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او
بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب
العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي
بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين
وعنه عم كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
سورة المؤمن مكية **وآيها خمس او ثمان وثمانون وقيل اثنان وثمانون**
بسم الله الرحمن الرحيم
حم امالة ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش
وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب

محفوفين

اضمارا قرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمى كهابيل
وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما
فى القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول صفات اخر لتحقيق
ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة
فيها حقيقة على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد لشديد العقاب مشدده
او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال و
جعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع
بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد
او تغاير موضع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن
لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة
وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب
مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى على عبادته
اليه المصير فيجازى المطيع والعاصى ما يجادل فى آيات الله الا الذين
كفروا لما حقق امر التنزيل سجل الكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق
لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط
حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات
ولذلك قال عليه السلم ان جدالا فى القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه
على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم فى البلاد فلا يغررك امهاله واقبالهم
فى الدنيا وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون
عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح و
الاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم

نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرى برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقيل من الاخذ
بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا ليزيلوا به الحق
فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون
على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه وتعجيب وكذلك حقت
كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم
اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ
او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات
الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم
وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده و
توسطهم فى نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات
الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية
لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة
العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم
وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى
الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات
كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون
او حال وسعت كل شىء رحمة وعلما اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله
للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها
المقصودة بالذات هنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح

بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن
التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف
على الاول اى ادخلهم مع هؤلاء ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد
وقرى جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز
الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك
الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد
تخصيص او تخصيص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا
السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعنى الرحمة والوقاية او
مجموعها ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت لا له لانه اخبر عنه
ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا
ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل الحكم وزمان للثنين واحد
قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا
عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشىء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير
كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان
خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الاخر و
احييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند
انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسوال والاحياءان ما فى القبر والبعث
اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب
بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم

ارجع الضمير الى الاول
او ادخلهم او الى الثانى
او وعدتهم

لمقت

للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك
انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم
الذى انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده متحدا او توحد وحده
فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به
تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
العلى الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك
وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم آياته الدالة
على التوحيد وساير ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا
اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر الا من ينيب بالآيات
التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد و
اتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان
الجازم بشىء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك
ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش
خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال
على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها
كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك
به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او
السموات او درجات الثواب وقرى رفيع بالنصب على المدح يلقى الروح
من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار
آثارها وهو الوحى وتمهيد النبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن
امره بيانه لانه امر بالخير مبدوه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من
عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن

مقابل لتوحد وحده

قبضة

فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيدها الثاني يوم التلاق يوم القيمة
فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبود
والعابد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون عن قبورهم او
ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او
اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك ولما يجاب به
او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما
حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه
نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات
توجب لذاتها او المها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت
قيامتها زالت العوائق وادركت لذاتها والامها لا ظلم اليوم بنقص
الثواب او زيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان
عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيمة
سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار و
قيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال
من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى
وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق
ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كان للكفار وهو الظاهر كان
وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم

يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق
النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر
خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي و
قرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير
تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون وتعريض
بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم
اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين
لمضارعته افعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم
بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا
كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي
متمكن مما يريده فانه التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه و غاية
لقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة و
العطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول
الله صلعم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه و
استحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن

مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل
موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر
ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه
سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه
لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة
بدعائه اني اخاف اي لو لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه
من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض
الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم
بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير
وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال
موسى لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في
دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية
واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية
الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت
فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل
فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي
او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان
يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله
وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة

على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر
البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب
الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير
البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض
النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا
كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان
من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول
وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله
سبيل الصواب وطريق سبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضمير لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم
ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى
واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب
وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ
بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا
من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات

مقصور

وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم
الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما
كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير
انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه
نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم
القيمة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور
او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف
مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم
يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف
بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد
او سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات
بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة
من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك
الضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به
البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله
بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة اما تقليد او
او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير

يخلف

ف

/31

من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف
اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كذلك اي كبر
مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين
على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على
حذف مضاف اي كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق
للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب
على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال
الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما
تدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله
السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه
واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين
لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة
هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان
والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب
اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم
اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود
وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة

ارف على كبر

يتبعهما

الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها
من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان
الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير و
موازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل
وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب
الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل
وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له
ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل
على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا
تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في تعديه بالى واللام واشرك به
ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية
لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة على النقمة
والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم
دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او
عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب و
فاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل
ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من جرم بمعنى القطع كما ان بدا من

توبيخهم

لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل
لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين
في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول
لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله
بصير بالعباد فيحرسهم كانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون
وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة
المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف
ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل
وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على
السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر
الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر
ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل
لهم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا
فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص
ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت

مسئلة على بقاء النفس

يحاجون فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذا تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان جهنم ابعد دركاتها من قولهم بير جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعا وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعا لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد

بهم من يقوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم وارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواهم وما يستوي الاعمى

اكثر

والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون حاله نظيرهما التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون بالتاء تغليبا على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعا بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعا فانه من ابوابها وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة

الله

غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذايذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد

والمراد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق
به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتاكيد الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير
الكتب او الوحي والشرايع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في
اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعايد
محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل بالجر حملا على
المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه
القراءة به والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف
الفعلية على الاسمية ثم في النار يسجرون يحرقون ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان
يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا
من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا
يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله
الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا
لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون و
تتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون
في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب
السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق كاين لا محالة فاما نرينك
وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون

يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذلك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم
فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة و
عشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كساير
القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا
جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب
المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهورها
بغيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان
من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع
كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة
عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ولم يقل في الفلك للمزاوجة
وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ
والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة
او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلايله الدالة على كمال قدرته
وفرط رحمته فاي آيات الله اي فاية من تلك الآيات تنكرون فانها
لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلق بضميره كان
الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات
لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض بقي منهم من القصور

والمصانع ونحوها وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى و
الثانية موصولة فلما جاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات او الآيات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد
بالعلم عقايدهم الزايغة وشبههم الداحضة لقوله بل ادارك علمهم في
الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قايمة ونحوها
وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك
او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل وانهم لما راوا تمادي جهل
الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم
والفاء الاولى لان قوله فما اغنى عنهم والبواقي لان رؤية الباس مسببة
عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنت الله التي قد
خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان
استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا
صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة
مكية وآيها ثلاث واربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا
للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب

فصلت

وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور
السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم
والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية
والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي
فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق و
الباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة
قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآن او
صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب او الخبر لمحذوف
فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل
وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على
ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق
فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج
اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او ابطال امرنا اننا
عاملون على ديننا او ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما
دلايل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او
فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم
بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من

اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما
يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم الكافرون حال مشعرة
بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع
من منت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى او الهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد
من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها
اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته
وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك رب الذي خلق
الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل
فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من
فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها
معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه
ويعيش به او اقواتا نابتة منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها
وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من
البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمس عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل
في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الغد لكنه سواء اى
استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة لايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر
وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي للسائلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها

الاقوات اى للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت
ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها
متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها
او الاجزاء المصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت
فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة و
الكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على الخلق السابق بمعنى التقدير والترتيب
للوجود او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان يصير مدحوة
وقد عرفت ما فيه من او لياتك كل الاخرى في حدوث ما لا يليق توليد مثلا
ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما
طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب
وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال
قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما
وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلها بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون
وما قيل انه تم خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير
وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين فقضيهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم
سبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم
الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى
منها بان حملها عليها اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا
السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا
اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى

كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان
فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقوع كانه
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة
من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ
جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اتوهم من جميع جوانبهم و
اجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه
على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين
يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود
وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون
عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا
الله بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل
لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق
فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم
وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما
لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها
حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة
يهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اى يجمع او شديدة الصوت
في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض
سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت

على فعل والوصف بالمصدر وقيل كن اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب
الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم
واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ
ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفها بالهون
للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على
البناء للفاعل وهو الله وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب
اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم كيلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل
النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله
او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف فينطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم
شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس نطقنا بعجب
من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال
بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان
يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اى ما كنتم تستترون الخ

عنها بكبائر الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاكم تشهد
عليكم بما اشهرتم عنها وفيه تنبيه على ان المومن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه
حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك
اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم
الذي ظننتم بربكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سبب الشقاء المنزلين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا اي يسالوا العتبى
وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله حكاية
اجزعنا ام صبرنا الآية وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسالوا ان
يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل
اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا
واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول
اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي
آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن و
الانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ
وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم
هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي سيئات اعمالهم
وقد سبق مثله كانوا يعملون ذلك مبتدا اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله

قيضنا
يستو

النار

النار عطف البيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها دار الخلد فانها
دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار السرور وتعني بالدار عينها على ان
المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون
وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين
اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلال
والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ
الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما
في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا
الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه
عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع
وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان
واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة
بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان
الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت
الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما تتعادى
الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما
تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من
غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون
مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا

تحت

للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية
عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في
المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة
حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن
الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرج
مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي
الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا
الذين صبروا فانها تحبس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان
نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ و
جعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر
فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لانهما
مخلوقان مأموران مثلكم لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مثلكم
واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق
الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان بعد ون فان السجود
اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر
الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك
من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون

ان كنتم اياه تعبدون

لا يملون

لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من
الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي
الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتاويل
الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى
في النار خير ام من ياتي آمنا يوم القيامة قابل الالقاء في النار بالاتيان
آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه
بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله ان الذين يلحدون او مستانف وخبر ان محذوف مثل
معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا تتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من
الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم
اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما
يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم
كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة
لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول
بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين
بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة
العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه
ااعجمي وعربي اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي

والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وكلامه وهذا قراءة ابو بكر وحمزة والكسائي
وقرا الباقون اعجمي وهو منسوب الى العجم وقرا هشام اعجمي على الاخبار
وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام
العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزام
المحذور او للدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات كيف جاءت
قل هو للذين امنوا هدى وشفاء من الشك والشبهة والذين
لا يؤمنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير هو في اذانهم وقر وهو
عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات و
من جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين امنوا هدى اولئك
ينادون من مكان بعيد اي هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له
بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بالقيمة وفصل الحكومة حينئذ او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال
المكذبين وانهم لفي وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من
التورية او القران مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه
نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس
له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو
وما تخرج من ثمرات من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع
وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير
ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى
ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم

ينا ديهم

يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من
شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا عنهم لما علينا الحال فيكون
السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول
الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا ايقنوا ما لهم من
محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل
من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه
الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله
انه لا يياس من الكافرين وقد بولغ في ياسه من جهة البنية والتكرير
وما في القنوط من ظهور الياس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه بما لي من الفضل
والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله
الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا
فلا ستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة
اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى
بجانبه انحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا او بجانب
مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو
ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل ارايتم اخبروني ان كان من عند الله اي القران

ثم

ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد
ضلالهم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم يعني ما اخبرهم النبي عم به
من الحوادث الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه
من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي
انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من
عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران
او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء
مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا
مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل
شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة او مطلع فيعلم
حالك وحالهم اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه مطلع على كل شيء
لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية
وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء
وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي عم من قرا سورة السجدة
اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى
وهي ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وان كان
اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي
اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة
من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما
ذكر بلفظ المضارع حكاية لما للماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله

عادته وقرا ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند
الى ضميره او مصدر يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز
الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر في سورة السابقة
او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز
الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي
العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته
تكاد السموات وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من
عظمة الله وقيل من دعاء الولد وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن و
الاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء
لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من
جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها
على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك
في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل
المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من
رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه
عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء
باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه
اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم

فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر
يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه كرر في القران في مواضع جمة فيكون
الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى اهل ام
القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة
يجمع فيه الخلايق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني
مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر
بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة
وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون
والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا
منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء
في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي
ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة
للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا من دونه اولياء
كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا
اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من
شيء من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه
يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من
تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي

ذلكم

توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات
والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل
من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن
الانعام ازواجا وخلق للانعام ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا
او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر
فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه
والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه
عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول
رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته
ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد
لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل
ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شيء عليم فيفعله
على ما ينبغي شرع لكم الى عيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ودين محمد و
من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المعبر عنه بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكامه ومحله النصب على
البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل واما فروع
الشرائع فمختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة كبر على المشركين عظم
عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي يجلب
اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من
ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما

ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى

تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال
متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الكتب والرسل و
غيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة وطلبا للدنيا ولولا كلمة
سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة
لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا و
ورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان
او من القران مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق
او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او
الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة
والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم
الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار
الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع
والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة
العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل
يجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر
ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة
واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة
راسا حتى يكون منسوخة باية السيف والقتال والذين يحاجون في الله
في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه
او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم

الى اجل مسمى — حل م

مقلق

بعمل

داحضة عند ربهم زايلة باطلة وعليهم غضب بكفرهم ولهم عذاب
شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا
به بعيدا عن الباطل او بالحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي
يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او اله
الوزن اوحي اعداده وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع
الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم
الذي يوزن فيه اعمالكم ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات
قريب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء
والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان
كلا من المجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق
فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن
الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم يصنعون من البر ما لا تبلغه الافهام
يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما
اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب
من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فايدة
تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل القاء البذر
في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد
عشرا الى سبعماية فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
شيا منها على ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم

بفنون

شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما
تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم اي القضاء
السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين
الكافرين والمؤمنين والمشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب
اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل لقضي بينهم اي ولولا كلمة الفصل
وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم
غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما
كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب
بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند
ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما
لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب يبشرهم الله به فحذف الجار والعائد او ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
يبشر من بشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والرسالة
اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي
القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في اهل
القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها
لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما

وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن
يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته
لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد
الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب وتاب شكور لمن اطاع
بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى
على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القران فان يشأ الله
يختم على قلبك استبعاد الافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه
من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة و
معرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا
يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات
الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ
من عادته محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق
باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو
من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى
مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة
وعن علي رضي الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها
في المعاصي واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل
كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم

٣٩٢

ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ حفص والكسائي ما
يفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله
لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء و
الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله ص
افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها
ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستجابوا له بالاستجابة
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب و
الفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب
واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر
بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا
امورهم وجلايا احوالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة
تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا
انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص
بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما
قنطوا ايسوا منه وقرئ بفتح النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل
والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه و
نشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما
بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم
السبب على المسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق
انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه

واذا كما يدخل على الماضي يدخل على المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع
وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب
منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين
ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها
ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام
كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في رأسه نار ان
يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت
على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس
نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن يهلكهن بارسال الريح العاصفة
المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن
لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ
المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ
ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة
لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ
بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير
آخرين ما لهم من محيص مخلص من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب
الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه و

ود واحد وبناء الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع
بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانيه وعن علي انها تصدق
ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا الايه والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده
عطف على الذين امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على
ضميرهم خبرا للدلاله على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزه و
الكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو
شورى لا ينفردون براي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم
وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل
الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بامهات
الفضايل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبي عن عجز المغتاظ عن
مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء
على البغي عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة
مثلها سمى الثانيه سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفى و
اصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود
انه لا يحب الظالمين المبتدين بالسيئة المتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر
بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرى به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدون بالاضرار او يطلبون ما
لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم
عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن

/٢٦

عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم
للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد
خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه
فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى
الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدي
نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور الى السيف وقال الذين
امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب
المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا ويقال اي يقولون اذا راوهم
على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام لكلامهم او تصديق من الله
لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله
فما له من سبيل الى الهدايه والنجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة مرد وقيل صلة
ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ
مفر يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد
عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او
محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا
رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البليه
ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى
الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطيه الاولى باذا والثانيه بان
لان اذاقة النعمة محققه من حيث انها عادة مقتضية للذات بخلاف

اصابة البلية واقامة عله الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانيه
للدلاله على ان هذا الجنس يكفر موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم
ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من
يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيه
فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم
اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الايه للدلاله
على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك
او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او
للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في
الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسم المشترك
بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان
لبشر ما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل
ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم
المشافهة كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما
اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه
بالاول فالايه دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء
في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد
بالرسل الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان ما وراء
حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا
ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل

يرفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمة فيكلم تارة
بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك
اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب يحيى به
وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد
هو الايمان بما طريقه السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب
او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه
وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرى لتهدى اي
ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسايط والتعلقات
وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي من قرا حم عسق
كان ممن يصلي عليه الملائكة يستغفرون له ويترحمون له
سورة الزخرف مكيه وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وايها تسع وثمانون
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا
جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا والقران من حيث
انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانه او بين للعرب يدل على
انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على ان و
قرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه
اصل الكتب السماويه وقرى ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير
لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او
محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه
او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر

صفحا أفنبعده ونبعده عنكم مجازا من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال
طرفه اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف
على محذوف يعني انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر على غير لفظه فان تنحية
الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة
عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صُفحا وحينئذ يحتمل ان
يكون تخفيف صُفُح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف
ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه أن كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم
وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالكسر
على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل
الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به
يستهزءون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا
عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد
للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم وما دل عليه اجمالا
اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر
وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده
استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها
سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة
الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر
فانشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان
كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة

والكسائي

والكسائي يخرجون بفتح الياء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه
على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب
على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما
تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم
معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب
لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على
كل حال سبحان الذي الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله
بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه
مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده
جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي وجعلوا له بعد ذلك الاعتراف من
عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه
بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين
ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد
الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم
يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير
لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به
كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي
جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه

اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب
وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
أو من ينشأ في الحلية اي وجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني
البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان
العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي ومن
من هذه حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه
كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ وينشأ وينشا ونظير ذلك علاه و
علّاه واعلاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه
مقالتهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند
على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع أشهدوا خلقهم احضروا خلق الله
اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم
وعن نافع أوشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وأاشهدوا
بمد بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون
اي عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون
وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وانه بنات وهي الملائكة ويساءلون من المساءلة
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما
عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها او
على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان
منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان
هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى

حاصل الجواب جواز كونه متعلق للمشيئة مع كونه منهيا عنها ١٢

كانه

كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من
طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال أم
آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه
فهم به بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة و
انا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا
فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئ
بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما
ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على
امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد
في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه
وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد
قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم
بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما
ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او
يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف
تبرأ من التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف
آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي من عبادتكم او معبودكم مصدر
نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ
وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي
العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة

صنع الكفار

اى اننى براء من الهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين سيثبتنى
على الهداية او سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه وجعلها وجعل ابرهيم عم
او الله كلمة التوحيد باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من
يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه عقبه
اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده
بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش واباءهم
بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح
على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة مبالغة فى تعييرهم حتى جاءهم
الحق دعوة التوحيد او القران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات
او مبين للتوحيد بالحجج والايات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا
هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف
به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال
كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان عظم النفس بالتحلى بالفضائل و
الكمالات القدسية لا بالتزخرف بزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة
ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فى الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم
فى امر دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا لها امر النبوة التى هى اعلى المراتب
الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله و
رفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم السخر
تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر

ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف فيما هو اعلى منه ورحمة
ربك هذه يعنى النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا فالعظيم
من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان
يرغبوا فى الكفر اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا
ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه
وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف و
سقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اى
ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل
من فضة ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف
عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك
للمتقين عن الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الاخرة لا فى الدنيا
واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل
بالاضافة الى ما لهم فى الاخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الافات وقل من يتخلص
عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط
اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى
اذا كان فى بصره افة وعشا اذا تعشى بلا افة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من
موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب
بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه وانهم
ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذى من حقه ان يسبل وجمع الضميرين
للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون

وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا

والضمائر الثلثة الاول له والثانيان للشيطان حتى اذا جاءنا اى العاشى وقرا
الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اى العاشى والشيطان قال اى العاشى للشيطان
يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق
وثنى واضاف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اى ما انتم عليه
من التمنى اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بدل من اليوم انكم فى
العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما
كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم
فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امر صعب تعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسيمهم
بمكابدة عنائه لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول
افانت تسمع الصم او تهدى العمى انكار تعجيب من ان يكون هو الذى
يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار
عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلعم يتعب نفسه فى دعاء قومه
وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان فى ضلال مبين عطف على
العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال
لا يخفى فاما نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة
مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك
فى الدنيا والاخرة او نرينك الذى وعدناهم وان اردنا ان نريك ما وعدناهم
من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذى اوحى
اليك من الايات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله انك
على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون
اى عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اى رسل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون

هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب
ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين
يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل على رجل من القريتين والاستشهاد هذا القران على رجل من
بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها
يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما راوها ولم
يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها الا وهى بالغة
درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من يحسب
الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم افضل
من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى
بها السارى او الا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك
الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك
فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم يسمون العالم الباهر
ساحرا ادع لنا ربك اى يدعون فيكشف عنا العذاب بما عهد
عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان
يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان
والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه
فى قومه فى مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم عنهم
قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى

فبصري وامري يجري بين يدي في جناتي والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك
فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها
افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين
ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة والقلة ولا يكاد يبين الكلام
لما به من الرتة فكيف يصلح للرياسة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ
قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى
افلا تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب
اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا
سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على
تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع
سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو
الله او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته
به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم
الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا
قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم
في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائي
بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ
سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين
وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما
ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله انكم وما

تعبدون

تعبدون حصب او غيره بان قال النصارى اهل الكتاب هم يعبدون عيسى و
يزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد موسى
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول
صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن
الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا آلهتنا خير
ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه
او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت
آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرا
الكوفيون الهمزتين والف بعدها ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا
المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم
خصمون حراص على الجدال على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب
المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم كما ولدنا
عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة
يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى
قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات
ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق والانتساب
الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من
اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ
لعلم اي علامة لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فياتي
بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي

على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع و
الكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه
الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون
واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله
هذا اي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم
الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم
عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات
الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او بالشريعة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين
لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم يبعث لبيانه ولذلك قال
عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان
الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة وهو اعتقاد
التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين
وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة
في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى
او اليهود والنصارى من بين قومه من المبعوثين اليهم فويل للذين ظلموا من
المتحزبين من عذاب يوم اليم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين
ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة
فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم
لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ
لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالفون له سببا للعذاب الا المتقين فان
خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا

انتم

انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين
آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا
مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او يكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة
المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل
وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد
في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة
الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه
العامل وتلك اشارة الى الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بالمحذوف
لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون
لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن
وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان
المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات
وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون
خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف من فترت عنه الحمى اذا
سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه مبلسون آيسون من النجاة وما
ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا
يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم

لا يستطيعون ان يتموا اللفظ تماما ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا
ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي
ابلاسهم فانه جؤار وتمني الموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون
لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال
وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه كانه تعالى تولى
جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في
اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق
ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول
من الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم حديث نفسهم بذلك وتناجيهم بلى
نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمهم يكتبون ذلك قل
ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم
بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد
تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد
يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه
فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء الملزوم
والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اول الناس
بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول الموحدين لله
والانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان
له ولد فانا اول الموحدين من مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم

احكم

سبحان

سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه
ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف
به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة
وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم
معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق
لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه
كقولك وهو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله والراجع مبتدا محذوف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد
لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدا محذوف تكون به جملة مبينة للصلة
دالة على كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة
السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم
كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه
ترجعون للجزاء وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالياء على الالتفات
للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه
ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين
او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون
يصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله او وقال قيله وجره عاصم وحمزة

قيله

عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم
منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي
وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل
سلام تسلم منكم متاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم
وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية
وهي سبع او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين القران والواو للعطف ان كان حم مقسما بها
والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر
او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح
ثم انزل على الرسول نجوما وبركتها فان نزول القران سبب للمنافع الدينية
والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة
وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال
وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة
والملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها
ويجوز ان يكون صفة لليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان
الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون
امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا
وهو مزيد تفخيم الامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضمير المستكن في

رحيم

حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق
او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه
بمعنى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
اي انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل
الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت
ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به
اي يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل
رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية
من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك الرحمة انه هو السميع العليم اقوال
العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه
اوصافه رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي
ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم
من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين
فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون
ربكم ورب آبائكم الاولين قرئ بالجر بدلا من رب السموات بل هم في شك يلعبون رد
لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين
يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار
او لان العرب يسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب
وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم
ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
اول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق

ومجاعة

الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام
واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة الدخان وقوله
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر
بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب
عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد
جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار
من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال
بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا
العذاب بدعاء النبي فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن
فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار
بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فمن عقيب ما يكشفه عنهم يرتدون و
من فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان يحجز عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نحمل البطشة
الكبرى باطشة به او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او
اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين
او في نفسه شرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان

ادوهم

ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول
الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون مخففة ومفسرة لان مجيء الرسل
يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات
على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا
على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى
في وجهيها اني اتيكم بسلطان مبين علة النهي ولذكر الامين مع الاداء
والسلطان مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجأت
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ
عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي و
لا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا
ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر
ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرئ بوصل
الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم
واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما
جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره منه ليدخله القبط انهم
جند مغرقون وقرئ بالفتح لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة كانوا فيها
فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها
او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين
ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما
بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم

كالاولى في

فراد يدخل

كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت الشمس لهلكهم في نقيض ذلك ومنه ما روي في
الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط
رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين
الى وقت اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتله ابناءهم وقرئ بالاضافة على ان المراد من فرعون بدل من العذاب
على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين
بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لتنكر عليه
ما كان الشيطنة انه كان عاليا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر
ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة
من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم على العالمين بانهم
احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة
الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء
يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على
انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عما حل بهم ليقولون ان هي الا
موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة
الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى و
مات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة
كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة
الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم
بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه
اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش

مسو

قالوا

وحير

وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم دونه وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع و
الذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول
ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما
بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان
والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان
يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل
عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم
بالنصب على انه اسم ان اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا
يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا
للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من
رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحل الرفع على البدل من
الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه
الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى
الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل
دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على ان

الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي
الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية
فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرا الحجازيان و
ابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا
فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم
فقيل يصب رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى
الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم اى قولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما
كان يزعمه وقرا الكسائي انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ان
هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان
المتقين في مقام اى في موضع اقامة وقرا نافع وابن عامر بضم الميم والباقون
بفتح الميم امين يامن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون
بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل
والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ان او حال من الضمير
في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه
معرب ومشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض
كذلك الامر كذلك واتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم
بهن ولذلك عدي بالباء والحور البيضاء والعيناء عظيمة العينين و
اختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون
ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان
آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون
فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها

او للجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها والاستثناء
للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا
منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص
من المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه
بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون
به فلما لم يتذكروا به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح
مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ان جعلت مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل
تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز
الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى
ان في خلق الله لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف
ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه
واستجماعها لما به يتم معاشها الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار
آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء
من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها
يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف

الريح آيات لقوم يعقلون فيه قراتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء
وان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي
ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك
آيات الله اى تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى
الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله وآياته
يؤمنون اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني
زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله الله نزل احسن الحديث
وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان
وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك اثيم
كذاب كثير الاثم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا
عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات
الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة
في موقع الحال اى يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة
على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها
اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا
وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء
بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب
مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه
بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع عنهم ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا
من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام ولهم
عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله
والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب

وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله
املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري
الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا بان جعلها نافعة لكم منه حال من ما اى سخر هذه
الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هي جميعا منه او لما في السموات وسخر
لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول ومنه على انه فاعل سخر
على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
في صنايعه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون حذف المقول لدلالة
الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب
لوقايعهم او لا يامولون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين ووعدهم
وثوابهم بها والآية نزلت في عمر رضه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل
انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر و
القوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او
التحقير والشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى
الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما
مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
اى لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم و
لقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية
او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم

من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث
وآتيناهم ما لم نوت غيرهم من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات
وقيل آيات من امر النبي مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من
بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان
ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمواخذة
والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها
فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء
الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين
آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الضم ولا توالهم باتباع اهوائهم
والله ولي المتقين بالتقى واتباع الشريعة هذا اى القران واتباع الشريعة
بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة
ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلب اليقين ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجوارح ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان
الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حيوتهم و
مماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة
والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف
او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين
المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار
ان يستووا بعد الموت في الكرامة او ترك المواخذة كما استووا في الرزق والصحة

في الحيوة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى و
الضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج
ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء
والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة وقد جعل البدل بها على
قدرته او لنعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب
وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان
ظلما كالابتداء افرايت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهوى
وكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى
احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد
جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر بالآيات
وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ
حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله
افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا او الحال الا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا
بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى
بعضنا او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم
ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر
الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم
بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها

على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه
وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان
حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا
امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه الحجج ثم يجمعكم الى
يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالآيات
دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا
يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور
نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد
تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم
تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي
الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف
الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب
كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما
كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا ينطق اضاف صحائف
اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق
يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة
ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه

عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال
لهم الم تاتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها و
كنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله حق
يحتمل الموعود والمصدر وكلاهما حق كائن هو ومتعلقه لا محالة والساعة لا ريب
فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري
ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا وادخل
حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا
نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن
بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من
آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات
ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم
ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به و
اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماواكم النار وما لكم من
ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم
لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون
يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات
ورب الارض ورب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله
الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيهما آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم
فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي ص من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته

وسكن روعته يوم الحساب سورة الاحقاف مكية الا قوله لوالديه اف لكما الايتين
وهي ثلثون وخمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة
والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما
قررناه مرارا واجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو اخر
مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت
ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون
لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروا عن حال الهتكم بعد
تامل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم
فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم
ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب من
قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد او
اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين فقيل فيها
ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم
وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم
ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني
واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون
الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى
الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا

عادة

عبادة السميع المجيب القادر المختار الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو
سمع دعاءهم فضلا ان يعلم اسرارهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة
ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون
مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء لا يضرونهم
ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال
وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق
لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه في موضع ضميرها ووضع
الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر و
الانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا
سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم
اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على
الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا
تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب
من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه
تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي
بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم
وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم
الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه واقدر على ما لا يقدرون عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر
بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل

عن دعائهم

من الرسل

اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة
او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي
لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب
او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا
الا نذير مبين من عقاب الله مبين الانذار بالشواهد المبينة
والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران و
كفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط
وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها بعطفه بما
عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى
وشهادته ما في التورية من نعت الرسول على مثله مثل القران وهو ما في التورية
من المعاني المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من
عند الله فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق و
استكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف
مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان
الايمان او ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ
عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين
اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل
ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم
اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر له كتاب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب

موسى

موسى او لما بين يديه وقد قرئ لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفايدتها الاشعار
بان الدلالة على كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي
وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان
عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او
الله او الرسول ويويد الاخير قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء و
بشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي
هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد
فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب
والفاء لتضمن معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء
بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية وخالدين حال
من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا
جزاء ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرا الكوفيون احسانا و
قرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات
كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله
وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب
وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به
كما عبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر مود اذا
انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه

الفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فبقي
ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما
وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل
واستكمل قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد
اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما
يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه
لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل
صالحا ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من العمل يستجلب
رضاء الله واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل
عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه و
نتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما
في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان نتقبل ونتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدا
خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت
ذكرت في بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني
بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد
منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسالانه

ان
ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اي يقولان له ويلك وهو دعا
بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم
القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل
على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان الاسلام في امم قد
خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم
انهم كانوا خاسرين تعليل الحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين
درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل
ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب و
ليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين
كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة
كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو
ناصب اليوم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ابن كثير
يقرا بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم
في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم
تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب استكبار الباطل والفسق
عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ
انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء
من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على
البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه

قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن
آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان
كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت
عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به في
وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اريكم
قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم
والاضافة لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر
بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي
ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا
قابضة سكون الا بمشيته وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك
فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة
على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون الهاء لكل شيء فانه
بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها
مرارا فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا
بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي
لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين
روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح
فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت

تهلك

عنهم فاحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في ما مكناكم
فيه ان نافيه وهي احسن من ما ههنا لانها يوجب التكرير لفظا ولذلك
قلبت الفها في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد
مكناهم في الذي او في شيء ان مكناهم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في
قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول
اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها
على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات
الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب
على ما اضيف له وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون
من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم من
الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا
والجملة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول لاجل على انه بمعنى
التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم و
امتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم
وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد
والمبالغة وافكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو
الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم

وتواظبوا

والالهة

[illegible]

اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القران حال محمولة على
المعنى فلما حضروه اى القران او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض
اسكتوا لنستمعه فلما قضى اتم وفرغ عن قراته وقرى على بناء الفاعل وهو
ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اى منذرين اياهم بما سمعوا
روى انهم وافوا رسول الله صلعم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرا فى تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل
انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما
بين يديه يهدى الى الحق من العقايد والى طريق مستقيم من الشرايع
يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم
من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على
المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى
ادم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض اذ لا ينجى منه مهرب
وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك فى ضلال مبين حيث
اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذى خلق
السموات والارض ولم يعى بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى
ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر على
ان يحيى الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة
لتاكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه على كل شىء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد
ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله

اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم
والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد
منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع
اجتهدوا فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين
فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على
بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم
على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقدان الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا
لمدركون قال كلا الاية وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع
لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم
لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة
بلاغ هذا الذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من
الرسول ويؤيده انه قرى بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض
اى لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وما راوا ما فيه استقصروا
مدة عمرهم وقرى بالنصب اى بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون
الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرى يهلك بفتح اللام وكسرها من
هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلعم من قرا سورة
الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا سورة محمد صلعم
وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وهى ثمان او تسع وثلثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا

عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا
الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او متمردين من اهل الكتاب
او عام فى جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم
وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة
فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصد وا به وجه الله او ابطل
ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين
كله والذين امنوا وعملوا الصالحات من اهل الكتاب وغيرهم و
امنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له
واشعارا بان الايمان به لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله
وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقه وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ
وقرى نزل على البناء للفاعل وانزل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها
بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق
والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو
مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق و
هذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال
الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار و
الاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا
لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة فضرب الرقاب اصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا
الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى

ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا
اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا
الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما
منا بعد واما فداء فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد
الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان
الذكر يتخير المكلف اذا اسر يتخير الامام بين القتل والمن والفداء و
الاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا
يتعين القتل والاسترقاق وقرى فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها
الاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب
ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم
ومعاصيهم وهو غاية للضرب او للشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى
ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال
شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك
ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو
بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم
ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا فى سبيل الله
اى جاهدوا وقرا البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا فلن يضل
اعمالهم فلن يضيعها وقرى يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم
الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به
او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه

تخلو او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث
يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة والذين
كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس
اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة
خبر الذين كفروا او مفسر لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك
بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة
لما ألفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن
للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن
ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم
من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر
موضع الضمير وللكافرين امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او
الهلكة لان التدمير تدل عليها او للسنة لقوله عليه السلم سنة الله التي قد خلت
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين
لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق
فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون
بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار
مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه و
الاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم

يدفع

يدفع العذاب عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه
حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي ص والمؤمنين
كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك
لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون
اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد
في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار او
امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما
حذف استغناء بجري مثله وتصوير لمكابرة من سوى بين المتمسك
بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول
خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار
او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من
على بينة في الآخرة تقريرا للانكار فيها انهار من ماء غير آسن
استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من
أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ
ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا
غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز و
قرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل
مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما
يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ به منها في الدنيا بالتجريد
عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها و
لهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم

عطف على الصفة المحذوفة او مبتدأ وخبره محذوف اي لهم مغفرة
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ص
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي العلماء
الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء واستعلاما
اذ لم يلقوا اليه اذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم
منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى
وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم ولذلك استهزؤا وتهاونوا
بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق
والالهام او قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم
على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ
ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي ص و
انشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ
لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
اي اذا علمت سعادة المؤمنين او شقاوة الكافرين فاثبت على ما
انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها
وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لذنوبهم بالدعاء
لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف

الصنف

اشعار

اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب
ماله تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل
لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله و
استغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة
اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة
لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم
مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو
القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه
امرهم طاعة وقول معروف استئناف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم كقراءة ابي يقولون طاعة فاذا
عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل
الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص
على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع
منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تفاخروا على الولاية و
تجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة
مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء
بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة
الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض
وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في
الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطيع

اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام
فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون
القران يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على
المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر و
قيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب
بعضهم او لاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها و
نكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة
لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرى اقفالها على المصدر ان
الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين
لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول
لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على
الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته
لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرى
سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم واعدهم
بالامال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب و
املي لهم فتكون الواو للحال او الاستيناف وقرا ابو عمرو واملي على البناء
للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله قال اليهود للذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم
نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم
في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن
الجهاد والموافقة في الخروج ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله
يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة و

الكسائي

والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة
فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرى توفيهم وهو يحتمل الماضي والمضارع
المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف
بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول و
عصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره
من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان لن يبرز الله لرسوله و
للمؤمنين احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم
باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام
كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف
ولحن القول اسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطي
لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم
على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وساير
التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها
ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم
عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلث
بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير و
نحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير والمطعمون
يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله

مشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته فلا يصلون بها الى
مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما
ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والريا والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل
من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه
على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره ساير ذنوبه فلا تهنوا وتدعوا الى
السلم فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز
نصبه باضمار ان وقرى ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وانتم الاعلون
الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع
اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته
عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم
ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسئلكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على
جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسئلكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب
الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا
استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله
والضمير في يخرج لله ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان
وقرى تخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله

تقطعوا

استيناف

استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة
الغزو والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على
الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر
البخل عايدان اليه والبخل تعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك
والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم
به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا
عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين
ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه
سئل عليه السلم وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا
وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه من قرا
سورة محمد عم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة
الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله عم من الحديبية وايها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا
وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او ما اتفق له في تلك السنة
كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان
بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسببت بفتح مكة وفرغ به
رسول الله عم لساير العرب وغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام
خلقا عظاما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية
فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح
الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول
في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من
قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار

والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدي
الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان
يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصفه
بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب
المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس
عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع
ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى كما تقتضيه حكمته و
كان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة
لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود من معنى التدبير اي دبر ما دبر من
تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب
المنافقين والكافرين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر
او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها
ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما
لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف
على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله

ظن

ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير
وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان
يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل
مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما
استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع
موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله
ورسوله الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم
وتعزروه وتوقروه تقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما
وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون
العين وتعززوه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه
المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد له على
سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه وفي قراءة
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير
ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة

وغفار استغفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل
باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف
من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا
من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله
على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار
والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته
وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من القتل والهزيمة وخلل في الاهل والمال
وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يقابل
ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم و
قصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
لظنكم ان المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات
كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في
قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم
ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله التسجيل
ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد
عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان
بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل
او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما
فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض
ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني

المذكو

المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم
رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها
واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها
بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو
وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله
لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للجملة غلب في
الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا
نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون
بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون
الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول
رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد
من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف
ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي
يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او
يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على صحة
امامة ابي بكر اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما عن جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج

ولا

ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين
استثناء عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق
رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه
عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر
ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة روي انه عليه السلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية
الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمن بن عفان
فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلعم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة
او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان
جالسا تحت الشجرة او سمرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل
السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم
فتحا قريبا فتح خيبر قبل غلب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة
ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا
مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما تفيء على المؤمنين الى
يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم
ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح
ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم
من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
وهو علة الكف او عجل مثل ليسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل
ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه و

اخرى

واخرى مغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله لم تقدروا عليها
بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب
لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى
فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من
اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا ولا
نصيرا يحرسهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة
الانبياء سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم
ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد على جند
فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح و
استشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله
وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا
لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
يدل على ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ
الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكان الذي يحل فيه نحره
والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا
لما نحره الرسول صلعم حيث حصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي
المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم

تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم
قال ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال صلعم ان آخر وطأة
وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي صلعم بها واصله
الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم
والتاسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم
مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي تطؤوهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى
لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم
فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما
دل عليه كف الايدي عن اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك
ليدخل اي في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او
مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل
الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية
الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي
انه عليه السلم لما هم بعث اليهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش
مكة من القابل ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلعم لعلي رض
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم
ثم اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول

ما

ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن
عبد الله اهل مكة فقال لهم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا
ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله سكينته عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم
كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد والمستاهل لها وكانوا احق
بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له
لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى انه صلعم واصحابه دخلوا مكة
فرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما
حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق
وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما
اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام
جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة
بالمشيئة تعليما للعباد واشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او
حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي صلعم لاصحابه آمنين حال من الواو و
الشرط معترض محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا
آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك دخولكم
المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين
الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او

بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله
ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد
ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم
المسلمون وفيه تاكيد لما وعد من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان
ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة
للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او
مبتداء والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار
رحماء بينهم اشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون
على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة
على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في
وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة
السجود فعلاء من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة من اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او الى
مبهم يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اى ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع
مستانف او تفسير او مبتداء وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه
يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرا ابن كثير وابن عامر شطأه بفتحات
وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل
حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة
بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرا ابن عامر فأزره كأجره في

اجره فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظة فاستوى على سوقه فاستقام على
قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته
وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام
ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار
علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار
لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي من قرا سورة الفتح كان
كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
اى لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود
نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدمهم ويؤيده
قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي
الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا متين
لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا
الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا
ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اى اذا كلمتموه
فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اخفضوا اصواتكم احفض من صوته
محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه
كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء بالنبي
مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له

وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي
او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الجهر
والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد
الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه
وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه
فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون
انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله يخفضو
مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد
ذلك كاخي السرار حتى يستفهمها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او
للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن و
التكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او فانها
اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه
لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وساير طاعاتهم والتنكير للتعظيم
والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا
لحالهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في
الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان
حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأة من جهة

الوراء ومن ابتداها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرات اذ لا بد وان يختلف المبدا
والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة
من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى
مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته
بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك وامروا به ولانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما
لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم ولو ثبت
صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر
دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر
ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه و
لذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها
عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام
او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه
من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف
بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق
النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح
والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها
الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي

انه عم بعث وليد بن عقبه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن
وليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وتنكير الفاسق والنبا للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر
يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم
عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب
على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير
وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما
فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف
الثلاثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر
للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغيرها وهي انكم تريدون
ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من
العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله
ولكن الله حبب لكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره لكم الكفر
والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط
حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة
من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله
اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق

الوی

السوي معدى بنفسه الى مفعول واحد واذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن
معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود و
الفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان
الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم
او مصدر لغير فعله فان التحبب والرشد فضل من الله وانعامه والله
عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق
عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت
احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس
والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا
لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في
كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية
نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عم بالسيف والقتال
وهو يدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في
الحديث لانه فيء الى الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح
والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى
اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر
بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم
ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير و

التخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل
المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا
الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين
امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من
نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم
مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع كقائم لزائر
والزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الرجال قوامون على النساء
وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها
لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا
ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين
كنفس واحدة اذ لا يلمزونك به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز
نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدعو بعضكم بعضا باللقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء
عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان بئس الذكر المرتفع بين المؤمنين
ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به
اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين او ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله
فقالت ان النساء يقلن يا يهودية فقال لها هلا قلت ان ابي وعمي موسى
وزوجي محمد والدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن

لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه
من اي القبيلين ان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه
من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات و
النبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن
في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس
باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو
اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الحواس وفي الحديث لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء
في غيبته وسئل عم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان
فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه
مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق
المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل
الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا
لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار
كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا
الله ان الله غفور رحيم لمن اتقى عما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة

في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يحصل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة
المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي انه رجلين من الصحابة بعثا
سلمان الى رسول الله صلعم فقال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا
ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحوا وخلقنا كل واحد منكم من اب و
ام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا
للاخوة المانعة للاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العماير والعمائر
تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل والفصل لخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا
ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام
ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها
يكمل النفوس وتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلعم
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما
الناس رجلان مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله
عليم خبير بكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا
المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون
الصدقة ويمنون قل لم تومنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة
قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله بالاسلام وترك المقاتلة كما
دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في

السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول
لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا ولم تومنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى
هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد
فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقوله
فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم
شيئا لا ينقصكم من اجوركم شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرا البصريان
لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور رحيم لما فرط من
المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك
مع التهمة وقيل اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان
اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما
يستقبل وهي في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية
والبدنية اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل
اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم و
توبيخ روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مومنون
معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم
عليك منة وهي النعمة التي لا تستثيب مولها ممن تزلها اليه من المن قل
لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل
معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية

لا تلزم الاهتدا وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في
ادعاء الايمان وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم و
في سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه
ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير
ان يمن عليك بل لو صح ادعاءهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية لا لهم ان
الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية
من الغيبة عن النبي من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع
الله وعصاه [red:] سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد
ذو المجد والشرف على ساير الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علمه وعمل
واشار احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب
وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا
شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار
ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم او
عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعث والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم
وحكاية تعجبهم منها ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت
الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم يفسره او تفصيله لانه ادخل في الانكار
اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما
هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي ائذا
متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن
الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى الرجوع قد علمنا ما تنقص الارض

[margin note, illegible]

منهم ما ياكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو
الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشيا كلها او محفوظ عن التغير والمراد
ما يشتمل عليه بتفاصيل الاشيا يعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق
يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ بالكسر
فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا
حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله في خلق العالم
كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من
فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل
زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع
الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى و
ان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات اشجارا واثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الحصيد
الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او
حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها
طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع وكثرة ما فيه من
الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا
به بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت

هذه البلدة يكون خروجكم احيا بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه
ليلايم ما قبله وبعده واخوان لوط لانهم كانوا اصهاره واصحاب
الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد
او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب
وحل عليه وعيدي وفيه تسلية للرسول صلعم وتهديد لهم افعيينا
بالخلق الاول افعجزنا بالابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا
لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد
اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة
في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد للتعظيم
شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر
بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت
موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه
من حبل الوريد تجوز لقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل
الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته
للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح
ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اقرب
على الحالة من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان
بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة

تنكير

اقتضته

اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار
الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال
قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل
للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول
ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله حسنة كتبها
ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق
لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازال ذلك بتحقيق قدرته وعلمه
اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة و
نبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت حقيقة الامر او
الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها
لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على
ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر منه والخطاب
للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي
وقت ذلك يوم تحقق الوعد والانجاز والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد
بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة

عتيد معد حاضر ولعله يكتب
عليه ما فيه ثواب او عقاب
وفي الحديث كاتب الحسنات
امير على كاتب السيئات فاذا
عمل

للحق

هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما احد الا وله اشتغال ما عن
الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات وقصور النظر عليها والالف بها
فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب
للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم
ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة كسر التاء والكافات على خطاب
النفس وقال قرينه اي الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي
ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر
محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق و
الشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية
الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني
احم عرضا ممنعا والالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع
للخير كثير المنع للمال عن مفروضه وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا
متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من
كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال
قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استانف كما يستانف الجمل الواقعة في

فعتيد صلتها

مبتدا

حكاية

حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر
قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف
على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان
انما يوثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم
الي وكلم لي قال اي الله تع لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه
لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على
الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي
اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم
بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل
القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي و
عفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل
على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وسؤال وجواب
جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة فوجا فوجا
حتى تمتلي لقوله لاملان او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها
بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة
كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ
فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة
للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا و
تذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان

الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى
الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله
بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل من بدل او بدل من موصوف اواب
ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها
على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول
او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب
او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص
الرحمن به للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشيته
مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله
بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او بسلام من الله وملائكته
ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود لقوله ادخلوها خالدين لهم ما
يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات الحديث
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد
وثمود وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض
كل مجال حذر الموت والفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب و
اصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله
او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد
القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك اي فيما ذكر في هذه السورة لذكرى
لتذكرة لمن كان له قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع او اصغى لاستماعه

وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره
وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر
ولا يتدبر كلا قلب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره
مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من
انه تعالى بدا العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى
على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان
من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود
من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما
يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين
ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة
جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقرا الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر
وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر
ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر
بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به
يوم يناد المناد اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة و
الشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب
بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء
ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة
النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج
من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في
الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق الارض عنهم تتشقق الارض وقرا

الكوفيون وابو عمرو وخلف بالتخفيف عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر
الا العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلعم و
تهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم
ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع
به غيره عن النبي صلعم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولودات
فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم
وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح
الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف
اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار و
الارزاق وغيرها او ما تعم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار
بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما
بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح
مثلا تذري الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فيحمله فيجري به باسطة له الى حيث
امرت به فيقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب
للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة
على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع

الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي
هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها العارفون والنظار ويتوصل بها الى
المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك
كالابل والحبك كالسلك والحبك كالطبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق
انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة
انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة
في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها
واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول صلعم او
القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على
معنى يصدر بسببه من افك عن القول المختلف وشبهه كقوله ينهون
عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي
من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون
الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى
اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به
يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ
ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم
على النار او هو يوم هم على النار وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه
قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم
به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا
صفة بدلا من فتنتكم او الذي صفته ان المتقين في جنات وعيون

آخذين ما آتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل
ما اتيهم حسن مرضي متلقي بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد
احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طايفة من الليل او يهجعون
هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم اي ما
يهجعون ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه
مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار
هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرايم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق
نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل و
المحروم للمتعفف والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض
ايات للموقنين اي فيها دلايل من انواع الانسان والحيوان او وجوه دلالة
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في
الكيفيات والخواص والمنافع يدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته
ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ما في العالم شيء الا
وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكين من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع
المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر
وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات وما توعدون من الجنة الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة
لان ما

اولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف خبره فورب
السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له
ولما ذكر من الايات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما
انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على
الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم
وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان
بما في حيزه ان جعلت زايدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة و
الكسائي وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث
وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد
والمتعدد وقيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند
ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف
او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام
عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم
وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم
منكرون اي انتم قوم وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام
لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم
في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان
يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر
فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر
بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله
اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر

حنيذا

منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه بشر وقيل وقع في نفسه
انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم فامن منهم وبشروه بغلام
هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت
في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال
او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف
اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحيا وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك
مثل ذلك الذي بشرناه قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما
علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من
السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا
من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة
من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
غير اهل بيت من المسلمين استدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو
ضعيف ان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهومهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف
على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء

باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه فتولى بما كان يتقوى
به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر او هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر منه من الخوارق منسوبا
الى الجنون وتردد انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه و
جنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام
عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها
لم تتضمن نفعا وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه
مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي
ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا
عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلث وقرا الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها
جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام فاصبحوا في دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر و
يجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من
قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من
الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها و
بين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم
الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين

لعلكم تذكرون فتعلمون ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا
يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة اني لكم منه اي من عقابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين
كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا
مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير
مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلعم وتسميتهم اياه ساحرا
ومجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما
قبلها اتواصوا به اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول
حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم
الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض
عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت
بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير
والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها
تزداده بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة
متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة ولو حمل على ظاهره مع
ان الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم وقيل معناه الا لآمرهم
بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به
والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم
انما يملكوا بهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يكون تقدير فعل

يكون

فيكون بمعنى قوله تعالى قل لا اسألكم اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل
ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة
المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا
اي للذين ظلموا رسول الله صلعم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب
اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون
جواب لقولهم متى الوعد فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلعم من قرأ سورة والذاريات
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة الطور
مكية وآيها سبع او ثمان واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عم كلام الله تعالى
والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من
عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف
المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في
قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق
الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار
بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها
بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من
الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني
السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت
روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو
الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة

هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته و
صدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب
والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحول في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال
سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا
وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل
يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل
ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك
افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما
كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه فهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما
سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا تصبر
محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه
سيين في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات
واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات
او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او
منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم

تعملون

تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم
تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين
الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق والقرب ولذلك عطف الذين
آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين او للسببية اذ المعنى صيرناهم
ازواجا بسببهن وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان
اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح
في ان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم
او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول
الجنة او الدرجة لما روي مرفوعا انه صلعم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان
ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا الالحاق من عملهم من شيء فانه
كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون
الثبات بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت بالفتح و
عنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله
فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي
وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها
يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك
انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون فيها بلغو الحديث
في اثناء شربها ولا يفعلون ما يأثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك
مثل قوله تعالى لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي

بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم
وعنه صلعم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم
بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين خائفين من
عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة مطيعين
والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ
السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك فى الدنيا ندعوه
نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائى بالفتح انه
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم
فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فانى معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض
فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر
يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به
مجاز عن اداءها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل
هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه
المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله مثل القران ان كانوا
صادقين فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى
ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من
غير شىء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه

او من اجل لا شىء ومن عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيده الاول فان معناه
ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض
وام فى هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا
سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما
اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن الرزق حتى يرزقوا
النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم
المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم
مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم
من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه
لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه
الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسئلهم اجرا على تبليغ الرسالة
فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون يحملون الثقل فلذلك زهدوا
فى اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم
يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلعم
فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون
هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او
المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم
من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون به
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا

سقط

كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وهو عند
النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على البنى للمفعول
من صعقه او اصعقه يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء
فى رد العذاب ولا هم ينصرون من عذاب الله تعالى وان للذين
يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اى دون عذاب الاخرة وهو
عذاب القبر او المواخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك فى
عنائهم فانك باعيننا فى حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين
لجمع الضمير والمبالغة لكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من
اى مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة
فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل
وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها
اذا غربت او خفيت وعنه صلى الله عليه من قرأ سورة الطور كان حقا على
الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته سورة النجم مكية وايها احدى
اوثنتان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم والنجم
اقسم بجنس النجوم او بالثريا فانه غلب فيه اذا هوى غرب او انتثر يوم
القيمة او انقض وطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب
وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نمى وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلعم
عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفى
ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى
ان هو بعد القران وما ينطق به الا وحى يوحى الا وحى يوحيه الله اليه واحتج

به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده
وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى علمه
شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبرئيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق
روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة فى عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته
الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل ما راه احد من الانبياء فى صورته غير محمد صلعم
مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبرئيل ثم دنى من النبى صلعم فتدلى
فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلعم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنى
من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة
قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى
دلوه والدوالى للثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو منى معقد الازار
او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله
او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد
الملبس فاوحى جبرئيل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما
كقوله تعالى على ظهرها ما اوحى جبرئيل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل
الضماير كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله هو الرزاق ذو القوة المتين
ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما راى ما راى ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى اى
ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية يدرك اولا بالقلب ثم
ينتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا
لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقيل ما راه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل

عليه بانه سئل هل رايت ربك فقال رايته بفوادى وقرى ما كذب الفواد
اى صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من
المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المجادلين يمرى
ما عند صاحبه وقرا الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى
التضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعله غلبة الخصم
ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة و
نصبت نصبها اشعارا بان الروية في هذه المرة ايضا كانت بنزول ودنو والكلام
في المرى والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها
على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي
اليها علم الخلايق واعمالهم او ما نزل من فوقها ويصعد من تحتها اليها واهلها
شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها
في السماء السابعة عندها جنة الماوى الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح
الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشيها بحيث لا يكتنهها
نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشيها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها
ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما راه وما جاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا
او ما عدل عن روية العجايب التي امر بروئيتها وما جاوزها لقد راى اى والله
وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى اى والله لقد راى الكبرى من
اياته وعجايبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى و
يجوز ان يكون الكبرى صفة للايات على ان المفعول محذوف اى شيا من
ايات ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى الى الاخرى هي اصنام كانت
لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا

بكرذ

يلوون عليها اى يطوفون وقرى هيبة الله عن النبى ورويس عن يعقوب
بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كانت يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله خالد بن
الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومنوة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرى مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانواء عندها
تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او
للاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة
بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل
الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جايرة حيث
جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم
الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمزة من ضازه
اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اى ما هي باعتبار
الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها الهة ليس فيها شيء من
معنى الالوهية او الصفة التي تصفونها بها من كونها الهة وبناتا وشفعاء او للاسماء
المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها
والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها يستحق ان تقرب اليها بالقرابين سميتموها
انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به
ان يتبعون وقرى بالياء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما
باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسكم ولقد جاءهم من ربهم الهدى
الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
والمعنى ليس له كل ما تمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربي

وقولهم لولا نزل الاية ونحوها وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان
ياذن الله لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له
ويرضى ويراه اهلا كذلك فكيف يشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين
لا يومنون بالاخرة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى
بان سموه بنتا وما لهم به من علم اى بما يقولون وقرى بها اى بالملائكة او
التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان
الحق الذي حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف
الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه
فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى
همته ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اى امر
الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر
لقصور همهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا
يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا
بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما
دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال والمهدى
وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون
كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه

وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك و
الفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه
مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او
المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث
يغفر الصغاير باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس
صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم
اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم علم احوالكم وتصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من التراب
بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها
بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذايل هو اعلم بمن
اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم افرايت
الذي تولى عن اتباع الحق والثبات واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر
والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله فعيره
بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب
الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض
الشروط وبخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه
ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه
او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد

ضيفانان وانقه واكرمه والاتوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى
التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى
المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى او
الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما فاجاب والمعنى انه لا يواخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله وكتبنا على انه من قبل الاية وقوله
صلى الله عليه من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره وان ليس للانسان
الا ما سعى الا سعيه كما لا يواخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما
جاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له
كالنايب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى اى يجزى
العبد بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا او
ان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك
المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما فى الصحف و
كذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر
على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده
بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان
عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا ابن كثير و
ابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى
القنية وهى ما تاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى و
تحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور وهى اشد
ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول وخالف قريشا فى

عبادة

عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عاد لولى
بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين
فى اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمودا عطف على عادا
لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف
فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد
وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يوذونه
وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والموتفكة والقرى
التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباى الاء ربك
تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل واحد والمعدودات وان كانت
نعما ونقما سماها الاء من قبل ما فى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين
والانتقام للانبياء والمومنين هذا نذير من النذر الاولى اى هذا
القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من
جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة
ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الان
بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه
او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر افمن هذا الحديث يعنى
القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم

وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى سيره اذا رفع
راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء
فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الالهة عن النبى من قرا
والنجم اعطاه عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سالوا رسول الله اية
فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيمة ويويد الاول قرى وقد
انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق
وقوله تعالى وان يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا
سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة ومعجزات
متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم
او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكروا
بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عاداتهم القديمة وكل امر مستقر منته
الى غاية من خذلان او نصر فى الدنيا وشقاوة وسعادة فى الاخرة فان الشئ
اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر
والجر على انه صفة امر وكل امر معطوف على الساعة ولقد جاءهم فى القران
ما فيه من الانباء انباء القرون الخالية وانباء الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار
من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى
للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها
وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة
او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغنى النذر نفى او استفهام

تغنى

اى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى
الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم يوم يدع الداع اسرافيل
ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء
بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شئ نكر
فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف
وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون
من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله
ظاهر غير حقيقى التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون
الجملة حالا كانهم جراد منتشر فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة
مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول
الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما
خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل و
قالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل
انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه
انى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبنى قومى فانتصر فانتقم
منهم وذلك بعد ياسه منهم روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب

وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرى الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسورت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي جعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القران سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم صغيرهم وكبيرهم فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم

منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا واحدا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى

فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوه بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوها ولقد جاء ال فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير

استثنا

من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قال لم اعلم ما هو فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وايلامها فان مسها سبب للتالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا كل شيء مقدرا ومرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة

علياً

بحق

خلقناً

وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات
ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء و
جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق وقرئ في مقاعد صدق عند مليك
مقتدر مقربين عند من تم امره في الملك والاقتدار بحيث ابهم ذوو الافهام
عن النبي صلعم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة
البدر سورة الرحمن مكية وهي ست وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية
صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه للقران وتنزيله
وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه
واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به من ساير الحيوان من البيان وهو التعبير
عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث
التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر
بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكاينات
السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم اي النبات
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر اي الذي له ساق يسجدان ينقادان
لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين
ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم و
الشجر يسجدان له ليطابق ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على
الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في
الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره و
تدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل

احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر
على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال صلى الله
عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به المقادير
ويستوي به الحقوق والمواجيب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا
ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا في الميزان على ارادة القول واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله و
قرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا
تخسروا في الميزان بحذف الجار وايصال الفعل والارض وضعها للانام للخلق وقيل
كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع
به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمر والحب ذو العصف كالحنطة
والشعير وساير ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن و
قرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم
خرجت اطلب ريحان الله اي وخلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان
يراد ذو الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو واو ادغمت
ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فباي الاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق
الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة
والفخار الخزف وقد خلق الله ادم من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم
صلصالا فلا يخالف قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان من مارج
من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي

الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل
المركبات وخلاصة الكاينات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي
الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوايد
التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل
فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى
ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس
والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من
قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وابطال
الخاصية او لا يتجاوزان حدهما باغراق ما بينهما فباي الاء ربكما تكذبان يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح
ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب
او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرا
نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء
ورفع الراء كقوله
ولها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
المنشات المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي
ينشين الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فباي الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها احد غيره كل من عليها فان
من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان
ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها
وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته

مرج البحرين يعني عليا وفاطمة ع بحران عميقان [illegible]

قوله اللؤلؤ والمرجان يعني الحسن والحسين ع

دو الجلال

ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء والفضل العام فباي الاء ربكما تكذبان
اي مما ذكرنا من قبل وابقاء ما لا يحصى فما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب
على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدايمة والنعيم المقيم يسئله من في السموات
والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وساير ما يهمهم ويعن لهم
والمراد بالسوال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل
يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه
وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين
وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي الاء ربكما
تكذبان اي مما يسعف به سوالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا
سنفرغ لكم ايها الثقلان سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل هو مستعار من قولك لمن تهدده
سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي
بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا
بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رايهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف
فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات
والارض هاربين الى الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا
تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان بقوة وقهر وانى لكم
ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا
ولكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم
فباي الاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال
القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى

ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ودخان قال تضئ
كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم
وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه
ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان
فباى آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى
بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة
اى حمراء كوردة وقرئ بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة
كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباى
آلاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما
يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله
فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه
وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباى آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله على
عباده المؤمنين فى هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة
والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة
وبالاقدام اخرى فباى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم آن بلغ النهاية
فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم
فباى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذى يقف فيه
العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند
ربه للحساب بان المقحم فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم

للخائف

للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف
الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين او لكل
واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات والاخرى لترك المعاصى
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما
جاء مثنى بعده فباى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع
من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع غصن وهى الغصنة التى
تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها تورق وتثمر فتمد الظل
فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا فى الاسافل
والاعالى قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على
فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن
كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من
خاف فى معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع و
جنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم فباى آلاء ربكما تكذبان فيهن
قاصرات الطرف فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين
او فيما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن
على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس و
الجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرا الكسائى بضم الميم فباى
آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان اى فى حمرة الوجنة
وبياض البشرة وصفائها فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وهو الجنة فباى آلاء ربكما تكذبان

ومن دونهما جنتان من دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
لمن دونهم من اصحاب اليمين وفيه اشعار بان الغالب على هذين الجنتين النبات
والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه
دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاولين وكذا ما بعده فباى آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما
فان ثمرة النخل فاكهة وغذا وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اى خيرات فخففت لان خيرا الذى بمعنى اخير لم يجمع وقد قرئ
على الاصل حسان حسان الخلق فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات
فى الخيام قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة
او مقصورات الطرف على ازواجهن فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم
فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل
الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقرى
حسان العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه
كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباى آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم
بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام و
قرا ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبى صلعم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها تسع وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا

بمحذوف

لوقعتها

المحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون حين تقع نفس
تكذب على الله او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله
قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صادق او
ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها
من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له
انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها
فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله و
رفع اوليائه وازالة الاجرام عن مجاريها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو
وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا
وقعت وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس
السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء
غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون
او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشئمة ما اصحاب المشئمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية
من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
الذين يؤتون صحائفهم والاشقياء مشائم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان
خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين
والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور
الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا الى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء
فانهم مقدموا اهل الاديان الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابى النجم
انا ابو النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون فى جنات

غدون

النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السابقة من
لدن ادم الى محمد عم وقليل من الاخرين يعنى امة محمد عم ولا يخالف ذلك قوله انى امتى
يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه
وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين لان كثرة الفريقين لا ينافى كثرة احدهما وروى مرفوعا انهما
من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر
اخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان
من الضمير فى على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا
على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين
من خمر لا يصدعون عنها لخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا
ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة
مما يتخيرون اى يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور
عين عطف على ولدان او مبتدء محذوف الخبر اى وفيها حور او ولهم حور
وقرا حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى
جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف باكواب ينعمون
باكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون
عما يضر به فى الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اى يفعل ذلك كله
بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم
اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اى قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا

لا

لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته له او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما
او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام
على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود لا شوك
له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله الغصن اذا
ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة و
وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط
لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا بلا تعب او
مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصور لاهل
المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع فى وقت ولا
ممنوعة لا يمنع متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة
مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها على انها على الارائك ويدل عليه قوله
انا انشاناهن انشاء اى ابتداناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء و
اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن
ابكارا عربا اترابا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن الراء حمزة
وروى عن عاصم ونافع مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا
ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر
لمحذوف مثل هن او بقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهى
على الوجوه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى
سموم فى حر نار ينفذ فى المسام وحميم ماء متناه فى الحرارة وظل من يحموم
من دخان اسود يفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى

بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين
فى الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه
بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف
بر فيها وتحنث اذا تاثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا خصوصا فى هذا
الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله او اباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك
اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى
لمبعوثون وقرا نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف
ما دل عليه لمبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين
عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث والخطاب
لاهل مكة واضرابهم لاكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية
للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة
العطش وتانيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ
من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل
التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على
انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الاخر من
وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد
ما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما
يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون

بالحلق

مسئلة فى اعادة الاجسام على ... (margin)

بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من
قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اى ما تقذفونه فى الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه
تخلقونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه
عليكم واقتنا موت كل بوقت وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب
من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه
على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما
نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون
فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد
وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم ما
تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون تنبتونه
المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون فظلتم
على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه
التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل فى الحديث وقرئ فظلتم
بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرا ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن محرومون تنتعمون
حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم الماء الذى اى
العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن اى السحاب واحده مزنة
وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا
والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا

لما او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام للفاصله بين جواب ما يمحض
للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او لاكتفاء بسبق ذكرها او يخص
ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا
تشكرون امثال هذه النعم الضروريه افرايتم النار التي تورون تقدحون
ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجره التي منها الزناد نحن جعلناها
نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او
تذكرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعه للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر خلوا
او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من
ساكنها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان
اطلاق اسم الشي ذكره والعظيم صفه للاسم او للرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما
عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقولون الجاحدون بوحدانيته
الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم
فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيده للتاكيد كما في
كيلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه
انه قرى فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها
وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول
تاثيره او بمنازلها ومجاريها او قيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها
وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة
وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض
في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين
الموصوف والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في
اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو

اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات
الجسمانيه وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون
نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرى المتطهرون والمطهرون من
اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل
من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرى
بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون متهاونون به يتقلب
كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم شكر رزقكم
انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانوا وقرى شكركم اي تجعلون شكركم
لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في صفة القران انه سحر وشعر
او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت اي النفس الحلقوم وانتم حينئذ
تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر ونحن اقرب
اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع
ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين
مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده و
اصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو
عامل الظرف والمحضوض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما
في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم
افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون
الارواح الى الابدان بعد بلوغها فاما ان كان من المقربين اي ان كان
المتوفي من السابقين فروح فله استراحة وقرى فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها
كالسبب لحيوة المرحوم بالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم
ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين

من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني
اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما
اوعدهم فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها
ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي
حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة
شانه عن النبي م من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم يصبه فاقة سورة
الحديد مكية وهي تسعة وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات والارض ذكرها هنا وفي الحشر وفي الصف بلفظ
الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان
ما اسندها اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات
ومجي المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شي وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له
في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله خالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم
حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد
لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال من
المجرور له وهو على كل شي قدير من الاحيا والاماته وغيرهما تام القدرة
هو الاول السابق على ساير الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها
والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها
او هو الاول الذي تبتدي منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا
والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلايله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شي والعالم بباطنه والواو
الاولى والاخيره للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو

بكل شي عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات و
الارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور
وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو
معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره
مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء
في التصرف فيها وهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف
فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم
اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم
اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك
بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء
للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي
ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شي لكم
في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شي
فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب

كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري
الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد و
قسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام
به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي
وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر وكل بالرفع
على الابتداء اي وكل وعده نزلت في ابي بكر رض فانه اول من آمن وانفق
في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله
رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري
اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر
كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان
يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه
بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد
فيضاعفه له وقرا ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه
منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف
او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين بشريكم
اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشريكم اي المبشر به جنات
او بشريكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنان المخلد

يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا
انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا
فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنورهم بين
ايديهم وقرا حمزة أنظرونا على ان اتيادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس
من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا
بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف
فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم
الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين و
المنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور
او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته
لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم و
شككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت
وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا
ماويكم النار هي موليكم هي اولى بكم لقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم
كقولكم هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي
وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما
توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يان للذين آمنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقته يقال انى الامر يانى انيا وانا واناء اذا جاء
اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يانى والما بان روي

قلما

ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما
كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على الذكر عطف احد
الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص
ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ نزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من
قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالياء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي
عنهم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم
وامالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم
من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن
القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين
والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير
وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا
حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف
لهم ولهم اجر كريم والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو
مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله القائمون بالشهادة
لله او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتداء وخبر والمراد به الانبياء
من قوله فكيف اذا جئنا الآية او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم
مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او

الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص
والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر
حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين
انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا
اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم و
زينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بينكم
بالانساب وتكاثر في الاموال والاولاد مباهاة بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها
في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب
به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا
راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما
احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم
عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في
الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة
بها سابقوا الى سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم موجبة
الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا
كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل ان المراد به البسطة كقوله فذو دعاء
عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان
الايمان وحده كاف في استحقاق الثواب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك
الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد

منه التفضيل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب
وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة
في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس
ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة
لكيلا تاسوا اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما اتيكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا
ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها
يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب اوجدها
ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر
والاختيال ولهذا عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من
يثبت نفسه حال الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل
من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا وخبره محذوف مدلول
عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن
الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
ولا ينفعه التقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق
لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة
الى الانبياء والانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل
كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل
الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما
قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان آلات الحرب متخذة منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلته وليعلم الله من ينصره ورسله

باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه
حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من
المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى
نصره وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد
ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن
الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على الغلبة
للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا
بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما
من الرسل لا الذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ
بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة ورحمة وقرئ رآفة على فعالة ورهبانية اى وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي
المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان
وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها
منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم
ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها
وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد
حصول مرضات الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم
ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء

ليعلم
سنن
ابتد

فأ
انفسهم فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة
والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه فاتينا الذين امنوا اتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك
بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم
فاسقون خارجون عن الاتباع يا ايها الذين امنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله
فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته
لايمانكم به وبمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة
الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون
به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس
ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلم ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ
ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب الا يقدرون
على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون
على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا
ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون
على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون ان الفضل عطفا على الا يعلم وقرئ ليلا
ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على
ان الاصل في الحروف المفرد الفتح عن النبي من قرا سورة الحديد كتب من الذين
امنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي
والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة
بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله

التمسين

فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر
اولادها وشكت الى الله فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول
او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج كربها وادغم حمزة
والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر الدال في السين والله يسمع
تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع
بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامراته
انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي
منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر
ما هن امهاتهم اى على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في
الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا لغة من ينصب وانهم ليقولون
منكرا من القول وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان
الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل
عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي امساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه تناول حرمته
لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظر شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع او بالظهار في الاسلام
على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار وكانوا يظاهرون في الجاهلية
وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معناه بان يحلف على
ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطيها

تهجين
تاب
مواقعتها

فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها
الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا
قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر
عنها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلك الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل
على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى
عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزم الاستيناف وان افطر
لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا
لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق
مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين
مسكينا ستين مدا بمد رسول الله ص وهو رطل وثلث رطل لانه اقل ما قيل في المخرج
في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه في خلال
الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله
النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا
بالله ورسوله في قبول شرعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود
الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو
نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله
يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون
حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت اخذوا او اهلكوا واصل الكبت الكب
كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات

تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم
وتكبرهم يوم يبعثهم الله جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم
بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصيه الله احاط
به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد
لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا
ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى
بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان
السر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم
اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان
الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان
التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة
بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك
ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ
يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى ومحل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي
الجنس اين ما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف
الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من
الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله
ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو
اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى

عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك
به الله فيقولون السام عليكم او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده
الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا
يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها و
فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا
بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله
الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي
النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه مزينها والحامل عليها ليحزن الذين
آمنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان والتناجي بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجويهم يا
ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن
بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله ص فانهم كانوا يتضامون تنافسا
على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما يريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة
او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
وايوائهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء
منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته
مقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا
يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير

الكواكب

الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها
الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة فتصدقوا
قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء
والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا
واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل
به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق
الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم
من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله
غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب
ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم
الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين ولكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم
ان لا تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم مما قام
مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا
تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى
الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب
يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه ص كان في حجرة من حجراته
فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين الشيطان فدخل عبد الله

بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل
ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت أعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم
اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا واعرضوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله
بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم و
قيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون
لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق
في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله
كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم
ذكر الله لا يذكرون الله بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم
المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في
الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا
ورسلي بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه
عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا
ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان

المحادون

المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم
الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت
في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا يثبت فيه وايدهم بروح منه اي
من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه
سبب حيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم بطاعته ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب
اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون
الفائزون بخير الدارين عن النبي صلعم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله
يوم القيمة سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه لما
قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه
النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
وخرج كعب بن اشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله
محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم
حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله
سبح لله الى قوله قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا
الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال والجلاء الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون
اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى
المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم و
منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من
الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم

بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فاتيهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطراب الى الجلاء وقيل
الضمير للمؤمنين اي فاتيهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث
لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي
يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا
من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال
القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم وكانوا
استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو
ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب الهدم
فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله
واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال و
حملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا في
القتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم
ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما
حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة
اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها
النخلة الكريمة وجمعها الليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة
قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله
فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع
ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه وروي انه صلعم امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد

كنت

كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به
على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على
رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون
له لان الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو
جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من اموالهم فما اوجفتم عليه
فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد
فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير
رسول الله صلعم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار
منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول
ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى و
المساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية و
يصرف سهم الله في عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله
للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر و
الثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه
كان يخمس الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء
دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان
في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او الاخذ غلبة
يكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول

وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او تمسكوا به لانه واجب
الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله
في مخالفته ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل
لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي
خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من
الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون
الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في
ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف
المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره
من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم و
الايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم
في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا
مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين
على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان
بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المومنون بعد الفريقين
الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المومنين يقولون ربنا اغفر لنا

ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا في الدين في قلوبنا
غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من
دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من
رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لكذبهم بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير
بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم
على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا
ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون
للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في
صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المومنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه
الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى
محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم باسهم بينهم
شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم
بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب
الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق
عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم
وان تشتت قلوبهم يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر

او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم
في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود
على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر للمامور
كما قال فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين والمراد
من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ
فكان عاقبتهما وقرئ خالدان على انهما الخبر وفي النار لغو يا ايها انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه
او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا
الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم
لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم
يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون الكاملون في الفسق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج
اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو
انزلنا تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة عقبه بقوله خاشعا متصدعا هذا القرآن على جبل لرايته
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة
اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة
قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله

الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في
الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانه وقرئ بالفتح وهو
لغة السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المومن المهيمن
واهب الامن وقلب همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر
حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله
عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على
مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها و
كيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي
المسمى بمنتهى المنى في شرح اسماء الحسنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني
يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلعم
يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلعم عليا وعمارا وطلحة والزبير
والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
ثم جحدت فسلوا عليها السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا و
قال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكن

احد عنهم

كنت امرا ملصقا في قريش ولم يكن لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا و
قد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون
اليهم بالمودة تقصون اليهم المودة بالمكاتبة والباء زائدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي
له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد
كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول
واياكم من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا بالله
ربكم ان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة
للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي
وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف
دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف
معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء زائدة وما موصولة او مصدرية
ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم
ومجيئه وحده بلفظ المضارع للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم الماضي
حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما اعتراكم من الهول فيفر بعضكم
من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر
الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر وابو عامر يفصل على
البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت

لكم

لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر
كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت
اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم
والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى وحده فينقلب العداوة و
البغضاء الفة حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان
تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من
شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر للمؤمنين بان
يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا
ربنا ما فرطنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل
ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم
ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر من لكم
فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة
ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد
به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا
عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرأوا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم
وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من
قبل ولما بقي في قلوبهم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة [illegible] وتقسطوا
هؤلاء لان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم

تفضوا اليهم بالعدل اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى
قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان
تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية
في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فا امنوا
ختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن السنتهن في الايمان الله اعلم بايمانهن
فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن
الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به
فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة والاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف و
آتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من
جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي
انه عليه السلام كان بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها
مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم
مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة
والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد و
اسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من
مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف جهم
او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما

تقتضيه

فاتكم

ما تقتضيه حكمته وان فاتكم شيء وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد
من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من
مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء
هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا
مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل
الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت
يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين
ولا يقتلن اولادهن يريد واد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف
مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن
اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور
رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او
اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من
ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم منها لعنادهم
الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
اي بعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء
يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض

كبر مقتا عند الله وهو العزيز الحكيم ببن تقديره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان نقولوا ما لا تفعلوا ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة
من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفا من حروف الجر لكثرة
استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا ان ما لا تفعلون
المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على قولهم هذا مقت خالص كبر عند
من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر
وصف به كانهم بنيان مرصوص تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال
الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدره
اذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته
يوجب تعظيمه ويمنع ايذائه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله
قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين
هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم
يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما
بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري
برسول ياتي من بعدي والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار
لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا والمعنى ان ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي
هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة
الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا
ساحر على ان الاشارة الى عيسى ع ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب

وهو يدعى الى الاسلام من يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له
خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسميته
اياته سحرا فانه نعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعى تعالى دعاه و
ادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما
فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي يريدون ان
يطفئوا او اللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت اللام
لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا
نور الله بافواههم اي دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ
غايته بنشره واعلائه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره
الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي القران او المعجزات
ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو
كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين
آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الجهاد والايمان المؤدي الى كمال غيرهم والمراد به
الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة

المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا وخبره نصر من الله وهو
على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف
عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر
المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقرا الحجازيان وابو عمرو بالتنوين وبشر اعلى تؤمنون فانه في معنى الامر كانه
قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما اوعدتهم عليهما
اجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرا الحجازيان وابو عمرو
بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله
قال الحواريون نحن انصار الله الاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما قال الحواريون
حين قال عيسى من انصاري والحواريون اذ غباؤه وهم اول من امن به من الحوار — اوصياؤه
وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او على بالحرب و
ذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه
من قرا سورة الصف كان عيسى ع مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا
وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة مدنية وايها احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي
في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم اي من جملتهم اميا

مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من
خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة
او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم
الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة
واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم
الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا
بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من مثل هذا الامر الخارق
للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به
عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي
يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا
العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم
يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من
الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا
وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد ع ويجوز ان يكون الذين
صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين
قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس
اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله
ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله
عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه و
تخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فيؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم

لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم
يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا
وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة
وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله ﷺ
انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في
دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان
السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على
وجوبها وذروا البيع اتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم
من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين
او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر
للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة المريض
وحضور جنازة وزيارة في الله اخ واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع
احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلم كان يخطب الجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت افراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة
فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على
ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى
التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو
اولى بذلك وقيل تقديره واذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه

الصلوة

وتركوك

وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله
خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي ﷺ من قرا سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم
من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة
بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم
لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى
الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله
صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة
الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق
والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا
سرا او آمنوا اذا راوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته و
اذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم
لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله ﷺ في
جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير
المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط
في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها
شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون
الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة

عليهم لجبنهم وهلعهم وايهامهم نعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول
هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم
عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان
يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها
اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار
وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي
للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي
راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة
فليخرج الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح
الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه
القراءات مصدرا او حالا على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها و
الاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد
نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي

عد

اللهو

اللهو بها وهو الشغل بها فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني
وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم
الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب
امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم
اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق
وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها
اخرعمرها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر
بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي ﷺ من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتهما على كماله واستغنائه له الملك
وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على
كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء ثم شرع فيما ادعاه
فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره وموجه اليه ما يحمله عليه ومنكم
مؤمن مقدر ايمانه موفق عليه لما يدعوه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما
يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن
صوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث ركبكم بصفوة صفات الكائنات
وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا
كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان
دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص
ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود

وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اى المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غنى عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرى يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدا بالهمزة اى يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب

واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اى فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا امره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى افعلوا خيرا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان المقدر جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا بصرف المال فيما امره مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن رفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق مدنية وايها اثنى عشر بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم معهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر

فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته حائضا امره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق الا ان ياتين بفاحشة مبينة يستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فيقطع لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اى النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهي الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة والفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء

عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اى جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اى واللائي لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من المحافظة على عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول

اراد منه ان كونها مطلقة والعدة اخرى مطلقة

فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره
ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
فيراعي حقوقه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من
وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة
بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح
فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل
في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه
معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه
الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن
امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا
بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة و
عذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها وكان عاقبة
امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان
لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد
بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر

وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد لمواظبته على تلاوة
القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه و
ابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا و
الرسول مفعوله او بدل على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن
من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله
بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق
سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي امر الله وقضاؤه بينهن
وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي من قرأ سورة
الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ سورة التحريم مدنية وآيها ثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة
فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند
حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل
فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي
اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم حيث رحمك ولم
يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم
تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا حنث من قولهم حلل
في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف

اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه ﷺ اتى بلفظ اليمين كما قيل
والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة
بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره
الله عليه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض
عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض
ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من
باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله
فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني
العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة
على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب
التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من
الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين
قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة
وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه
ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل
لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله
بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات او مصدقات الآخر

مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول ﷺ سائحات صائمات سمي الصائم
سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما
لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها
الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتأديب
المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها
ملائكة تلي امرها وهي الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ
الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال
لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم والعذر لا ينفعهم يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانه ينصح ما خرق
الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور والنصاحة كالثبات
والثبوت تقديره ذات نصوح او ينصح نصوحا او توبوا نصحا لانفسكم سئل علي عليه السلام
عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما
ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل
التوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي
ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ
خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا

اجمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم
فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه وما ويهم جهنم
وبئس المصير جهنم او ماويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات
لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين
من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد تعظيم نوح و
لوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق
الزواج اغناء ما وقيلا دخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين
مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله
مثلا للذين امنوا امرات فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا يضرهم
بحال آسيه ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت احدى اعداء الله اذ قالت
ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في
اعلاء درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمل السئ
ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران
عطف على امراة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا
فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا
توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة وبما اوحى الى انبيائه
وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين
وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين
من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعاتها
لم تقصر عن طاعات الرجال الكاملين من الانبياء حتى عدت من جملتهم او من
نسائهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء

الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلعم وفضل عائشة على ساير النساء كفضل الثريد على ساير الطعام
وعنه صلى الله عليه من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا
سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر وآياتها ثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته
التصرف في الامور كلها وهو على كل شئ قدير على كل ما يشاء قدير الذي
خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت
لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ايكم احسن
عملا ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه
وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته جملة
واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق
لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق
سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها
طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او
طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرا حمزة والكسائي
من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم
التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الاخر والجملة
صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى
يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى
والخطاب فيها للرسول صلعم او لكل مخاطب قوله فارجع البصر هل ترى من فطور
متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا لتعاين

ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق
والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين
في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك
اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه
طرد عنه طردا وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة
ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل
اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب فوقها مركوزا في السموات
فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين
وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها و
قيل وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم
بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة
بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم
عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على
عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور
تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة
اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة
سالهم خزنتها الم ياتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا في ضلال كبير
اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف الى اهل
النذر او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج

منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار
على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه و
قالوا لو كنا نسمع كلام الرسول فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا
على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكرا
لمستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا
بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف من اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه
في الاصل مصدر والمراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله اي
ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقراه الكسائي
بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غايبا عنهم ولم
يعاينوه بعد او غايبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم
مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذايذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا
به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا
الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته وحكمته
وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله
من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم
مفعول ليستند روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله
به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في
مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير
ينبو عن ان يطاه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في
مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه
النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة

الموكل على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب
فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما
قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم
الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب
والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
اي يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به و
لكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري
عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها و
يقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك
ولذلك عدل به الى صيغة الفعل والتفرقة بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما
يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال
وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر أم من
العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم
يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف
وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن
هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك
رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا في عتو عناد و
نفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى تقال

كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض
بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع و
معنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك
قابله بقوله ام من يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء
او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء
في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى
طريقا كممشى المتعسف في مكان متعاد غير مستوي وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف
فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي
سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا
المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض للجزاء واليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا به من الخسف والحاصب ان كنتم
صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل انما العلم عند الله لا يطلع عليه غيره وانما اي علم وقته ٢
انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر عنه فلما راوه اي الوعد
فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قريبا منهم سيئت وجوه الذين كفروا
بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
به تطلبون وتستعجلون وتفتعلون من الدعاء او بسببه تدعون ان لا بعث فهو
من الدعوى قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا
بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم لا ينجيهم احد من العذاب
متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن اي الذي
ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه وللعلم
بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار فستعلمون

من هو في ضلال مبين منكم ومنا وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم
غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين
جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي
عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس
يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط
اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب اجراء
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت
بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئ بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد
الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة
وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب للقسم والمعنى
ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي
وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى
وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك
من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك
ما لا يحتمله امثالك وسالت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القران الست تقرأ
القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن
بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من
يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو

اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم
ودوا لو تدهن تلاين وتصانعهم فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء
للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي
ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه
وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير
الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء
بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس من الايمان والانفاق
والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة
وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان
ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان
كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان
ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه
لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام
غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي ألان كان ذا مال كذب او لتطيعه
لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان الشرط للمخاطب في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا
اطاع في الغنى فكانه شرط في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف
الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم
جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه
يوم القيامة انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء

مصبحين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه
المنجل او القته الريح او بعد من البساط التي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات
قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت خفية
عن المساكين كما قال الله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان
المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا
اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم
فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت
كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول
او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا
بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا
على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى
الاقبال او لتشبيه الغدو كالصرام بغدو العدو والمتضمن معنى الاستيلاء ان كنتم
صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي خفت
وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان
مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد نهي المسكين عن الدخول للمبالغة في النهي
عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت
درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكدوا عليهم بحيث لا يقدرون
الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي عدوا

١٥١

الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما
راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تاملوا وعرفوا
انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم
اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قال لهم حين عزموا
على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لا تستثنون فسمي
الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل
بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من
استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من لا يكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون
راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك
العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب الى الدنيا و
ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم
الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم
كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن
حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم
واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب
من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه و
تشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها

احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج
عن عهدته حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان علينا الى يوم القيمة ام اقسمنا
لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم ويحتج به ام لهم شركاء يشاركونهم
في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ
لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان
يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب
عليها على مراتب النظر وتزييفها لما لا يستند اليه وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المؤمنين في الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما
يشركون اليه به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف
الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات من سوقهن في الهرب قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم
يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل
للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم
القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون
لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم
ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون
متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي
فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان
كيدي متين لا يدفع شيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته

١٥٢

ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون و
يستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم عليك
ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء
غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق
للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على
حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تداركه لنبذ بالعراء بالارض
الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد
عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه
او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من
الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال
والاية نزلت حين هم رسول الله ص ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به
ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث
يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي
لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان
في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله فنزلت وفي الحديث
ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس
وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي
ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم و
يقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما
جننوه لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس

عقلا وامتنهم رايا المراد به من هو راسخ فى العلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم
سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها
او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتداء
خبرها ما الحاقة واصله ما هى اى اى شئ هى على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع
الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واى شئ اعلمك
ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا و
ادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التى تقرع الناس
بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى
وصف شدتها واما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى
الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها
مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى
شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت
على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم
سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جئ به لنفى ما يتوهم من انها
كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال
وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الداية اذا تابعت بين كيها
او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان
يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء الى
غروب الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد
توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم

فيها فى مهابها او فى الليالى والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول
نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية
او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائى
ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذات
الخطاء فعصوا رسول ربهم فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية
زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد
او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اى اباءكم
وانتم فى اصلابهم فى الجارية فى سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهى انجاء
المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته
وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها
بالكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لانجاء الجم الغفير
وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة
لما بالغ فى تهويل القيمة وذكر مال المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها
عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد
بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال
رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة
فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة
فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا

المتسعة
امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء
المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول
الملائكة فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على
ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب البنيان او انضوا اهلها الى اطرافها — ظ امضوا
وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم
فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم يومئذ ثمانية
ثمانية منهم لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة واذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة
اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته
بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال
يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا و
ان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة وادخال اهل النار النار صح جعله ظرفا
للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه — ظ سريرة
افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائى بالياء
للفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرءوا
كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان
او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرءوا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرءوه اذ الاولى الاضمار حيث
امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل
واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل انى ظننت انى ملاق
حسابيه اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس
فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات

رضا على النسبة الصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن
الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء
او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة
والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا هنيئا
باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا هنيئا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما
اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا
واما من اوتى كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى
لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت
القاضية القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت
على كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والتبع وما فى نفى والمفعول محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الناس
او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه
ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانها كانت يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا اى طويلة فاسلكوه فادخلوه وهو فيما بينها مرهقا لا يقدر على حركة
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به
وثم لتفاوت ما بينها من الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة
الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن يعظم فيها استوجب ذلك
ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله
ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل
وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر
بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام

الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة
ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم
ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون
بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران
لقول رسول كريم يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو
محمد او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى
قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا فلذلك تلبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية
والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند
بخلاف مباينته للكهانة فانها يتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القران المنافية
لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل
من رب العالمين نزل على لسان جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء
تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول
كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه
بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه
وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين القوة
فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام
والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم
ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه
العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحي اليك عن النبي من قرا سورة الحاقة

حاسبه الله حسابا يسيرا سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى
استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحرث فانه قال ان كان هذا
هو الحق الاية او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا او الاية ساله استهزاء او الرسول
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل
رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه
قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى
الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة
اخرى لعذاب او صلة واقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا
والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهة لتعلق
ارادته ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل
الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات
فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل
والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف
سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه او في يوم كان مقداره
كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها او فرض
لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسير خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض
ومقعر سماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي
والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان
والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات

والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم
من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو
متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او
عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر
فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او يوم القيمة بعيدا
من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل
ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان
علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال
كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست
وطيرت في الجو شبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما
ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي
لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استيناف من شاهد
الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين
او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس
واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب
يومئذ لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه
تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق
ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا
ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم
تفسيره لظى وهو خبر او بدل او للشان ولظى مبتداء وخبره نزاعة للشوى وهو
اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص

ان يفتدى به

خبر

او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة
وهي جلدة الراس تدعو الحقب ومختصر كقول ذي الرمة تدعو انفه الربب مجاز عن
جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من
قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى
وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد
الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا
يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء
للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل
لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق و
الاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل
على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه الذين هم
على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم
كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذي يسال والمحروم الذي لا يسال فيحسب
غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه
ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يامن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سبق تفسيره
في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرا ابن كثير
لامانتهم يعني لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرا يعقوب

وحفص لشهادتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلوة مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يتكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوء في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تفسير ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية وايها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه ولا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الدنيا كانهم شاكون فيه قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف اي دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر

انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تام عظيم القدرة وتام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانهم يهلكون لا محالة والله جعل لكم الارض

بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم ادت لهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا وهو كبير في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الهة لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل

في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمتهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لملك بن متوشلخ بن ادريس وسمحا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمها ووحى على اصلها وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عم ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا

بيان

بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف وهم المقتصدون كنا طرائق قددا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت

لن تقول

طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى القران آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا غيره فيها ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كادوا

عبد الله

الجن

الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عباس لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين جمع لبود قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم واطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا الآية قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى يعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على

القسين

السنك

المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كما اطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه
من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان
قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق
علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه من قرأ
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة سورة المزمل مكية
وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي ﷺ تهجينا لما كان
عليه لانه كان نائما او مرتعدا لما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه
كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل وتنبيها له فيما قبله بالمتزمل
لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم
الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه
بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين و
الناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل
من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او
للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل
والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد
عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها
من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه
لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها

وتحملها

لسان
وتحملها امته والجملة اعتراض لتسهيل التكليف عليه بالتهجد ويدل عليه انه ثقيل مضاد للطبع
مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره
الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول
عائشة رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد
عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل
مستانفا فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي
تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض او قياما الى حوض
يري بينها النوى والطن منها منشئات القاصد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة
بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة
او ثبات قدم وقرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء مواطأة القلب اللسان لها او فيها
او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت
مقالا قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا
طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي
فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه
ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول
كل ما يذكر به من تسبيح وتحميد وتهليل وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم
وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه
الرمز ومراعات الفواصل وضعه موضع التبتل رب المشرق والمغرب خبر
محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب
بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور

واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم
ولا تكافئهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم
فان في غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش
ومهلهم زمانا او امهالا قليلا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد
الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم و
عذابا اليما ونوعا اخر من العذاب ولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات
الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات
تبقى بعد مع تعلقها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات محترقة بالحرقة متجرعة غصة
الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء
الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من
معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا لانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا
اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع
كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به
فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم
طعام وبيل لا يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم
بقيتم على الكفر يوما يجعل الولدان عذاب يوم شيبا من شدة هوله وهذا على السماء
الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون
وصف اليوم بالطول منفطر به منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شيء به
شيء ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده
مفعولا الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه تذكرة عظة فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم

ادنى

ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء
اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى
وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ
مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه ان لن
تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبطها فتاب عليكم بالترخيص في
ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما
تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات
الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استئناف
يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال
وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء
للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما
تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا
حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه
والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او
من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة
ولذلك يمتنع من التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله ان
الله غفور رحيم في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط عن
النبي ﷺ من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية وآيها
ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر

وهو لابس الدثار روى انه صلى الله عليه قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني
وشمالي فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك
الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا
ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل اذى من قريش فتغطى بثوبه
منكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات
النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر
اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد
فانذر مطلق للتعميم او مقدر مفعوله دل عليه وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو
وصفه بالكبرياء عقلا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله وايقن انه الوحي
وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط
كانه قال وما يكن فكبر او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر
ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد
العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات
فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها
عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض
العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة فيكون امرا باستكمال
القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار
النبوة عما يدنسه من الحقد والحسد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر
واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يودي اليه من الشرك وغيره من القبائح
وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر
لا تعط مستكثرا نهى عن الاستهزاء وهو يهب شيا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او
نهي تحريم

نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه المستغفر تائب من هبته والموجب له ما
فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس
بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان
وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر
الوغى بالرفع ولربك لوجهه او امره فاصبر باحتمال الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين
ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل
عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره
اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير على الكافرين غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا
عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المومنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل
في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء
اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اي من خلقته
فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما به وارادة انه وحيد ولكن
في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا
بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى السفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه
لكثرة خدامه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين
او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
للرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما انه لا
خشاص

مزيد على ما اوتي ولانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا
انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف
معاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول
هذه الاية في نقصان ماله حتى هلك ساذهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة
المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله الصعود جبل من النار يصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان
للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران وقدر في نفسه ما يقول فقتل كيف
قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه
من قولهم قتله الله ما اشجعه اي في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه
حاسده بذلك روي انه بالنبي وهو يقرا حم السجدة واتى قومه وقال لقد
سمعت محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال
ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن
وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا
من الكذب فقالوا لا فقالوا فما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل والمراة واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر في امر القران
مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او
نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب وجهه وبسر اتباع للعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول
واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يوثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول

البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من ساذهقه و
ما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر و
العامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر
مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة
عشر ملكا او صنفا من الملائكة يتولون امرها والمخصوص بهذا العدد ان اختلال النشر
سبع م في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم دركات
ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا
من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يواخذ به بانواع من العذاب
يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد
وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر
قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي فيه فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر
عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك عنه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به و
استبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين فلعل المراد بالجعل القول
ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد
وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا
بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون
اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة
وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في

المدينة بعد الهجرة والكافرون انا لجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال (ويهدي من يشاء)
والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه
على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار و
نسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا
تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل
اذ ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي
والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر كثيرة
وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة
التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او
تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او
حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر محذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير
او التخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله كالسولد طلقت للمفعول كالرهن
ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا
من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من
اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او
يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر
في جوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من

المصلين

المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاهم وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع
الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير
يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة نفورة شبههم في
اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة
من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر
وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيه
من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع لهم عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه ردع
لهم عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرا (ذكرهم لقوله وما يشاؤن الا ان يشاء الله صلعم)
نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل
المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلعم من قرا سورة المدثر
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة سورة القيمة
وايها تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم
القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس
لا وابيك وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس
اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها
او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس
الامارة او بالجنس لما روي انه صلعم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها

يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت
او نفس ادم لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود
من اقسامهما اثباتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب
او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلعم عن امر القيمة فاخبره به
فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام الن نجمع
عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين
على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها و
لطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه التي هي اطرافه فكيف بغيرها فهو
حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع نحن قادرون بل يريد الانسان
عطف على ايحسب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال
ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من
برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق
بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر وذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع في ذهاب الضوء
او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار من المحاق ولمن حمل ذلك
على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح
الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي
الفرار يقوله قول الايس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع
عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى
ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته
موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم

واخر

واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من خير عمله وبما اخر من سيئة
عمل بها او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان
يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فانه
في ما معاذيره وذلك اولى فيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك (لتعجل به)
قبل ان يتم وحيه لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه
في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قراناه بلسان
جبريل عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى ترسخ في ذهنك ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت
الخطاب وهو اعتراض بما هو تاكيد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة
فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيرها او بذكر ما اتفق في اثناء نزول
هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج
لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك فان علينا بمقتضى
الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار والتامل فيه ثم ان (او)
علينا بيانه بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان
عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تعميم للخطاب اشعارا
بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد الجنس
لجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه
يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث
تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها
الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة

خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر اذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا
اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار
كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي
الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا
صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملك الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي
نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه
فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ
المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله
اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان
ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا
بذلك من المطط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا
وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله
ما يكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل
بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك
فاولى اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى
مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث
ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد
لا تكون في الدنيا فيكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الذكر الصنفين والانثى وهو

استدلا

استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه انه كان اذا قراها قال سبحانك
بلى وعنه صلى الله عليه من قرا سورة القيمة شهدت له وجبريل يوم القيمة انه كان
موقنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير
وتقريب ولذلك فسر بقد واصلها اهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم
حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا
مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه ثم خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط
جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني
الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما
مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياس وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة
اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه
في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له
الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب
من الابتلاء ولذلك عطف على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي نصب
الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم
اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب
ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن
كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون و

واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان
الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي و
ابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد
من كاس من خمر وهي في الاصل القدح يكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا
لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور فيكون كالمزوج به
عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اي
ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله
ملتذا او ممزوجا بها وقيل مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها
تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه
سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفيق على اداء الواجبات لان من
وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره
شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله
او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عم كان يوتى
بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة
القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن
عائشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء
دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصة عند الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا اي ولا شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم يوما
عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا كالذي
يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر

والميم

والميم زائدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان الحسن والحسين عم مرضا فعادهما رسول الله عم في ناس معه
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلثة ايام
ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير
فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين
فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم
يتيم فاثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال
خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم
او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في
متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد موذي وقيل الزمهرير
القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء
بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على
ما قبلها او عطف على جنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف جنتان
وقرئ بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطو
على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان يجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها
كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة من فضة اي
تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها كانت قوارير
من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير على هي قوارير من
فضة قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما
تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها

المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اي
جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدّر منقولا من قدرت الشيء ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل كانت العرب يستلذون
الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به
ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفه بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به
كتابط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف
عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء
الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم رايت
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت
نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان ينتقش
نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه
على الحال من هم في عاليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم
وقرا نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرا ابن كثير وابو بكر الجر حملا على سندس
بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع حملا على ثياب وقرا ابو عمرو وابن عامر بالعكس
وقراهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة
والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور
من فضة عطف على ويطوف ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض
عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة

او حال

او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك
للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين
المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه
عن الميل الى اللذات الجسمانية الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد الى مطالعة
جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم
به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد
من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل
به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم
آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي
في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه
لهما وذلك يستدعي ان لا يكون المطاوعة في الكفر والاثم فان مطاوعتهما
فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره فيما ل
او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل
فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم
الظرف لما في صلوة الليل من مزية الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم
او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو
كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم
بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا
امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم

١

من يطيع لو اذا حقق القدرة وتم الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما
تشاؤون الا ان يشاء الله وما تشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء ان الله كان عليما
بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما اقتضته حكمته يدخل من يشاء في رحمته
بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على
الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه جنة وحريرا سورة المرسلات
مكية وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف
من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره
ونشرن الشرائع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم
ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات
القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن
آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق
فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل
في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب
والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها
ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان
والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر
اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر

والمنذر

والمنذر ونصبهما على الاول بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية
من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثاني بالحالية
وقرا نذرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم
ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت
او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف
بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم
بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت
على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم
وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل وما بيان ليوم التاجيل
ادراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك
وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك
للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ
نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة
وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب
وموسى كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل بآيات الله يومئذ للمكذبين
وانبيائه وليس بتكرير وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان
الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع
في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين
هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا على
ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او

جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها
احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء
الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف
للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حالا او الحال فيكون المعنى
بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات
جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعارا بان فيها ما لم يعرف ولم يروا
واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين
بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب
انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا
الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب
لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب
هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في
يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره
لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم
من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها
ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشرر كانه
جمالت جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون
اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم
وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرا حمزة و
الكسائي جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل

الغليظ

الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء
من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي
ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف
فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم
يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير و
بيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في
الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب
ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما
يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين
يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا
لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل
يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا
قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل
حين امر رسول الله م ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم
القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون
واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ
للمكذبين فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز
في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال صلى الله عليه م من قرا سورة و
المرسلات كتب له انه ليس من المشركين **سورة النبا مكية وآيها اربعون**

وادغم النون في الميم لقربها في المخرج وصار عم

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله
عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه
لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن
البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم
ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبا العظيم بيان للشان المفخم
او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي
هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون
ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد
الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء
وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا تذكير لبعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا
بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مهادا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به
ما يمهد لنوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن
الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد
التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء
يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش يتقلبون فيه
لتحصيل ما يعيشون فيه او حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا
متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد
الشمس وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج الهدي وقرئ
ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن و
الحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع او لجمع الجنة لف وعيش

معذق

معذق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف
الزوائد ان يوم الفصل كان ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وينتهي عنده او حدا للخلائق
ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات
من القبور الى المحشر روي انه صلى الله عليه سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من
امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون
يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من النار وبعضهم
اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكل الربوا والجائرين في الحكم
والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم و
الساعين بالناس الى السلطان والتابعين لما نعين حق الله والمتكبرين خيلاء
وفتحت السماء وشقت وقرا الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت
من كثرة الشقوق كان الكل ابواب فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال
اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق
على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في
مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة
كيلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين
مآبا مرجعا وماوى لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا
دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة
او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد

احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان من قبيل المفهوم لا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل
ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من
العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون
تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار والحميم وبالغساق ما يغسق
اي يسيل من دمائهم صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر
ليتوافق رؤس الاي وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا
اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا و
قرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما
وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع
في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها
والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او
المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم و
كان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين
يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب
ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة
يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة
والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم با
لحساب وتكذيبهم الايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه

الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق
واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض
وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملانا
واد هق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي بالتخفيف
اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده
عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منصوب به نصب المفعول به
حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم و
قرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له
في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا
يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه و
الاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله
لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان
يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لا يملكون
او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من
الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه
مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه
لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة

بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص فيقتص
ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي عم من قرا سورة عم سقاه برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وايها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من
ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في
الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المومنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا
اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون
بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها بان
يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف
من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره
او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك
حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج
من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر
امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات
ولما كانت حركتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج
ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة
فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس وتنشط
الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من
المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح
في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة

او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر
والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها
تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام
الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على
قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو
منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض
والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق و
تنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة
الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار
اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية
او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت
حفرا وهي حفرة ائذا كنا عظاما نخرة وقرا نافع وابن عامر والكسائي اذا
كنا على الخبر ناخرة بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح
نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر
اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء
منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فانما هي صيحة ط
بعد واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه
الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة

اولان ساكنها يستهزؤن بها وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى أليس قد اتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه
اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء
من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر و
الطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك
الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة
وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاريه الآية الكبرى اي فذهب واراه المعجزة الكبرى
وهي العصا فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالآية الواحدة فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان
مرعوبا مسرعا في مشيته فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او
بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة
والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري
او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا
ام السماء ثم بين كيفية خلقها فقال بنيها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي
جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسويها فعدلها
او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم
سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا
اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها

كقوله والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها
ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها و
هو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد
او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء
وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا
جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى
التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا
في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت
وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم اظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى الجحيم
على احد وقرئ وبرزت ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان
بعيد او انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف
دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا
فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى
هي مأواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل
او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد
ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي المأوى ليس لها سواها مأوى
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها
ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها
في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء
فان ذكرها لا يزيدهم الا عنادا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم
وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكرها اي علامة من اشراطها فان ارسالك

خاتم الانبياء وامارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اي
منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا
يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو
منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا اي في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه
كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما يوم واحد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القيمة
حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان
ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلعم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال
يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا
رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد
للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين و
بالف بينهما اي ألان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام
الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى
لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا
بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او
يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي
انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك
ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له
تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ

تصدى اي تتعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان
لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ و
اما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة
الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر
التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله
لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة
فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور و
تانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة في صحف صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر
محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين
بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح
او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او
السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت كرام اعزاء على الله
او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان
ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع
قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا
من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة
خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا
من نطفة الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره سهل مخرجه من بطن امه بان فتح
فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر
للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على
المعنى الاخير اشعار بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة

وصلة الى الجملة الحيوة الابديه واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو ما كول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتيه بالنعم الخارجيه انا صببنا الماء صبا استينا فيهن لكيفيته احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها يقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما يرى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع

الى سواد وجوههم الغبرة قال عم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وايها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه من الافاق وزال اثره او القيت من فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا او التركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان الشرطيه تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر واذا ظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي في حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت من المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها او عملها ونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى انت قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وسالت على الاجابة عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب

عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالهم ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهن ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم انه اي القران لقول رسول كريم يعني جبرئيل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة لكونه شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما بهتته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبرئيل على محمد عم حيث عد فضائل جبرئيل واقتصر على نفي الجنون عن النبي عم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبرئيل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم

يقول بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاء وما تشاؤن الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كلهم قال صلى الله عليه من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة الانفطرت مكية وايها تسع عشر بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية للرب مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الشيء الاعضاء سليمة سواه معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرا الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت

حلقه سایر الحیوانات فی ای صورة ما شاء رکبک ای رکبک فی ای صورة شاء وما مزیدة وقیل شرطیة ورکبک جوابها والظرف صلة عدلک وانما لم تعطف الجملة علی ما قبلها لانها بیان لعدلک کلا ردع عن الاغترار بکرم الله بل تکذبون بالدین اضراب الی ما هو السبب الاصلی فی اغترارهم والمراد بالدین الجزاء او الاسلام وان علیکم لحافظین کراما کاتبین یعلمون ما تفعلون تحقیق لما یکذبون به ورد لما یتوقعون من التسامح والاهمال وتعظیم الکتبة بکونهم کراما عند الله لتعظیم الجزاء ان الابرار لفی نعیم وان الفجار لفی جحیم بیان لما یکتبون لاجله یصلونها یوم الدین وما هم عنها بغائبین لخلودهم فیها وقیل معناه وما یغیبون عنها قبل ذلک اذ کانوا یجدون سمومها فی القبور وما ادراک ما یوم الدین تعجیب وتفخیم لشان الیوم ای کنه امره بحیث لا یدرکه درایة دار ثم ما ادراک ما یوم الدین یوم لا تملک نفس لنفس شیئا والامر یومئذ لله تقریر لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن کثیر والبصریان یوم علی البدل من یوم الدین او الخبر المحذوف وعن النبی صلی الله علیه وسلم من قرا سورة انفطرت کتب الله له بعدد کل قطرة من السماء حسنة وبعدد کل قبر حسنة

سورة المطففین مختلف فیها وآیها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحیم ویل للمطففین الذین اذا اکتالوا علی الناس التطفیف البخس فی الکیل والوزن لان ما یبخس به طفیف ای حقیر روی ان اهل المدینة کانوا اخبث الناس کیلا فنزلت فاحسنوه وفی الحدیث خمس بخمس ما نقض الله الحدیث یستوفون ای اذا اکتالوا من الناس یاخذونها وافیة وانما ابدل علی بمن للدلالة علی ان اکتیالهم لما لهم علی الناس او اکتیال یتحامل فیه علیهم واذا کالوهم او وزنوهم ای واذا کالوا للناس او وزنوا لهم یخسرون فحذف الجار واوصل الفعل کقوله ولقد جنیتک اکموا وعساقلا ولقد نهیتک عن بنات الاوبر بمعنی جنیت لک او کالوا مکیلهم فحذف المضاف واقیم المضاف الیه مقامه ولا یحسن جعل المنفصل تاکیدا للمتصل فانه یخرج الکلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود

بیان اختلاف حالهم فی الاخذ والدفع لا فی المباشرة وعدمها ویستدعی اثبات الالف کما هو خط المصحف فی نظایره الا یظن اولئک انهم مبعوثون فان من ظن ذلک لم یتجاسر علی امثال هذه القبائح فکیف من تیقنه وفیه انکار وتعجیب من حالهم لیوم عظیم عظمه لعظم ما یکون فیه یوم یقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ویویده القراءة بالجر لرب العالمین لحکمه وفی هذا الانکار والتعجیب وذکر الظن ووصف الیوم بالعظیم وقیام الناس فیه لله والتعبیر عنه برب العالمین مبالغات فی المنع عن التطفیف وتعظیم اثمه کلا ردع عن التطفیف والغفلة عن البعث والحساب ان کتاب الفجار ما یکتب من اعمالهم او کتابة اعمالهم لفی سجین کتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلین کما قال کتاب مرقوم ای مسطور بین الکتابة او معلم یعلم من رآه انه لا خیر فیه فعیل من السجن لقب به الکتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح کما قیل تحت الارضین فی مکان وحش وقیل هو اسم المکان والتقدیر ما کتاب السجین او محل کتاب مرقوم فحذف المضاف ویل یومئذ للمکذبین بالحق او بذلک الذین یکذبون بیوم الدین صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما یکذب به الا کل معتد متجاوز عن النظر غال فی التقلید حتی استقصر قدرة الله وعلمه واستحال منه الاعادة اثیم منهمک فی الشهوات المخدجة بحیث شغلته عما وراءها وحملته علی الانکار لما عداها اذا تتلی علیه آیاتنا قال اساطیر الاولین من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ینفعه شواهد النقل کما لم ینفعه دلائل العقل کلا ردع عن هذا القول بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون رد لما قالوه وبیان لما ادی بهم الی هذا القول بان غلب علیهم حب المعاصی بالانهماک فیه حتی صار ذلک صدأ علی قلوبهم فعمی علیهم معرفة الحق والباطل فان کثرة الافعال سبب لحصول الملکات کما قال علیه السلام ان العبد کلما اذنب ذنبا حصل فی قلبه نکتة سوداء حتی یسود قلبه والرین الصدأ وقرا حفص بل ران باظهار اللام کلا ردع عن الکسب الرائن انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون فلا یرونه بخلاف المومنین و

وما ادراک ما سجین

سئل [illegible]

ومن انکر الرویة جعله تمثیلا لاهانتهم باهانة من یمنع الدخول علی الملوک او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحیم لیدخلون النار ویصلون بها ثم یقال هذا الذی کنتم به تکذبون تقوله لهم الزبانیة کلا تکریر للاول لیعقب بوعد ان کتاب الابرار لفی علیین وما ادراک ما علیون کتاب مرقوم الکلام فیه ما مر فی نظیره یشهده المقربون یحضرونه ویحفظونه او یشهدون علی ما فیه یوم القیامة ان الابرار لفی نعیم علی الارائک علی الاسرة فی الحجال ینظرون الی ما یسرهم من النعم والمفرجات تعرف فی وجوههم نضرة النعیم بهجة النعیم وبریقه وقرا یعقوب تعرف علی بناء المفعول ونضرة بالرفع یسقون من رحیق شراب خالص مختوم ختامه مسک ای مختوم اوانیه بالمسک مکان الطین ولعله تمثیل لنفاسته او الذی له ختام ای مقطع هو رائحة المسک وقرا الکسائی خاتمه بفتح التاء ای ما یختم به وفی ذلک یعنی الرحیق او النعیم فلیتنافس المتنافسون فلیرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنیم علم لعین بعینها سمیت بها لتسنیمها الارتفاع مکانها او رفعة شرابها عینا یشرب بها المقربون فانهم یشربونها صرفا لانهم لم یشتغلوا بغیر الله ویمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عینا علی المدح او الحال من تسنیم والکلام فی الباء کما فی یشرب بها ان الذین اجرموا یعنی رؤساء قریش کانوا من الذین آمنوا یضحکون یستهزؤن بفقراء قریش واذا مروا بهم یتغامزون یغمز بعضهم بعضا ویشیرون باعینهم واذا انقلبوا الی اهلهم انقلبوا فکهین ملتذین بالسخریة منهم وقرا حفص فکهین واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المومنین نسبوهم الی الضلال وما ارسلوا علیهم علی المومنین حافظین یحفظون علیهم اعمالهم ویشهدون برشدهم وضلالهم فالیوم الذین آمنوا من الکفار یضحکون حین یرونهم اذلاء مغلولین فی النار وقیل یفتح لهم باب الجنة

فقال لهم اخرجوا الیها فاذا وصلوا اغلق دونهم فیضحک المومنون منهم علی الارائک ینظرون حال من یضحکون هل ثوب الکفار هل اثیبوا ما کانوا یفعلون وقرا حمزة والکسائی بادغام اللام فی الثاء قال صلی الله علیه من قرا سورة المطففین سقاه الله من الرحیق المختوم یوم القیامة

سورة الانشقاق مکیة وآیها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحیم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالی یوم تشقق السماء بالغمام وعن علی رضی الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له ای انقادت لتاثیر قدرته حین اراد انشقاقها انقیاد المطواع الذی یاذن للآمر ویذعن له وحقت وجعلت حقیقة بالاستماع والانقیاد یقال حق بکذا فهو محقوق وحقیق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآکامها والقت ما فیها ما فی جوفها من الکنوز والاموات وتخلت وتکلفت فی الخلو اقصی جهدها حتی لم یبق شیء فی باطنها واذنت لربها فی الالقاء والتخلیة وحقت للاذن وتکریر اذا لاستقلال کل من الجملتین بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهویل بالابهام او الاکتفاء بما مر فی سورتی التکویر والانفطار او لدلالة قوله یا ایها الانسان انک کادح الی ربک کدحا فملاقیه علیه وتقدیره لاقی الانسان کدحه ای جهدا یؤثر فیه من کدحه اذا خدشه او فملاقیه ویا ایها الانسان اعتراض والکدح الیه السعی الی لقاء جزائه فاما من اوتی کتابه بیمینه فسوف یحاسب حسابا یسیرا سهلا لا یناقش فیه وینقلب الی اهله مسرورا الی عشیرته المومنین او اهله فی الجنة من الحور واما من اوتی کتابه وراء ظهره ای یوتی کتابه بشماله من وراء ظهره قیل تغل یمناه الی عنقه ویجعل یسراه وراء ظهره فسوف یدعو ثبورا یتمنی الثبور ویقول یا ثبوراه وهو الهلاک ویصلی سعیرا وقرا الحجازیان والشامی والکسائی ویصلی لقوله تصلیه جحیم وقری ویصلی لقوله ونصلیه جهنم انه کان فی اهله مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن یحور

ان يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما هي من الدواهي على انه جمع طبقة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه ع قرا واسجد وجواب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رايت رسول الله يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه من قرا سورة انشقت اعاذه ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وايها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخلائق والخالق فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجموع فانه له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابراه فساله عن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فامن الناس فامر باخاديد واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست

وشاهد

فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي ع ان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله قد احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعض لبعض انه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم البيت ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد فلا شيء ربما يستحق ان الذين فتنوا المؤمنين يومن بعبادك والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب بلوهم بالاذى جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاهلكتهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويبدي البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمه فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وغيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود

ابدلهما من الجنود لان المراد فرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم ما اصابك بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اسوء من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحيط المحاط بل هو قران مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد محفوظ من التحريف وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في لوح محفوظ هؤلاء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وايها سبع عشر بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه والمراد الجنس او المعهود بالنعت وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبداه ليعلم اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة يتولد من فضلة الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد ان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف

بعضها بالبعض عند التصسم لدماغ اعظم الاعضاء مقرونه في توليدها ولذلك
تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر
وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه
على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر يتعرف و
تميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه
فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه عنه
والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع
المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل ان السحاب
يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب
والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات
والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل
فانه كله جد انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره و
اكيد كيدا وان يلهم بكيدي استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون
فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم ولا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا
امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق
اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية واياتها
تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى
نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما
فيه سواء وذكره على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك

سجدت

سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى
كماله ويتم معاشه والذي قدر اي اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها و
مقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى فوجهه الى افعاله طبعا واختيارا
بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذي اخرج المرعى
انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود
وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل
او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا لقوة الحفظ مع انك امي ليكون
ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه ايضا كذلك من
الايات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان
ينسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته
في الصلاة فحسب ابي رضي الله عنه انها نسخت فساله فقال نسيتها او نفي النسيان
راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن
او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحك
من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي
او التدين وتوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على
سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت
الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول الياس
عن البعض لئلا يتعب نفسه و عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار والآية
للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى او
لذم المذكر بعد استبعاد تاثير الذكرى فيهم سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها
من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها
ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله

نيلين

ل سيتعظ

في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء
من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت
فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر و
المعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او ادى الزكاة وذكر
اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله واقم الصلاة لذكري ويجوز ان
يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه فصلى
كبر يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما
يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة
على اضمار قل وقرا ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها
ملذ بالذات خالص من الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى
الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة
صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله على ابرهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم سورة الغاشية
مكية واياتها ست وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني
يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار خاشعة ذليلة عاملة ناصبة
تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود و
الهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى
نارا تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد
حامية متناهية في الحر تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم
طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية
تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم

مما تتحاماه الابل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او
متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية
المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو
ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام
اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم
فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء
لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة
بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا
ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته و
حسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة لتحمل
ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت
وتحمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من
منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات التي هي
اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل
المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى
الجبال كيف نصبت راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى
صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع
المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد و
رتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا
ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين

على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه
اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي الا
من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا
على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل
من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام
ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية وايها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله
والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر
او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام
والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين
والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوات
ووترها او بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول
ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة
للشكر وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله
والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة
او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه
نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين
المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم والمقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره
ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة
من الاحصاء وهو الضبط والمقسم به محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل

ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم
كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم
ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية
والتانيث ذات العماد التي ذات البناء الرفيع او القدود الطوال والرفعة والثبات
وقيل كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد
وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن
جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم
يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون الجبال بيوتا بالواد
وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا
نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون
او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم
ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد
المفتول الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل
بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا
قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله
ان ربك كانه قيل انه من الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا
ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول
ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما
من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني

السوط الذي يضرب به والجمع اسواط وسياط صحاح

فاما ط

وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير
واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن
لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين وان التوسعة قد
تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه
عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر كما قال
فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر و
الكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقه
نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على
طعام المسكين بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم
بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على اطعام المسكين فضلا عن غيرهم وتاكلون
التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال
وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك
حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت ايات قدرته
واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من اثار هيبته وسياسته والملك
صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي
الحديث تؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ
لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله
واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول
يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا

لا

التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان
ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله
ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من
الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأها الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها
النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله تعالى فان النفس تترقى
في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته و
تستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الى الامنة التي لا يستفزها خوف
ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي الى ربك امره او موعده بالموت ويشعر بذلك
من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية
بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي
جنتي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له
ومن قرأها في سائر الايام كان له نور يوم القيمة سورة البلد مكية وايها عشرون
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد اقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله و
اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض
الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له
عام الفتح ووالد عطف على البلد ووالد ادم وابرهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عليه السلام
والتنكير للتعظيم وايثار ما على من بمعنى التعجب كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت لقد
خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه
المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقها ومنتهاها الموت
وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي
كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاسدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم

ولا يوثق وثاقه احد

عكاظي يجذب به عشرة فيقطع ولا يزل قدماه او لكل احد منهم او الانسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أي في ذلك الوقت أهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة فلا شكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقعها فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او القرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلعم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد اعطاه الله

الامان من غضبه يوم القيامة

سورة والشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فانه يتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض و لما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فألهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان الضمير فيها اسم الله تعالى للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس او التعظيم والمراد به نفس آدم ع والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانها او

[هامش: المستلزمة]

[هامش: ونفس وما سواها]

بما وعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضيف صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا الصقها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر و الانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى فاما من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار

[هامش: الصها]

وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدي او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فأنذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها الا يلزم مقاساة شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الا الاشقى الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك و دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى او هو وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ع ربه والقي السحرة سجدا ويؤيده قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا و والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار هنا باعتبار

[هامش: ظله]

الشرق ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو
جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل و
مراعاة للفواصل روى ان الوحى تاخر عنه صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف
او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا
ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللاخرة خير لك من الاولى فانها باقية
خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله
بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك فى الاخرة او ولنهاية
امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له
مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير
ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها
مع سوف للدلالة على ان العطاء كاين لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى
تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك
من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا
عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك
ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت
بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك وجدك ووجدك عائلا فقيرا
ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله
لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره
واما بنعمة ربك فحدث فان التحديث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحديث
بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له
وعشر حسنات يكتبها الله بعدد كل يتيم وسائل سورة الم نشرح مكية واياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم
نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما
اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق
عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام
انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك
عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند
الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام
او حيرته او تلقى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من
اصرارهم وافراطهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك
بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته
وصلى عليه ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه وانما زاد لك ليكون
ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر يسرا كضيق الصدر والوزر المنقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والرفع والتوفيق للاهتداء
والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى
ان مع العسر من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر العسر واتصاله به اتصال المتقاربين
ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب
الاخرة كقولك ان للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب
وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت
عن التبليغ فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة و
وعدنا بالنعم الاتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت

من الصلوة فانصب فى الدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر وحده
على اسعافه وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم
نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى سورة والتين مختلف فيها واياتها ثمان
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما
من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضلة له وغذاء لطيف سريع الهضم
ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة
ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع
من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن كثير المنافع مع انه ينبت
حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او
مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه
موسى ربه وسينين وسيناء للموضع الذى فيه وهذا البلد الامين اى الامن
من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة
لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب
القامة وحسن الصورة واجتماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم
رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو
النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر
منقطعا غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء
مقرر له فما يكذبك فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء
بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان والمعنى فما
الذى يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق
والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان
كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين

اعطاه

اعطاه الله سبحانه العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد
من قرا هذه السورة سورة العلق مكية واياتها تسع عشرة وهى اول سورة نزلت
وقيل الفاتحة ثم هذه بسم الله الرحمن الرحيم اقرا اى اقرا
القران مفتتحا باسمه او مستعينا به باسم ربك الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى
خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة
المقصودة من القراءة فقال او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه
ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات
معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة
او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرا فقال ما انا بقارئ
فقيل اقرا وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم
من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم و علم الانسان ما لم يعلم
قد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد فيعلمك وان لم تكن قاريا وقد عدد
سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه ان نقله من اخس المراتب
الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لالوهيته واشارة اولا الى ما يدل على معرفته
عقلا ثم نبه على ما يدل عليه سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم
يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اى راى نفسه واستغنى
مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا
من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت
فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة ولفظ العبد
وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبوديته المنهى ارايت ان كان

ينهى

على الهدى او امر بالتقوى تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى والشرطية مفعول للثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على الهدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى كانه قال يا كافر اخبرني ان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاختصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان العبد اذا صلى لم يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته لنسفعا عما هو فيه بالناصية ناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهو لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اهله ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع

او زبني على النسبة واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسوله نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او الى السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة وتقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد

٥١٩

في صفات الله ومن للتبيين والمشركين عبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القران فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون الاية وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا الا ليعبدوا الله اي في كتبهم بما فيها مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكن حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتاكيد جزائهم في الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى اماناتهم ذلك لمن خشي اي المذكور

من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا لم يكن كان يوم القيمة خير البرية مبيتا ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها والمعنى انها زلزلت زلزالا شديدا لا غاية وراءه وقرئ بالفتح وهو اسم للحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ان ربك احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر توثران في نقص العقاب والثواب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله

/١٣١

المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا
حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج
النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات بغيرا اهلها على العدو صبحا
في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن
به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات جمعا
من جموع الاعداء روي انه صلى الله عليه بعث خيلا فمضت شهر لم ياته
منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن
الموريات فانكارهن انار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات
اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع
القدس ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاصي
بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك
ان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه وظهور اثره عليه او ان الله
على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا
لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ
بحثر وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه
لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما
اسروا فيجازيهم وانما قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ انه خبير بلا لام عن
النبي صلى الله عليه من قرا سورة العاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من بات بالمزدلفة وشهد جمعا سورة القارعة مكية وآيها عشر بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة سبق بيانه في الحاقة وما ادريك ما القارعة يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم
وانتصاب اليوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن المنفوش

كالصوف ذي الالوان المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من
ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة في عيش
راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة
يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية
من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي ع
من قرا سورة القارعة ثقل الله بها موازينه يوم القيمة سورة التكاثر مختلف فيها
وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم
واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة
حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم
تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم
من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم
وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة
القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع
همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطا رايكم
اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون
تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبور
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر
اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف
الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل
هو جواب محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما

ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي
نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه و
النعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله و
كلوا من الطيبات وقيل يعمان او كل من يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة
بالكفار عن النبي صلى الله عليه من قرا الهاكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به
عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف آية سورة العصر مكية وآيها ثلث
بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضله
او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من
الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم
في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق
الثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على
الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص
العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء
ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان
الابهام في جانب الخسران كرم عن النبي صلى الله عليه من قرا سورة العصر غفر الله له وكان
ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر سورة الهمزة مكية وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم
ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس
والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ
همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منهم و

يشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده
مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله
اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن
الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد
هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار
التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه
الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله لا تقدر ان يطفئها غيره التي
تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد
الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزايغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها
عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال الشاعر تحن الى اجبال مكة ناقتي
ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل
المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا الكوفيون وغير حفص بعمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه
من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه سورة الفيل
مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من الوجوه الدالة
على كمال علم الله تع وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات
اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح
الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد
ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن

الكعبة فخرج بحبشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا
جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او
جهة اخرى هرول فارسل طيرا كل فى منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العدسه
واصغر من الحمصه فرمتهم فيقع الحجر فى راس فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرى الم تر
جدا فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل
كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضليل فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم
شانه وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة
من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرى بالياء
على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل ود
وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة
العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه
الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدواب و
راثته عن النبى صلى الله عليه من قرا سورة الفيل عفاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف و
المسخ سورة قريش مكية وايها اربع بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف واراد بالرحلتين الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى
الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم
كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرى
لالف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير
قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث فى السفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تاكل ولا
توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا

رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به
شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف فى
بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبى صلى الله عليه من قرا سورة لايلاف
قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة الماعون
مختلف فيها وايها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام
معناه التعجب وقرى اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديره بحرف الاستفهام
سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذى يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذى
يحتمل الجنس والعهد ويؤيده الثانى قوله فذلك الذى يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا
وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسئله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر
جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرى يدع اى
يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب
الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين
الذين هم يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون
الزكوة او ما يتعاون فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من
ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التى هى عماد الدين والرياء الذى
هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها
الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم
مع الخالق والخلق عن النبى صلى الله عليه من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا
سورة الكوثر مكية وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر وقرى انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل و
شرف الدارين وروى انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل و
ابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه من الزبرجد واوانيه من فضة

لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران
فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها
شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار
اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون
والسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد و
النحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذى لا عقب له
اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك و
اثار فضلك الى يوم القيمة ولك فى الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبى صلى الله عليه
من قرا سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر له فى الجنة ويكتب له عشر
حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر سورة الكافرون مكية
وايها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون
يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا
من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد
ما تعبدون اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على المضارع بمعنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اى فيما
يستقبل لانه فى قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اى فى الحال او فيما سلف
ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده ويجوز
ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم
كانوا قبل البعث يعبدون الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله مربوعين م
وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان
مصدريتان لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين الذى انا عليه

لا ارفضه فليس فيها اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال
اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين للاخر على دينه وقد
فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبى صلى الله عليه
من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة
الشياطين وبرى من الشرك سورة النصر مدنية وايها ثلث
بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل
المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول
بالمجىء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة
لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده
مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا جماعات كثيرة
كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون
حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه
روى انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه
عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات
الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك
واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه انى لاستغفر الله فى اليوم
والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قال ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله
انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل

فتح مكة وانه نعي لرسول الله م لانه لما قراها بكى العباس فقال ما يبكيك قال نعيت اليك
نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين
فهي كقوله اليوم اكملت لكم او لان الاستغفار حينئذ على دنو الاجل ولهذا سميت
سورة التوديع وعنه صلى الله عليه من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع
محمد م يوم فتح مكة **سورة تبت مكية وايها خمس** بسم الله الرحمن الرحيم
تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب
نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه م لما نزل عليه وانذر عشيرتك
الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ
حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة
لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب
النار كانت التكنية اوفق لحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب
كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والاخر الثاني عن نفسه ما
اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها
النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة و
الاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام
وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة
وترك حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه
سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز
ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على

المستكن في سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب
جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة رسول الله م وتحمل زوجها على ايذائه او
النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها
بالليل في طريق رسول الله م وقرا عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد
مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة
الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم
حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من
النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه من قرا سورة
تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة **سورة الاخلاص مختلف
فيها وايها اربع** بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره
الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ
روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل
او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد
الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية
والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة
التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل
يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او
موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به
تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد
وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في
جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف

به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد
لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل
الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله
وليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لم يفتقر الى شيء ولا سبقه عدم ولم يكن له
كفوا احد اي ولم يكن له احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها
وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته
قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا وان يكون كفوا
حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة
واحدة منبهة عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص
كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية
والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة
في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك
وعن النبي صلى الله عليه انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت
قال وجبت له الجنة **سورة الفلق مختلف فيها وايها خمس** بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات
والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لان فيه تغير الحال وتبدل وحشة
الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة
الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ رب هنا اوقع من ساير
اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه
لانحصار الشر فيه فان عالم الامر كله خير وشره اختياري لازم كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق
النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله

الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه
وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه
تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه
دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي
يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي
ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه فنزلت
المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقراهما عليه فكلما قرا اية
انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم
ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال
بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة
بخلاف كل غاسق ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه
فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه
لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما
يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد
في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد
غيره غالبا طمعا عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة
عن النبي صلى الله عليه لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب الى الله
ولا ارضى عنده منهما يعني المعوذتين **سورة الناس مختلف فيها واياتها ست**
بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة
من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي
تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم خصصها بالناس ههنا وكانه قيل اعوذ

من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويحق عبادتهم ملك الناس اله
الناس عطفان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى النظم دلالة
على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف
فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة او لم يتغلغل فى النظم حتى يتحقق
انه غنى عن الكل وكان كل شى له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به
على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة والمستعاذ تنزيلا لاختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير
الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس
اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس
وسمى بفعله مبالغة الخناس الذى عادته ان يخنس اى يتاخر اذا ذكر الانسان ربه
الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة
الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست
اخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم
من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى او يتعلق بيوسوس اى يوسوس
فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم
الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى لقوله الثقلين عن النبى صلى الله عليه
من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التى انزلها الله تعالى تمت بحمد تنزيل
الانوار من تفسير الكلام المجيد الملك العلام فى ثالث عشر شهر جمادى الاول
من شهور سنة سبع وستين بعد الالف من الهجرة على يد
اضعف عباد الله محمد امين بن الحسن الطالقانى
فى بلدة عبد العظيم على بانيها التسليم
النبوية صلى الله عليه واله اجمعين